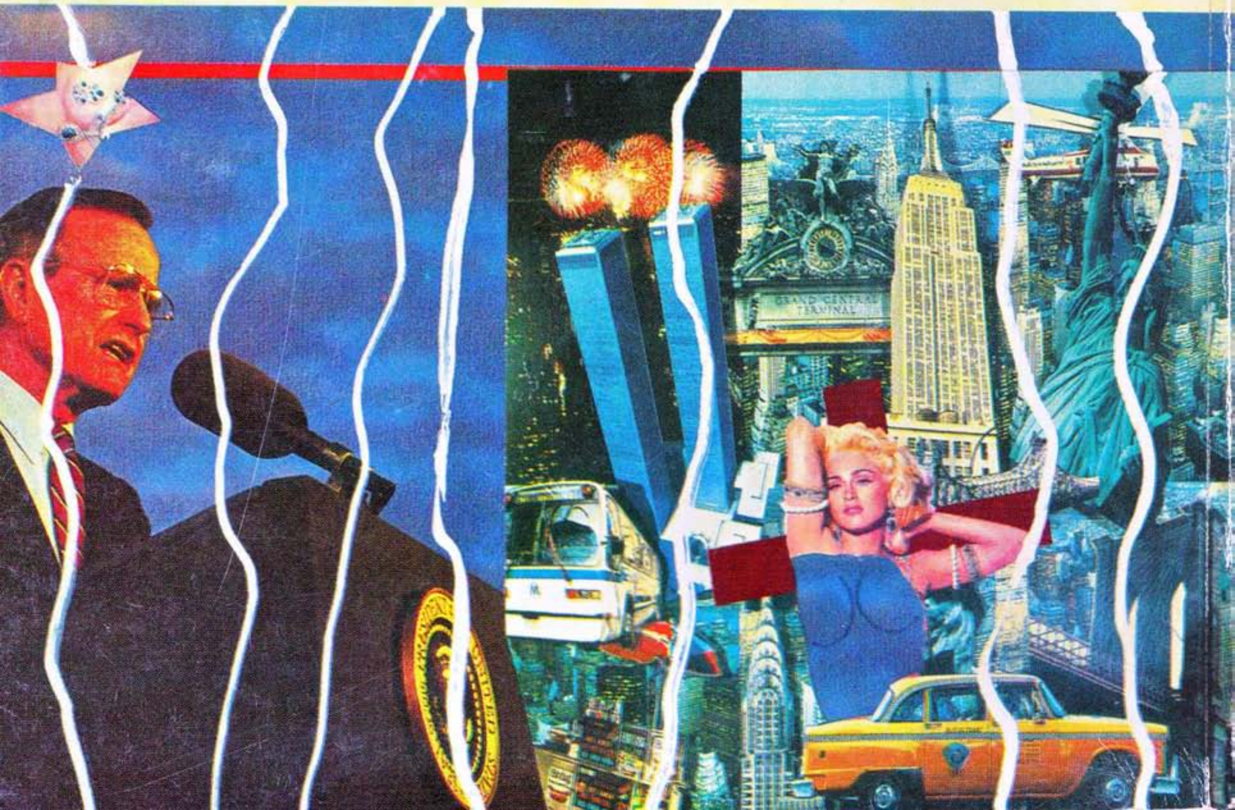
مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١ مكتبة الأسرة

رضا هلال

تفكيك أمريكا

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الأعمال الخاصة



تفكيك أمريكا

لوحة الغلاف

اسم العمل الفنى : **الانهيار**

التقنية : **كولاج**

المقاس: **٢٢ × ٣٥ سم**

منى محمود

مزجت الفنانة بين عناصر شتى، كلها من المجتمع الأمريكى، وفى الجانب الأيمن اختارت صورة للرئيس الأسبق چورج بوش الأب وهو يلقى خطاب، .. وكما يتناول الكتاب المحاور الحاكمة لأمريكا «الديمقراطية والمساواة والحرية»، فإنه فى المقابل يسلط الضوء على صورة الأمريكى الكاوبوى المقاتل، الفرد المقدس، ويضعنا أمام صورة تفكيك الحلم الأمريكى، المجتمع الذى يفرق بين الأسود والأبيض، والغنى والفقير، ويرضخ تحت سطوة وسيطرة جماعات المصالح، هكذا حاولت الفنانة من خلال تركيب العناصر المختلفة أن تضع عين المشاهد على المعانى المختلفة لفكرة التفكيك.

محمود الهندى

تفكيك أمريكا

رضا هلال

مهرجان القراءة للجميع
للطفل. للشاب. للأسرة
جمعية الرعاية المتكاملة

مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١

مكتبة الأسـرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الفكرية)

تفكيك أمريكا

رضا هلال

الغـلاف
والإشراف الفنى:
الفنـان : محمود الهندى

المشرف العام :
د . سـمير سرحـان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقـافـة
وزارة الإعـلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة الإدارة المحلية
وزارة الشـباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم :

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب فى المعرفة واقتناؤه غاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها فى تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة» السيدة سوزان مبارك التى لم تبخل بوقت أو جهد فى سبيل إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها.. جاهدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً وبسعر فى متناول الجميع ليشبع نهمه للمعرفة دون عناء مادى وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتربع فى صدارة البيت المصرى بثراء إصداراتها المعرفية المتنوعة فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليون نسخة كتاب بين أيادى أفراد الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً وشيوخاً تتوجها موسوعة «مصر القديمة» للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزء). وتنضم إليها هذا العام موسوعة «قصة الحضارة» فى (٢٠ جزء).. مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب فى البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصرية زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً فى عصر المعلومات.

د. سمير سرحان

طبعــة خاصــة
تصدرها الأعلامية للنشر
ضمن مشروع مكتبة الأسرة

رقم الإيداع: ٢٠٠١/١٣٩٦٨
S.B.N 977-01-7476-9

الإعلامية للنشر

الشركة الإعلامية للطباعة والنشر "ستامبا"
١١ ميدان سفنكس – المهندسين ت: ٣٤٤٨٨٢٤ فاكس: ٣٠٣٤٤٠٨

صدر للمؤلف

- **صناعة التبعية**
  دار المستقبل العربى، القاهرة ١٩٨٧
- **الصراع على الكويت: مسألة الأمن والثروة**
  دار سينا للنشر، القاهرة ١٩٩١
- **لعبة البترودولار: الاقتصاد السياسى للأموال العربية فى الخارج**
  دار سينا للنشر، القاهرة ١٩٩٢
- **تحديث التخلف: الدولة والمجتمع والاسلام فى مصر**
  دار سينا للنشر، القاهرة ١٩٩٣
- **السيف والهلاك: الجيش والإسلام السياسى فى تركيا**
  دار الشروق، القاهرة ١٩٩٨
- **أمريكا الحلم والسياسة: من أوراق التغريبة الأمريكية**
  دار الحضارة، ١٩٩٩
- **أرض الميعاد والدولة الصليبية: أمريكا فى مواجهة العالم منذ ١٧٧٦**
  (ترجمة)، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٠ التغريبة الأمريكية دار الحضارة ١٩٩٩
- **المسيح اليهودى: المسيحية السياسية والأوصولية فى امريكا**
  مكتبة الشروق ٢٠٠١ (طبعتان)

المحتويـــات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

إهداء الطبعة الثانية

إلـــى ...

ليبرالية إبراهيم نافع

مقدمـــة

لم يكن فى تخطيطى يوما، أن أعيش لسنوات فى الولايات المتحدة الأمريكية، دارسًا وباحثًا وصحفيا، فقد كانت أوروبا، وفى القلب منها فرنسا، دائمًا الأكثر قربًا إلى العقل والنفس والجغرافيا.

فأمريكا، كنا ومازلنا لها وراء البحار، ضمن الشرق الأدنى أو الشرق الأوسط المغاير ثقافيا وحضاريا. ولجيلى الذى تلقى تعليمه خلال فترة المد القومى واليسارى، كانت أمريكا «إمبريالية» و«صهيونية» .. وكنت من عديدين من ذلك الجيل، ممن رفضوا دعوات رسمية للفرجة على أمريكا.

وعندما عرض علىّ أن أعمل مراسلا صحفيا بها، وأن تتاح لى فرصة الدراسة والبحث، كان شرطى الوحيد أن أجرب الاقامة لمدة شهر فى أمريكا، ثم أقرر ما إذا كنت سأقبل العرض أم لا.

وحملت حقيبة صغيرة على كتفى، بادئا، تجربة الاكتشاف دون حماس كبير، وتلكأت فى فرنسا لفترة. ومن هناك عبرت المحيط الأطلنطى وداخلى إحساس مزدوج، بل متناقض، بين إعجابى بالوجه الحضارى لأمريكا ورفضى للوجه الامبريالى لها.

ولما نزلت مطار جون كنيدى فى نيويورك، بدت أمريكا أقل تحضرا وجمالا فى المظهر والمسلك من أوروبا التى اعتدتها. ولكن ما إن انطلقت سيارة «التاكسى» فى شوارع نيويورك، حتى ظهرت صورة أمريكا الفتية المتعافية. فالشوارع ملأى بشباب يركضون فى لهاث، لدرجة تبدو معها أوروبا عجوزا متباطئة. وبين ضواحى فقيرة وغير نظيفة كمدن العالم الثالث، وأخرى ما بعد حداثية تنتصب فى قلبها ناطحات السحاب، وصلت إلى الفندق الذى حجزت به فى الجادة الثامنة مع الشارع الثالث والخمسين. وكعادتى، استبد بى هاجس التعرف على معالم المكان الذى سأقيم فيه، على الخريطة أولاً، ثم سيرا على القدمين. وجدت تحت الفندق «مطعما لبنانيا» وأمامه بقالة يديرها يمنيون. وقادتنى قدماى بين دور عروض «البورنو» التى تعرض رقص «الاستربيتز» وأفلام ومجلات ومطبوعات الجنس، لألقى أمامى «لنكولن سنتر» للفنون الأدائية، عند تقاطع جادة أمستردام مع الشارع الثانى والستين، ثم جامعة «فوردهام» التى استطلعت عن الدراسة بها، وانحرفت جنوبا لأجد متحف «المتروبوليتان» ثم حديقة «السنترال بارك» وقاعة موسيقى «راديو سيتى»، ومسارح «برودوى» ثم مكتبة نيويورك العامة.

ولأيام عديدة، ظللت أتجول بالشوارع أزور المعالم والضواحى من بروكلين، إلى كوينز، إلى هارلم، وبرونكس، ألتقى الناس العاديين والبارزين. وأصبحت نيويورك لى مثالا للغنى الإنسانى والثقافى وللتناقض أيضا. فهى العاصمة المالية (وول ستريت) والثقافية (الصحافة والنشر والفن) لأمريكا والعالم. وهى –أيضا– عاصمة العنف والجريمة والفقر فى الشوارع الخلفية. وهى –أخيرا– عصبة عالمية يتجاور فيها البيض والسود والهيسبانيون (من الأصول الأمريكيةاللاتينية والآسيويون واليهود..

ومن نيويورك، انتقلت إلى نيوجيرسى وبنسلفانيا وفيلادلفيا ثم العاصمة واشنطن دى. سى، ثم إلى شيكاغو وتينيسى وكاليفورنيا حتى تكساس وفلوريدا. وتشكلت لدى صورة أولى عن أمريكا.

وفى نهاية رحلة الشهر، وجدتنى أقبل عرض العيش فى أمريكا. فقد أصبح شغلى الشاغل: فهم أمريكا. وبدأت «التغريبة الأمريكية» بأن التحقت بجامعة «فوردهام»لأتخصص فى الدراسات الأمريكية، قبل أن أتحول إلى جامعة نيويورك، لاستكمال دراسات العلوم السياسية، وإلى جانب الدراسة، كنت أقضى بقية يومى لمدة أربع سنوات، كمراسل صحفى بين مبنى الأمم المتحدة وبورصة «وول ستريت»، وأعرج بين وقت آخر على واشنطن، أو أسافر إلى إحدى الولايات الأمريكية لمتابعة حدث ما أو لمتابعة فهم أمريكا.

وطيلة محاولة فهم أمريكا، ظل عقلى مسكونا بصورة مصر –والمنطقة العربية الاسلامية– من ناحية، وصورة أوروبا –وفرنسا تحديدا– من ناحية أخرى. صورة مصر والمنطقة العربية الاسلامية، كانت تفرض السؤال عن حالة الانحباس الحضارى، وإعاقة التقدم نحو الحرية والديمقراطية والمساواة والحداثة، أو بمعنى آخر، السؤال عن أسباب تخلفنا وتقدم أمريكا، وعن القيم والمؤسسات التى تقدمت بها أمريكا، وتلك التى تخلفنا بها.

وصورة أوروبا وفرنسا تحديدا، كانت تفجرالمقارنة بين الثورتين الأمريكية والفرنسية، وتبرز تمايز التجربة الأمريكية فى مسائل الديمقراطية والدين والرأسمالية. وتستعيد تاريخ صعود أوروبا (عسكريا واقتصاديا وثقافيا)، ليصبح القرن العشرون هو (القرن الأمريكى) بتعبير الكاتب الأمريكي هنرى لوس. وكانت صورة مصر، تستحضر إلى ذهنى صورة رفاعة الطهطاوى (١٨٠١–١٨٧٣)، المبعوث المصرى إلى فرنسا فى أوائل القرن التاسع عشر، والذى طرح السؤال: لماذا تقدمت أوروبا وتخلفت مصر، ثم أصبح «الأب الروحى» للمثقفين الحداثيين فى مصر، من أحمد لطفى السيد إلى سعد زغلول وفتحى زغلول وطه حسين ومحمد حسين هيكل(باشا) وإسماعيل مظهر إلى سلامة موسى ونجيب محفوظ وتوفيق الحكيم ولويس عوض وحسين فوزى. أما صورة فرنسا. فقد جعلتنى أنكب على قراءة الفرنسيين: القاضى أليكس دى توكفيل، والفيلسوف ميشيل فوكو.

دى توكفيل، كان المبعوث الفرنسى إلى أمريكا فى الفترة نفسها التى ابتعث فيها الطهطاوى إلى فرنسا. ورجع دى توكفيل ليكتب كتابه «الديمقراطية فى أمريكا» الذى صدر فى جزءين عامى ١٨٣٥ و١٨٤٠. فقد استرعى انتباهه أن المجتمع الأمريكي جرى تشكيله من كل أمم العالم ومن مختلف اللغات والمعتقدات والآراء. وتوصل إلى أن «الكيمياء» التى تربط بينهم، هى التزام الأمريكيين بالديمقراطية. واعتبر أن «المشاركة المدنية» هى المعلم الأعظم والموحد الأكبر للأمريكيين. أما القيمة الثانية التى انبهر بها دى توكفيل الفرنسى فى أمريكا فهى قيمة المساواة، وبما جعله يقول إنه لم يعجب من شئ من تلك الأشياء الجديدة التى استرعت نظره فى أمريكا طوال المدة التى قضاها فيها، قدر تعجبه من تساوى أفراد الشعب الأمريكى.

ويخلص دى توكفيل إلى أن التساوى بين الأمريكيين جعل الديمقراطية التى تسود أمريكا أفضل من التى تشهدها أوروبا وقتئذ. فإعلان الاستقلال الأمريكى أقر للأمريكيين حقوقا متساوية فى الحياة والحرية وطلب السعادة. والمفاضلة بين أمريكا وأوروبا، كما رآها دى توكفيل، ترجع إلى المساواة فى أمريكا، بينما تنزع أوروبا إلى الأرستقراطية.

أما ميشيل فوكو، فقد كان هادياً لى فى تفكيك أمريكا ما بعد الحداثة، وما بعد محاولة دى توكفيل. بنحو قرن ونصف قرن. بمفاهيم المعرفة والسلطة وميكانزمات السلطة والذات.

وتفكيك أمريكا من خلال فوكو، سيصبح فهما لتجربة انسانية عقلانية فى الحياة والحيرة، أى أن تفكيك أمريكا سيجرى من خلال تفكيك أفكار وسلوكيات الأمريكيين الرواد المؤسسين والسياسيين والكتاب والمبدعين والأفراد العاديين فى ممارسة حقوقهم التى كفلها إعلان الاستقلال، فى الحياة والحرية وطلب السعادة. وبمعنى آخر، فإن صورة أمريكا، بتفكيكها، تتحدد من خلال «تكنولوجيا» للمجتمع يحاول بها تشكيل الفرد وتحديد طرق معيشته والسيطرة على الأجسام والأفكار والعلاقات، ومن خلال تكنولوجيات ذاتية للأفراد يمارسون بها الحياة والحرية وتتحقق بواسطتها عملية التنوع أو التفرد الانسانى. ففى علاقة التفاعل بين تكنولوجيا المجتمع -السلطة وتكنولوجيا الذات، تصبح الحرية حقيقية وهدفا لـ«الأمريكى» لتحديد كيانه وانسانيته داخل المجتمع مقابل السلطة.

وندين بالكثير للبروفيسور هارولد بلوم، فى جامعة نيويورك. لقد ركزت المدرسة الأمريكية (جامعة ييل) فى «التفكيك» على النصوص الأدبية. ثم نقلت المدرسة الفرنسية -من خلال ميشيل فوكو وجاك دريدا- التفكيك إلى المجالين النفسى والفلسفى. ونقل هارولد بلوم المدرسة الأمريكية فى التفكيك من مجال النصوص الأدبية إلى مجال التجربة الانسانية -الدينية، ومن التركيز على العنصر الجمالى فى النص الأدبى إلى التركيز على العنصر الإنسانى. ولذلك. فإن محاولتنا «تفكيك أمريكا». ستركز على عنصرية التجربة الإنسانية، الفردية الجماعية، ليس فقط من خلال النصوص، وإنما أيضا من خلال ممارسة الحرية والحياة. فى السياسة والدين والجنس.

وبهذه المنهجية، جرى تقسيم الكتاب إلى خمسة فصول:

الفصل الأول: شخصية أمريكا

ويتناول قيم الحلم الأمريكى، وهى الديمقراطية والمساواة والحرية والوفرة، ويحاول رسم «الشخصية الأمريكية» من خلال صفات الأمريكى: «الفرونتيير -الكاوبوى»، و«البراجماتى» و«الفرد المقدس»، وعبرمفاهيم: «بوتقة الانصهار» (الاندماج)، و«صحن السلاطة» (التعددية الثقافية(و«المصير المبين» (التوسع).

الفصل الثانى: أمريكا الحلم والسياسة

ويناقش تعارضات القيم والممارسات الأمريكية، فالحلم الأمريكى فى الثروة تقابله أمريكا الأخرى المعدمة. والحلم فى المساواة يستبعد الزنوج لتصبح أمريكا أمتين: سوداء وبيضاء. والحلم فى الديمقراطية تهدده الرأسمالية. بتحويل السوق السياسية إلى سوق تجارية. والحلم فى المشاركة السياسية تضعفه الجماعات المصلحية والعرقية. وينتهى الفصل بمناقشة معضلة أمريكا.. تناقض القوة العسكرية والتراجع الاقتصادى.

الفصل الثالث: الدين الأمريكى

ويبرز تمايز التجربة الأمريكية عن التجربة الأوروبية فى الفصل بين الكنيسة والدولة فيناقش دور مؤسسى الجمهورية الأمريكية (خصوصا جيفرسون) فى إبعاد الدولة عن المجال الدينى حتى لا تفرض مذهبا محددا أو كنيسة محددة، لتصبح التجربة الدينية تجربة فردية، ثم يستعرض «أمركة المسيحية» من ناحية صبغ المسيحية بالصبغة الأمريكية، ومن ناحية ظهور عقائد وكنائس أمريكية. وينتقل إلى «تهويد المسيحية» فى أمريكا حتى الدرجة التى أصبح بها يسوع نبيا يهوديا. وأخيراً نتعرض إلى «الأصولية المسيحية» ودورها السياسى.

الفصل الرابع: الجنس فى أمريكا

ويعرض تصورات الأمريكيين عن الجنس باعتباره أقصى تعبير عن الحلم الأمريكى فى الحرية، من خلال تناول علاقة الجنس والديمقراطية والرأسمالية، ونظرة المرأة الأمريكية للجنس: «مس أمريكا.. ولذة الجماع» ثم «حالة الجنس فى أمريكا» بواسطة المسح الإحصائى، وأخيراً مناقشة تصادم الحرية والمساواة فى تجارة الجنس.

الفصل الخامس: فى الثقافة الشعبية الأمريكية

ويبحث فى ثقافة الجمهور والميديا عن الرموز والتخيلات الأمريكية، التى تشكل صور الجمهور عن الذات والأشياء والآخر. فيتناول مسألة «هوليوود والعنف والجنس» ثم «رامبو مثال القوة» ثم «أغانى الراب وتمرد الجيتو الزنجى»، وأخيرا صورة الآخر: «العربى القبيح نموذجا».

وبذلك المنحى فى المنهج والتناول، قصدت ألا يكون هذا الكتاب من كتب الرحلات المتواترة يوميا عن أمريكا، أو من كتب التجارب الذاتية (المسلية) فى أمريكا، بل إن يكون كتابا عن أمريكا والأمريكيين، يتوسم وصف أمريكا وفهم الأمريكيين من خلال تفكيك الأثريات المعرفية الأمريكية والخطاب الأمريكى والممارسة الأمريكية للحياة والحرية، إنه يطمح لأن يكون «صورة معرفية لأمريكا».

والله الموفق

رضا هلال

نيويورك - القاهرة ١٩٩٧

الفصل الأول

شخصيـــة أمريكـــا

الأمريكى براجماتى تجريبى.. الأمر الذى معناه أن أكثر الصفات الإنسانية قيمة صفات الرجل «ألعملى» لا النظرى.

هارولد لاسكى

منذ نهاية القرن التاسع عشر. أصبح الكاوبوى هو «الفرونتيير المقاتل» أى الرائد والمكتشف الذى يستطيع أن يهزم رجلين أو ثلاثة بعضلاته وسلاحه، باعتباره رمز البطولة الأمريكى.

اثيل ومارتين تايرسكى

الفردية تكمن فى صميم الثقافة الأمريكية، وهى فردية ليست نظاما أحادى الجانب، فهناك فردية مرتبطة بالأنجيل، وأخرى مدنية، إلى جانب الفردية المنفعية والتعبيرية.

روبرت بيلا

(١) الشخصية الأمريكية

يحدثنا الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو عن «رسم الذات –Self Stylization» كممارسة انسانية عقلانية للحياة والحرية.

وتجرى تلك الممارسة بـ«تكنولوجيات الذات Self Technologies» التى تسمح للأفراد بأن يؤثروا من خلال وسائلهم الخاصة، أو بمساعدة الآخرين فى عمليا محددة على أجسادهم وأرواحهم وأفكارهم وسلوكهم وطريقتهم فى الوجود، من أجل تحويل أنفسهم لتحقيق حالة محددة من السعادة والطهر والحكمة والكمال أو اللا أخلاقية.

وبمفهوم فوكو فإن «صورة الذات Self Image» الفردية والقومية، ترسم من خلال أفكار وسلوكيات لتحقيق حالة ما أو هدف ما فى الممارسة الإنسانية للحياة والحرية[١].

لقد كانت الحرية والحياة دون حدود أمام الرواد المستوطنين الأوائل لأمريكا. ونص إعلان الاستقلال الأمريكى ١٧٧٦ على أن كل الرجال خلقوا متساوين. وقد منحهم الله حقوقا محددة وغير قابلة للتصرف من بينها الحياة، والحرية وطلب السعادة. فما هى القيم والعادات التى كونت الأساس الأخلاقى لـ«رسم الذات الأمريكية»؟ أو بمعنى آخر ما هى التكنولوجيات التى شكلت الذات الشخصية الأمريكية؟

الفرونتيير-الكاوبوى

فى ورقة كتبها فردريك تيرنر عام ١٨٩٣ تحت عنوان معنى «الفرونتيير» فى التاريخ الأمريكى. قال:

«إن التاريخ الأمريكى بدرجة كبيرة هو تاريخ استعمار الغرب العظيم. فوجود مناطق واسعة من الأرض وتقدم الاستيطان الأمريكى تجاه الغرب، يشرحان كيفية تنمية أمريكا[٢].

غير أن «حدث» وجود قارة شمال أمريكا، غير مأهولة وبها مصادر الأرض الخصبة الشاسعة والغابات والمعادن التى تنتظر الاستغلال، لم يكن كل شئ. ولكن وجود «الفرونتيير»الذى اندفع صوب الغرب، هو الذى شكل الشخصية الأمريكية والحضارة الأمريكية. ويقول والترسكوت ويب، فى كتابه «الفرونتييرالعظيم»، إن الفرونتيير الذى تحرك من ساحل المحيط الأطنطى إلى ساحل المحيط الهادى، أضفى طابعه على سيكولوجية الولايات المتحدة وأفكارها ومؤسساتها.

ويربط ويب بين «حركة الفرونتيير» و«نظرية دعه يعمل.. دعه يمر» بقوله إن الفرونتيركان يتبع نظرية دعه يعمل.. دعه يمر.. قبل نحو قرن من صياغة آدم سميث لها،

إذ إنه ما كان لهذه النظرية أن توجد دون وجود «وفرة» كافية للعمل والحركة. إذن، يمكن فهم الشخصية الأمريكية على أساس فكرة «الفرونتييرز» أى الرواد المستكشفين الذين تحركوا من الساحل الشرقى، لاجتياح غرب البلاد على موجات متتالية إلى الغرب الأوسط ثم الغرب الأقصى، حتى انتهوا من فتح القارة عام ١٨٩٠.

ومن هنا، اتسمت الشخصية الأمريكية بروح الريادة والاستكشاف، التى دفعت الأمريكى إلى الحراك الدائم للاستيلاء على الأراضى البكر واجتياح الشعوب الهندية. وقد ارتبطت مسيرة الغزو -النهب صوب الغرب. بفكرتى الوفرة، والتوسع، اللتين ميزتا الطابع الأمريكى -فيما بعد. فالسعى إلى الوفرة يدفع إلى العمل والتحرك فى سباق إلى الأمام نحو المجهول، وباقتناع بأن ما هو كائن وراء الأفق لايمكن إلا أن يكون الأفضل. والتوسع صوب الغرب، سيتحول بعد إكمال فتح شمال أمريكا، إلى توسعية أمريكية فى العالم.

وتلتقى فكرة الفرونتيير مع فكرة الاعتماد على الذات . لقد كتب ألكيس دى توكفيل. فى ثلاثينيات القرن التاسع عشرة. عن الأمريكيين أنهم لايدينون بشئ لأحد، ولايتوقعون شيئا من أحد.. إنهم يطورون عادة أن يعتبروا أنفسهم كلا بمفرده. وإنهم يحبون أن يتخيلوا أن أقدارهم بأيديهم. فكان على الفرونتيير أن يقوم بكل شئ بنفسه، وأن يعتمد على نفسه.. فهو لايحتاج مساعدة الآخرين، وليست لديه ارتباطات تجاه النساء والأطفال ويظل مطلق السراح. وسيجسد هذه الشخصية قبل الحرب الأهلية فى ستينيات القرن التاسع عشر، دانييل بون. الذى اكتشف برارى كنتاكى. وفى إحدى رحلاته قضى عامين فى البرارى يحارب الطبيعة والهنود الحمر حتى أسروه عام ١٨٨٧. ولأنهم فتنوا بقوته البدنية ومهارته ضموه إلى قبيلتهم، ولكنه استطاع الهرب بعد ذلك.

بعد ذلك، وبنهاية القرن التاسع عشر، ستظهر شخصية «الكاوبوى .فلم يعد الصراع صراعا ضد الطبيعة فى البرارى، وإنما صراع الرجل ضد الرجل، صراع الكاوبوى ضد المزارعين والخارجين على القانون والهنود الحمر.

وكان (الكاوبوى) يعمل لدى أصحاب مزارع الماشية، يقضى يومه فوق صهوة جواده يرعى الماشية فى البرارى ويسوقها للأسواق. ولأن القانون لم يكن قد استقر بعد، كانت القوة البدنية ومهارة استخدام الأسلحة والمسدسات، وكان (تقليد العنف) من أجل السيطرة على البرارى والأشياء والهنود الحمر. هنا سيصبح (الكاوبوى) هو (الفرونتيير المقاتل) الذى يستطيع أن يهزم رجلين أو ثلاثة بعضلاته أوبسلاحه.. وفيما بعد سيصبح (الفرونتيير -الكاوبوى) رمز البطولة الأمريكى[٣].

وارتبط بفكرة الاعتماد على الذات، أن كان (الفرونتيير) مرنا ومبدعا. فبعد الريادة والاستكشاف كان عليه أن يعمر. ولكى يعمر كان يتعين عليه أن يكون مرنا، قابلا للتكيف



صورة من مكتبة
جامعة كنتاكى

دانييل بون
(١٧٣٤ - ١٨٢٠)
الرمز المثالى
للفرونتيير، الذى
أصبح الكاوبوى
الأمريكى



مع الآخرين، حيث يلتقى القادمون من الشمال مع أولئك القادمين من الجنوب والمهاجرين من اثنيات مختلفة. ولكى يعمر كان يتوجب عليه -ايضا- القيام بكل شئ من بناء وصنع أثاث وزراعة ورعى وحراسة.

ويقول فردريك تيرنر، إن المرونة والإبداع كصفتين تميزان الشخصية الأمريكية، ولدتا مع تجربة الفرونتيير. وكانت من الصفات اللصيقة بالفرونتيير، صفة المغامرة، التى دفعته إلى التحرك لاستكشاف الذهب فى كاليفورنيا، والفضة فى مونتانا، والأرض الخصبة فى الغرب الأوسط.

ذلك التحرك من مكان، إلى مكان، وبدء حياة جديدة، أصبح صفة مميزة للشخصية الأمريكية. فالرغبة فى بدء حياة جديدة فى مكان جديد تجعل نحو ٤٠ مليونا من الأمريكيين يغيرون سكناهم سنويا، حتى أن الأمريكى يغير سكناه نحو ١٤ مرة خلال حياته فى المتوسط، كما أن الأمريكيين -أكثر من أى شعب آخر- يغيرون وظائفهم وأزواجهم.

وأخيرا لعب الفرنتيير دورا مهما فى تطور أمريكا. فالفرونتيير، كان يتحرك من مركز حضارى أقدم فى الشرق الأمريكى ومعه الآلات والمعدات، التى يستخدمها فى حياته ليطور مراكز جديدة فى الأراضى الجديدة التى (يستعمرها) ويطور سلوكيات وعادات جديدة[٤].

ويقول الاقتصادى الأمريكى ألفن مانسن إن روح الفرونتيير ارتبطت بارادة تحمل المخاطر والجرى وراء الفرص الاقتصادية وتحريك رأس المال من مكان لآخر، اعتمادا على اختلاف العائد الاقتصادى. كما ارتبطت روح الفرونتيير بتطوير الاختراعات واستحداث تكنولوجيات جديدة ومنتجات جديدة.

ويعتبر والتر ويب أن مؤسسات الأعمال تطورت كهندسة للأفكار والممارسات بين الرواد المكتشفين (الفرونتييرز) اعتمادا على الفردية فى ظروف الوفرة.

ويتفق هانسن مع ويب، فى أنه مع ركود حالة الفرونتيير باكمال فتح القارة فى نهاية القرن التاسع عشر، بدأت أمريكا تواجه الركود، حتى حدث الركود الكبير عام ١٩٢٩، وبما صدم الأمريكيين فى إيمانهم بأفكار (الوفرة) و(دعه يعمل.. دعه يمر). ثم كان تدخل الدولة من خلال الصفقة الجديدة New Deal.

البراجماتى

لم تبدع الحضارة الأمريكية فلسفات إلا الفلسفة البراجماتية على يد ويليام جيمس مؤسسها وجون ديون تلميذه الذى عمدها فى أمريكا[٥].

وتقوم البراجماتية فى المقام الأول، على الرفض المنهجى لكل الأحكام المسبقة، وكل المنظومات الجاهزة النظرية والمكتملة. ويقول ويليام جيمس عن البراجماتيه، إنها تحويل

النظر بعيدا عن الأشياء الأولية: المبادئ والنواميس، والحتميات المسلم بها، إلى الأشياء النهائية: الثمرات والنتائج والآثار والوقائع والحقائق. وعنده أن «الحقيقى» ليس سوى النافع فى التفكير، كما أن «الصحيح» ليس سوى النافع فى المسلك.

أما جون ديوى، فيرى أن النظرية لاتفيد إلا كمرشد، ولا تكون صحيحة إلا إذا أدت إلى عمل نتائجه مثمرة. كما أن كل شئ لابد من اختباره وسبر غوره وفقا لفاعليته.

وفى التربية، يؤكد ديون أن المرء لايعلم حقا إلا ما يقوم به بنفسه، ولايجوز له أن يتقبل من معلميه أى شئ لم تجر مناقشته وتحليله.

إن الأمريكى براجماتى أى عملى مصلحى (ليس بالمعنى الانتهازى) تجريبى. فمنذ بداية تاريخ الشعب الأمريكى تكون لديه شعور بأنه يغزو برية وينتزع من الطبيعة مساحة لا حد لها من الأراضى البكر، الأمر الذى معناه أن أكثر الصفات الانسانية قيمة، صفات الرجل العملى لا النظرى.

لقد كان هناك حماس وإعجاب بكل ما هو مادى وملموس وخاص، أما التجريد أى التعميم فكان ينظر إليه باعتباره عقيما، لأن البيئة تطلبت رجالا يستطيعون صنع الأشياء، من تطهير الغابات إلى بناء البيوت ومد الطرق. كما أن العقل المتأمل ارتبط عند الأمريكيين بالارستقراطية التى كانوا ينكرونها.

إن الأمريكيين لا يثقون بالنظرية، ويعلقون الأهمية على (الأفكار) فقط عندما تحل مشاكل محددة.

ولذلك فإن الرجال الذين يثيرون الإعجاب ليسوا من أولئك الذين لهم أفكار نظرية، ولكن الذين يطبقون الأفكار التى ابتدعها آخرون من طراز أديسون وفورد.

كما أن السياسيين الناجحين -عند الأمريكيين- هم من يقدمون أفكارا عملية أو يطبقون أفكارا سياسية نافعة، وهذا هو السبب-كما يقول هارولد لاسكى- فى أن الأمريكيين، ينظرون إلى بنيامين فرانكلين على أنه الرمز الأسمى للروح الأمريكية، لأنه نجح فى كل ما حاول عمله، كان يقابل الملوك والساسة ورجال التجارة والعمل على قدم المساواة. وكان من أبرز الشخصيات فى علم الفيزياء واختراع موقد الطبخ. وكان يتصف بالتواضع والتفاؤل وروح المودة وحب البحث والتفكير العلميين. بهذه الصفات كلها كان فرانكلين خلاصة رائعة للفكرة الأمريكية عن المواطن الفاضل(٦). وترتبط فكرة البراجماتية عند الأمريكى بفكرة المصلحة، فالأمريكى لايهتم إلا بما يمثل له مصلحة، وهو يصادق ويشارك ويعادى من له معهم مصلحة، دونما اعتبار لاتفاقه أو اختلافه معهم فى المثل والقيم الأخلاقية. فأمريكا على استعداد دائم لحماية نظم عميلة وديكتاتورية، كما حدث فى أمريكا اللاتينية والشرق الأوسط، لأن لها مصالح معها بالرغم من ادعائها (أمريكا) تشجيع

الديمقراطية وحماية حقوق الانسان، كما أنها على استعداد لخوض حروب تجارية مع دول تتفق معها فى القيم السياسية (اليابان مثلا) من أجل مصلحتها، بالرغم من ادعائها تشجيع حرية التجارة، وعندما تمثل حرية التجارة مصلحتها فإنها لاتتورع عن أن تدوس الحريات السياسية، كما هو حادث فى علاقات أمريكا مع الصين.

وترتبط فكرة البراجماتية، ايضا مع فكرة «التجريب» وهو ما انعكس فى التجريب الصناعى والبحثى. وقد عبر عن فكرة التجريب الروائى الأمريكى مارك توين بقوله: إذا كان الرجل الانجليزى من يصنع الأشياء التى سبق صنعها، فإن الأمريكى يصنع الأشياء التى لم تصنع من قبل. وقوله: إن الأمريكيين يحبون محاولة الأشياء الجديدة بسبب الاعتقاد بأن الأحدث قد يكون الأفضل. وهناك ارتباط بين فكرة البراجماتية، وفكرة اللاثقافية Anti intellectualism. فالأمريكى لا يهتم بدرجة كبيرة بماذا تعرف بقدر ما يهتم بمن تعرف، ولايهتم بما حصلت من معرفة بدرجة مايهتم بما عملت، وبالرغم من التقدم التكنولوجى فى أمريكا فإن «المثقفين» فيها لايحظون بالتقدير الذى يحظون به فى دول أقل تقدما، ولايحصل الأساتذة الجامعيون والباحثون بها على دخول كبيرة بالمقارنة بمهن أخرى كالطب والمحاماة والمحاسبة.

الفرد - المقدس

يقول عالم الاجتماع روبرت بيلا فى كتابه «عادات القلب- ١٩٨٥»، إن الفردية تكمن فى صميم الثقافة الأمريكية، ويوضح أن الفردية الأمريكية ليست نظاما احادى الجانب، فهناك فردية مرتبطة بالانجيل، وفردية مدنية، وفردية منفعية وتعبيرية.

فالمستوطنون البيوريتانيون الأوائل، اعتقدوا فى أن الخلاص فردى، وأن الفرد مسئول أمام الله دون وصية من كنيسة، وأمام الإنجيل دون تفسير من كاهن، هؤلاء البرتستانتيون، آمنوا بأن كل فرد تتحدد مكانته دينيا ودنيويا بأعماله، حتى أن العمل سيصبح تجسيدا ماديا للفضيلة، بل إن العمل والفضيلة سيرتبطان فى تحقيق الثروة. فالغنى هو من عمل وكان الله يحبه حتى وصل إلى الثروة (الفردوس الأرضى). أما الفقير فهو أمام أمرين، إما أنه يفتقد الحماس وإما أن الله لم يحبه، ويستنتج هارولد لاسكى من ذلك أن الفردية الأمريكية هى الشكل الدينيوى للبيورتيانية الأمريكية. ذلك الشكل الذى يدع الفرد وجها لوجه أمام مصيره، مثلما جعلته البيورتانية وجها لوجه أمام الله.

هنا سيكون الفرد -العصامى، هو المثال الأمريكى فلا ارستقراطية ولا طبقة صاحبة امتياز.

لقد كان فوز توماس جيفرسون فى الانتخاب الكبير عام ١٨٨٠، معناه أن أفكار الارستقراطية الانجليزية قد انهزمت، ولن يعود هناك محل لدولة أمريكية تنتصر فيها الفكرة التى ترى أن يعهد بالحكم إلى «طبقة ممتازة» فى المجتمع.

وفى ستينيات القرن التاسع عشر، قال الرئيس ابراهام لنكولن إنه يأمل فى أن يسمح لأكثر الرجال تواضعا فرصا متساوية للثراء مع أى فرد آخر، وإنه عندما يبدأ أى فرد فقيرا كمظعم الناس فى سياق الحياة فإنه يعرف أنه فى المجتمع الحر يمكن أن يحسن أحواله، كما يعرف أنه لاشرط محدداً لما يمكن أن يعمله طيلة حياته.

وفى الحق أن الفردية الأمريكية ترعرعت فى بيئة «الوفرة» وتكافؤ الفرص. فالوفرة وفرت للأفراد تكافؤ الفرص بدلا من تدخل الدولة لتحقيق المساواتية، بل إن الوفرة كانت مكافأة وتشجيعا للركض وراءالثراء المادى، وفى ظل تكافؤ الفرص كان الاعتقاد فى أن الفرد لن يظل عند ما بدأ عليه، وفى فكرة أن الحياة دائمة الحركة نحو حال أحسن. وقد جسد الروائى هواريتو أليجر فى القرن التاسع عشر، أسطورة تكافؤ الفرص فى رواياته عن الصبية من باعة الصحف وماسحى الأحذية الذين أصبحوا أغنياء كما اعتبر الرئيس جيمس مادسون أن التميز فى الملكية الفردية يعكس التميز فى القدرات الفردية.

والقول بأن الشخصية الأمريكية شخصية «عصامية» ينطوى على معنى حقيقى. فالأمريكى يدرك أن فى استطاعته أن يبدأ من الصفر، وأن يصعد إلى أعلى الدرجات دون أن يعوقه ماضيه ودونما أعتقاد فى حتمية تاريخية.

ولعل أهل عناصر حيوية المجتمع الأمريكى أن الفرد يعتقد أنه يصبح موضع تقدير جيرانه وجماعته بسبب الثروة التى حصلها أو الشهرة التى حققها وليس بسبب أصله وطبقته فقط.

والفردية الأمريكية ترتبط بالحرية، الحرية التى لاتقيدها القيود ولكن التى يصونها «نظام» الحرية الاقتصادية التى تقدس الملكية الفردية، والحرية السياسية التى تعلى الفرد على الجماعة، والحرية الدينية القائمة على فردية التجربة الدينية التى لا تقبل وجود كنيسة للدولة، وحرية التعبير دون رقابة من الدولة أو الكنيسة.

وهكذا، فإن الفردية الأمريكية تعتقد فى الفرد -المقدس، الفرد ظل الله على الأرض، نظريا.

أما عمليا، فالفردية تتهدد بتدخل الدولة من أجل المساواتية الاجتماعية، أو من أجل تشريعات تميزية لطبقة أو لمجموعة عرقية (مثل برنامج العمل الإيجابى لمساعدة الأفارقة الأمريكيين).

والفردية أخيرا، محكومة بالوفرة، ووجود فرص متكافئة أمام الكل، وهو وضع انتهى تاريخيا وأصبحنا أمام «حقل تنازعى» يفرض «داروينية اجتماعية» مستمرة من أجل «الانتخاب الاجتماعى»، كمقابل للانتخاب الطبيعى عند داروين، حتى أصبحت الولايات المتحدة «الغابة الاجتماعية» التى يأكل فيها الكبير الصغير باسم الفردية.

(٢) بوتقة الانصهار

كان الشاعر والكاتب المسرحي والروائي إسرائيل زنجويل، الذى رحل إلى أمريكا فى بداية القرن العشرين، هو أول من أطلق تعبير «بوتقة الانصهار». ففى مسرحيته «بوتقة الانصهار» التى عرضت فى نيويورك عام ١٩٠٨، يقول على لسان ديفيد، إحدى شخصيات المسرحية:

«أمريكا هى بوتقة الله، بوتقة الانصهار العظيمة حيث تنصهر فيها كل أجناس أوروبا ويعاد تشكيلها.. إنكم الألمان مع الفرنسيين والأيرلنديون مع الانجليز واليهود مع الروس، فى البوتقة ويخلق الله منكم الأمريكى ..

مجتمع جرى تشكيله من كل أمم العالم.. شعب من مختلف اللغات والمعتقدات والآراء، وبكلمة: مجتمع دون جذور ودون ذكريات ودون تحيزات دون روتين ودون أفكار مشتركة ودون شخصية قومية».

وتساءل توكفيل عن الكيمياء التى تربط بينهم، ثم أجاب بأن تلك الكيمياء هى التزام الأمريكيين بالديمقراطية والحكم الذاتى، إنها المشاركة المدنية المعلم الأعظم والموحد الأكبر للأمريكيين، وفى كتابه «الديمقراطية الأمريكية» الذى صدر فى جزءين عامى ١٨٣٥و١٨٤٠، قال توكفيل: إن المهاجرين أصبحوا أمريكيين من خلال ممارسة الحقوق السياسية والواجبات المدنية الواردة فى إعلان الاستقلال والدستور.

ويتقدم جيمس برايس خطوة فى كتابه «الكومنولث الأمريكى»، الذى صدر بعد كتاب توكفيل بنحو نصف قرن، ليؤكد أن المؤسسات والعادات والأفكار الأمريكية يمارسها القادمون من كل الأعراق، وسرعان ما تجتذب وتصهر الأجسام الغريبة داخلها.

وفى عام ١٩٤٤، كتب جونار ميردال كتابه «العقيدة الأمريكية» وقال فيه: إن الأمريكيين من مختلف الأصول والمناطق والعقائد والألوان تجمع بينهم الأفكار المثالية عن الكرامة والمساواة لكل الانسانية. والحقوق غير المنقوصة فى الحرية والعدل وتكافؤ الفرص. كما أن المدارس والكنائس والمحاكم تعلم تلك «العقيدة» لكل الأمريكيين.

وفى الحق أن فكرة «بوتقة الصهر» حكمت التوجهات الأمريكية خلال القرن التاسع عشر، وحتى منتصف القرن العشرين، بمعنى رفض التعددية الثقافية أولا، وبمعنى سيطرة ثقافة واحدة عامة ثانيا.

فمفهوم «الصهر» خلال تلك الفترة يماثل مفهوم «الهيمنة» لدى الفيلسوف الايطالى أنطونيو جرامشى. فالهيمنة عند جرامشى نظام تسيطر فيه طريقة معينة للحياة والتفكير،

وليس فيه إلا مفهوم وحيد للحقيقة ينتشر فى المجتمع بكل مظاهره المؤسسية والخاصة، ويصوغ بروحيته الأذواق والأخلاق والعادات والمبادئ الدينية والسياسية وكل العلاقات الاجتماعية، وخصوصا فى ملامحها الثقافية والأخلاقية، وبالتالى، فإن الهيمنة هى السيطرة التى يتم التوصل إليها بالموافقة أكثر من القوة، من قبل طبقة أو فئة على بقية المجتمع(٧).

لقد قصد بعملية الصهر- الأمركة، سيطرة الثقافة الأنجلو أمريكية، أو بمعنى آخر، الهيمنة الانجلو أمريكية.

ويقول بنجامين شوارز، فى مقالته أسطورة التنوع، إن الأمركة كانت عملية صهر لابمعنى التطريز وإنما بمعنى السبك. فالمجتمع الأمريكى لم يكن ينظر إليه على أساس أنه نتاج قطعة من روسيا وثانية من أيطاليا وأخرى من بولندا جرى تطريزها معا، وإنما نتاج صهر كصهر خام الذهب لتحويله إلى سبيكة، والأمركة لم تكن تعنى تطهير الأقليات العرقية. بل تطهير الأقليات من عرقيتها(٨).

ويذكر شوارز أنه، بالرغم من أن من كانت أصولهم إنجليزية لم يشكلوا أكثر من ٦٠٪ من البيض عام ١٧٩٠، فإنه كانت لهم هيمنة ثقافية ومن لم يكونوا من الإنجليز تخلوا عن ثقافاتهم تحت الهيمنة الإنجليزية فى اللغة والعادات والمؤسسات. فلم تكن القومية الأمريكية تجميعا للسكان أو للأوروبيين منهم، بل أصبح الأمريكى هو «الإنجليزى المعدل»، ولمقتضيات الأمركة -الصهر، كان دليل المهاجرين اليهود إلى أمريكا، فى تلك الفترة، يورد عبارة أنه لكى تصبح أمريكيا فعليك أن تنسى ماضيك وعاداتك ومثالياتك، وكان راندولف جورن يعرف الأمركة-الصهر، بأنها الدين الانجليزى والتعليم الانجليزى وأساليب الأدب الأنجليزى ومراجع الأدب الأنجليزى والقوانين والأخلاقيات الإنجليزية.

لقد احتاج بناء أمريكا ٣٠٠ عام من حروب الإبادة ضد الأمريكيين الأصليين (الهنود الحمر)، حتى أن المؤرخين يعتبرون توسع أمريكا فى القارة غزوا أكثر منه استيطانا، وكانت تلك الحروب الأطول والأكثر دموية بين الصراعات العرقية فى التاريخ، وكان تدمير السكان الأصليين هو ثمن التطور.

وكانت الحرب الأهلية، كما كتب المؤرخ ويليام آبلمان ويليامز، الصراع الذى قضى على الأسطورة الشعبية بأن أمريكا متفردة، لأنها توحدت على أسس الحرية. فعندما تأسست الولايات المتحدة قبلت أن يظل الشمال والجنوب كيانين اقتصاديين وأيديولوجيين: الشمال الصناعى الليبرالى الرأسمالى، والجنوبى الزراعى الأرستقراطى المعادى للرأسمالية، وفى النهاية، رأى الشمال ضرورة وجود دولة قوية مركزية من أجل النمو الرأسمالى، ودخل الحرب الأهلية متناسيا قيم الحرية والتسامح، ولم تعقب الحرب الأهلية تسوية قومية، كما

تعهد اليانكيون (الشماليون)، بل احتلال عسكرى لفرض النظام السياسى والاقتصادى الجديد فى الأراضى المهزومة بالرغم من مشاعر الكراهية من الجنوبيين وإحساس الشماليين بأنهم غرباء.

إن كل ذلك لايعنى أن عملية الصهر -الأمركة كانت تسير دون تناقضات. صحيح أنه خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، ظلت التقاليد الأنجلو أمريكية هى الثقافة المهيمنة على المجتمع، وأن أغلب سكان المستعمرات جاءوا من انجلترا، وأن الثقل الثقافى جاء من انجلترا، وأن اللغة والقوانين والمؤسسات والأفكار السياسية والعادات والآداب وحتى الصلوات كانت انجليزية إلا أنه مع بداية القرن التاسع عشر، تزايدت الهجرات من غرب وشمال أوروبا وقل عدد المهاجرين الجدد من انجلترا.

ولاحظ المؤرخ فردريك تيرنر، قبيل الحرب الأهلية ما أطلق عليه شخصية أمريكية «مركبة» وتكوين عرق «مختلط» فلم تعد الشخصية أو العادات انجليزية.

وبعد الحرب الأهلية، تدفقت الهجرات من جنوب وشرق أوروبا من الإيطاليين والبولنديين والمجريين والتشيك والسلوفاك والروس واليهود. واستقر القادمون الجدد فى المدن ومعهم أسواقهم وعاداتهم وأديانهم وطرقهم فى الملبس.

ومع دخول الحرب العالمية الأولى، تعرضت «الأمركة» لمتاعب أخرى. فبعد إغراق البحرية الألمانية الباخرة «لوستيانيا» بثلاثة ايام خطب الرئيس ويلسون فى فيلادلفيا قائلا: لن تكونوا بين الأمريكيين اذا اعتبرتم انفسكم مجموعات. أمريكا لا تتكون من مجموعات. وإن من يعتبر نفسه ضمن مجموعة قومية فى أمريكا لم يصبح بعد امريكيا.

وبعد سنين قال ثيودور روزفلت: ليس هناك انتماء لأمريكا بنسبة ٥٠٪ إما أن يعتبر الفرد نفسه امريكيا فقط أو ألا يعتبر نفسه امريكيا على الاطلاق، وانتقد من ينظرون إلى العالم من موقف امة أخرى، وأضاف: إننا أطفال البوتقة. وفى عام ١٩١٥، كتب الفيلسوف الأمريكي اليهودى هوارس كالن فى مجلة «Nation» تحت عنوان «الديمقراطية ضد بوتقة الصهر» قال: إن بوتقة الصهر، لم تعد ذات قيمة كحقيقة أو كمثال. إن الناس يمكن أن يغيروا ملابسهم وسياساتهم وأزواجهم وأديانهم وفلسفاتهم من أجل فائدة عظمت أم تواضعت. لكنهم لا يستطيعون تغيير أجدادهم، فاليهود أو البولنديون أو الانجلوساكسون، إذا تخلوا عن أن يكونوا يهودا أو بولنديين أو أنجلوساكون، فإنهم يتخلون عن وجودهم. وقال إن التنوع العرقى يثرى الحضارة الأمريكية. والأمة ليست شعبًا واحدا إلا بالمعنى السياسى والإدارى.

وشهدت سنوات ما بعد الحرب العالمية خلافات بين الأمريكيين وأوروبا وظهور منظمات عرقية مثل «الفزع الأحمر» و«كوكلوكس كلان». وصدر قانون الهجرة عام ١٩٢٤، ليحدد

حصصا للهجرة على أساس أصول السكان عام ١٨٩٠، بما حدث جذريا من تدفق الهجرة من شرق وجنوب أوروبا.

إلا أنه بتأثير أزمة الكساد فى الثلاثينيات، ثم اندلاع الحرب العالمية الثانية، أدرك الأمريكيون أنهم فى قارب واحد.

وفى خطاب له عام ١٩٤٣ قال الرئيس روزفلت: إن المبدأ الذى تأسست عليه أمريكا وتحكم به أن «الأمريكانية Americanism» مسألة تتعلق بالعقل والقلب، وليست، ولم تكن أبدا، تتعلق بالعرق والأصل. والأمريكى الجيد هو من كان ولاؤه لهذا البلد ولاعتقادنا فى الحرية والديمقراطية. وفى عام ١٩٩٤، وفى كتابه «المعضلة الأمريكية»، لم يظهر جونار ميردال، أى تردد، فى إعلان أن ما يتشارك فيه الأمريكيون، هو «العقيدة الأمريكية» إلا أنه كشف عن فشل تلك العقيدة فى معاملة الأمريكيين البيض للأفارقة الأمريكيين. كما أن كل من تحدثوا عن الديمقراطية الأمريكية من دى توكفيل إلى هوارس كالن، اعتبروا أنها ليست للزنوج. حتى أن مسرحية زنجويل «بوتقة الصهر» لا مكان فيها للسود. بيد أن التاريخ ذاته يؤكد ذلك الحكم، فالمستوطنون البيض كانوا يدفعون أمامهم الهنود الأمريكيين ويقتلون شجعانهم ويستولون على أراضيهم ويشردون قبائلهم واستجلبوا الإفريقيين للعمل فى مزارعهم كعبيد حتى أن دستورهم حمى العبودية، وقوانينهم وضعت خطوطا للتمايز على أساس عرقى، وظلت الحرية للبيض.

وقد كان من الممكن أن تشهد أمريكا صراعات عديدة بين البيض، بتعدد الخلفيات العرقية والدينية والطبقية، لو لم يجمع بينهم كره السود والخوف منهم.

فى ذلك الوقت. كان الأمريكى هو الأوروبى أو المنحدر من أصل أوروبى، أى أن الأمريكى لا يمكن أن يكون زنجيا.

ويبدو أن الصراع لجعل أمريكا أمة واحدة من عنصريها الأبيض والأسود، عملية لم يقدر لها أن تنجح، كما أن مؤسسى أمريكا لم يعتقدوا أن ذلك ممكن. بل إن توماس جيفرسون الذى طور رؤية اجتماعية قامت على التسامح الدينى والسياسى، ومازالت فاعلة إلى الآن، لم تمتد رؤيته إلى العرق الأسود. وقال لا شئ أكثر تأكيدا فى كتاب المصائر من أن أولئك البشر سيصبحون أحرارا. لكن الأقل تأكيدا أن العنصرين -الأبيض والأسود- يمكن أن يعيشا تحت حكومة واحدة متساوين فى الحرية بيد أن ملاحظة برايس عن قوة الصهر الأمريكية المتمثلة فى المؤسسات والأفكار امتدت أيضًا للمضطهدين والمستبعدين. ولاحظ ميردال تصميم السود على التعلق بالعقيدة الأمريكية، لأن العقيدة الأمريكية كانت تعنى للسود أكثر مما تعنى للبيض: الحرية. كما أنها توفر لهم وسائل الحصول على حقوقهم. يقول ميردال: إن السود والمجموعات الأخرى غير المستفيدة من النظام لا

تستطيع أن تبتدع نظامًا آخر للمثاليات السياسية يمكن أن يمثل مصالحهم. كما أن الحرب العالمية الثانية، وضعت العقيدة الأمريكية أمام تحد جديد. فعنصرية هتلر دفعت الأمريكيين لطرح السؤال: كيف نحارب مذهب هتلر حول سمو الجنس الآري، والأمريكيون يحافظون على مذهب سمو البيض فى الداخل؟

وكانت إعادة التفكير فى القضايا العنصرية بمثابة تحد للاتفاق العام بين الأغلبية وزادت من الاتفاق بين الأقليات.

ومن خلال العقيدة الأمريكية. كوّن السود تنظيمات تطالب بفرص متساوية فى العمل ولمعارضة التمييز داخل القوات المسلحة.

وبانتهاء الحرب، فإن الحقوق المدنية سرعت من اعتماد السود على أنفسهم، وساعد على ذلك سقوط الاستعمار الأبيض حول العالم، وظهور دول سوداء مستقلة. وعبر كل أمريكا، طالبت الأقليات بحقوقها حتى أن النساء، الأقلية التى تعتبر أكبر أغلبية من الناحية العددية، طالبت بالمساواة الاقتصادية والسياسية.

صحن سلاطة أم بوتقة غليان

إذا كانت أمريكا قد ظلت «بوتقة انصهار» حتى منتصف القرن العشرين، فإنها الآن لم تعد كذلك، فالهيمنة الانجلو أمريكية، التى وحدت أمريكا تدنت إلى أدنى مستوياتها ثقافيا ولغويا وعنصريا.

ومقابل وصف «بوتقة الانصهار»، تستخدم الكاتبة الأمريكية سوزان راموس، وصف «سلطانية –صحن السلاطة» للتعبير عن التعددية الأثنية والثقافية فى أمريكا.

غير أن تعبير سلطانية السلاطة Salad Bowl لايقنع كثيرين مثل توماس ديوى، عمدة نيويورك الأسبق، الذى قال إن أمريكا تحولت من بوتقة انصهار إلى بوتقة غليان Boling Pot .

والحقيقة أن الولايات المتحدة هى الدولة الأولى فى تعدد الأثنيات والثقافات، أو كما وصفها بين واتينبرج «الدولة العالمية الأولى» التى تضم أعراق وثقافات العالم.

وفى إحصاءات لمكتب الاحصاءات الفيدرالى (١٩٩٤)، فإن البيض يمثلون نسبة ٧٥٪ من السكان، والأفارقة الأمريكيين ١٣٪ والهيسبانيين (ذوى الأصول الأمريكية اللاتينية) ٩٪، والآسيويين ٣٪ أى أنه بعد أن كان البيض ذوو الأصول الأوروبية يمثلون ٩٠٪ من السكان عام ١٩٠٠ أصبحوا الآن يمثلون نسبة ٧٥٪. ولا يتوقف الأمر عند ذلك. ففى ١٨٦ مقاطعة على المستوى القومى، يمثل السود والهيسبانيون والآسيويون نسبة ٥٠٪ من السكان.

وفى ولاية كاليفورنيا، لايمثل البيض ذوو الأصول الأوروبية سوى ٥٧٪ من سكانها، مقابل أكثر من ٢٥٪ من الهيسبانيين و١٠٪ من السود، كما أن ٥٫٥ مليون شخص من سكان الولاية يتحدثون الأسبانية فى المنازل.

وفى ولاية نيويورك، وكما قال العمدة توماس ديوى، فإن شركة تليفون نيويورك اضطرت إلى إدخال خدمة صيانة يتحدث العاملون بها ١٤٠، لغة لمقابلة التعدد الإثنى واللغوى بين المشتركين فى الخدمة، كما أن نسبة ٢٠٪ من سكان الولاية يتحدثون لغات أخرى غير الانجليزية فى المنازل، بل إن نصف هذه النسبة لايتحدثون الانجليزية مطلقا.

وتقدم ولاية نيويورك مثالا على أن الإثنية أصبحت «جغرافية» فإلى جانب تشاينا تاون (الحى الصينى) وليتال ايتالى (الحى الإيطالى) يعيش الألبانيون فى بيدفورد بارك بمنطقة برونكس، والمهاجرون من الدومينكان فى واشنطن هايتس -جنوب مانهاتن، واليهود السوفيت فى برايتون بيلتشن ثم كونى آيلاند فى بروكلين، والهيسبانيون فى لاور ايستسايد- الجانب الشرقى الأدنى من مانهاتن، والعرب فى آتلانتيك آفينيو فى بروكلين.

والآن تتحرك الجغرافيا الإثنية، بمعنى تركز الإثنيات فى مناطق جغرافية محددة، إلى المستوى القومى. فالهيسبانيون أغلبية فى ولاية نيومكسيكو، واليهود يتركزون فى ولاية نيويورك، والبيض أقلية فى ولاية هاواى، ونسبة ٢٥٪ من الآسيويين الذى يعيشون فى الولايات المتحدة موجودون فى ولاية كاليفورنيا، وحتى الآن، فإن البيض ذوى الأصول الأوروبية مازالوا يشكلون الأغلبية بين الأمريكيين، إلا أن هيمنة الثقافة الانجلو أمريكية أصبحت تواجه بما بات يعرف بـ«التعددية الثقافية».

ويقول آرثر. إم شيلزنجر إن تصاعد (الإثنية) هو نوع من المعارضة للثقافة (المركزية الانجليزية) ويعتبر أن الإثنية هى (انشقاق) وتهدد بأن تصبح ثورة مضادة ضد نظرية أن أمريكا (شعب واحد).. ثقافة مشتركة.. أمة واحدة.

غير أن ما يقلق أمريكا - الآن- مؤشرات النمو السكانى. فخلال العقد بين منتصف الثمانينيات ومنتصف التسعينيات كان معدل الزيادة السكانية بين الآسيويين ١٠٨٪ والهيسبانيين ٥٣٪ والسود ١٣٪ فى حين لم يزد البيض إلا بنسبة ٦٪.

ويرجع ذلك التباين لغير مصلحة البيض، إلى تزايد معدلات الهجرة من الآسيويين والهيسبانيين. بالإضافة إلى تزايد معدلات النمو السكانى الطبيعى بينهم مقارنة بالبيض. وبتوقعات اثيل ومارتن تيرسكى، فإن نسبة السكان من الآسيويين والهيسبانيين والسود سترتفع بحلول عام ٢٠٢٠ إلى ٣٥٪ بينما تنخفض نسبة السكان البيض إلى ٦٥٪ وبحلول عام ٢٠٩٠، فإن البيض ذوى الأصول الأوروبية سيصبحون أقلية فى أمريكا، بافتراض سيناريو خطى لمعدلات النمو السكانى والهجرة فى العقد الأخير[١١].

ويشير بيتر برايملو، فى كتابه (أمة مغتربة) إلى أنه إذا استمرت اتجاهات الزيادة السكانية والهجرة على ما هى عليه، فإن أمريكا ستواجه حالة اغتراب، ويرسم برايملو مشهد الاغتراب قائلا: إنك إذا نزلت إلى محطة مترو الأنفاق فى بارك أفينيو (وسط مدينة نيويورك) فستجد نفسك فى عالم من الملونين. ويجاهر بعنصريته، موضحا أن إحصاءات سلطة مترو أنفاق نيويورك، تكشف عن أن البيض لايشكلون إلا ٤٥٪ من رواد المترو.

ويصف حالة الاغتراب بقوله: إن المهم أن المهاجرين بعد أن يصبحوا أمريكيين لا يحصلون على جائزة نوبل: فبعضهم يظلون طيلة حياتهم يعملون كسائقى سيارات (تاكسى) والبعض القليل يعيش مرفها[١٢].

إذن الحالة: «اغتراب المهاجرين» و«عنصرية أمريكا». وأمام حالة «الاغتراب» فإن هناك من أنصار «التعددية الثقافية» من يرفضون «المركزية الثقافية» لصالح «المركزية الاثنية» أو الذاتية الاثنية. ويتحدث شبلى ستيلى البروفيسور الإفريقى الأمريكى بجامعة سان جوزيه فى كاليفورنيا عن «سياسة الاختلاف» بمعنى أن كل مجموعة -فى أمريكا- أصبحت تعرف نفسها ومفهومها للثروة والقوة من خلال «الاختلاف» العرقى أو الجنسى.

ويقول المؤرخ آرثر. إم شيلزنجر إن أنصار «التعددية الثقافية» فى معظمهم ينزعون إلى «الانفصالية الثقافية» فى مواجهة الثقافة الغربية، والقليل منهم الذى يرى التراث الغربى بمعزل عن الجرائم الغربية، ولكن معظمهم يرى أن الثقافة الغربية انتشرت ليس لأنها تنزع إلى المساواة ولكن بسبب انتشارالقوة الغربية، فانتشار الموسيقى الكلاسيكية الغربية وموسيقى الجاز والروك الأمريكيتين، ليس دليلا على جاذبية عميقة، وإنما بسبب الامبريالية حيث تتكيف ثقافة الخاضع للاحتلال مع ثقافة الغازى[١٣].

(٣) رسالة أمريكا: المصير المبين

«قضيتنا شريفة، إنها قضية الإنسانية»

ذلك ما قاله بعد إعلان الاستقلال الأمريكى -الجنرال جورج واشنطن والذى أصبح أول رئيس للجمهورية.

وبعد نحو ١٩٠ عاما قال الرئيس كنيدى: «إن الأمريكيين هم الحراس على معاقل الحرية فى العالم».

وكثيرا ما تحدث الرئيس كارتر عن رسالة أمريكا العالمية لحماية حقوق الانسان. وبعد سقوط الاتحاد السوفيتى، طرح الرئيس بوش مقولة: «النظام العالمى الجديد» بقيادة الولايات المتحدة. كما انشغلت إدارة الرئيس كلينتون بشعارات حقوق الانسان والحرية من الاضطهاد الدينى.

لقد اعتبر المستوطنون الأوائل- كما قال أمرسون- أن بلدهم هو المخلوق الأخير وأعظم صدقة تصدق بها الرب على العالم..

وفى عام ١٨٤٥، صاغ جون أو سوليفان فكرة المصير المبين. بمعنى أن الرب قدر لأمريكا أن تقود العالم إلى الحرية. ومما قاله: «إن الثورة العالمية تبتكر مجتمعا جديدا فى الولايات المتحدة بأمر من الرب الذى يقف بداهة إلى جانب الأمريكيين»[١٤].

هذا الاعتقاد الرسولى فى تثوير وتقدم بقية العالم، انبنى على ثورية الحلم الأمريكى فى الحرية والمساواة وتحصيل السعادة، والذى كان يرجى انتشاره.

يقول سوليفان:

سيكون المستقبل عصر العظمة الأمريكية بلا قيد أو شرط.. فالأمة المكونة من أمم قدر لها أن تشهد على سمو المبادئ الإلهية ستكون أرضها نصف الكرة الأرضية كاملا.

بيد أن عالمية رسالة أمريكا، لم تشمل السكان الزنوج حتى عام ١٨٦٥، فإعلان الاستقلال لم يشر إلى العبودية من قريب أو بعيد[١٥].

كما أن نظرية المصير المبين بررت غزو المستوطنين لأراضى الهنود الحمر. وبعد سحق الهنود، كتب جورج واشنطن يقول: لا شك عندى أبدا، فى اتخاذ الاجراءات الكفيلة بإيصال خبرات التعليم والمجتمع إلى هذه العقول (عقول الهنود) الجاهلة.

وكان طبيعيا أن تقود نظرية المصير المبين إلى ضم تكساس، ونيومكسيكو وكاليفورنيا وآلاسكا وهاواى ولويزيانا، وفلوريدا (قبل ذلك). باعتبار أن قدر الولايات المتحدة هو أن

تمتد لتشمل القارة الأمريكية [١٥]، إلا أنه مع نهاية الحرب الأسبانية الأمريكية، استولت على أهم جزر ساموا حتى أن مبدأ مونرو كان هدفه ألا تتدخل الدول الأوروبية فى شئون القارة الأمريكية[١٦].

لقد صدر مبدأ مونرو عام ١٨٢٣ وسط مخاوف من تدخل فرنسا وأسبانيا وروسيا فى شئون الأمريكتين بعد اندلاع ثورات الاستقلال فى أمريكا اللاتينية، فأعلن الرئيس جيمس مونرو بيانا بسياسة أمريكا، قال فيه: «إن الظروف الحالية مناسبة لنعلن أنه لا يجوز من الآن لأية دولة أوروبية أن تعد القارتين الأمريكتين مكانا صالحا للاستعمار فى المستقبل، وأننا نعد هذا كمبدأ لنا.

وتضمن بيان مونرو، بالنسبة للأمريكتين ثلاثة مبادئ، أولها: لا استعمار جديد، وثانيها: لا نقل لمستعمرات من قوة أوروبية لأخرى، وثالثها: لا لإعادة فرض الاستعمار على الدول التى تحررت منه.

كما حدد بيان مونرو العلاقة بين الولايات المتحدة وأوروبا بقوله: «إننا لن نتدخل قط فى الحروب التى قامت بين دول أوروبا. أما ما إذا اعتدى على حقوقنا، أو هددها خطر فإننا حينئذ نعد العدة للدفاع عن أنفسنا، ونحن مرتبطون ارتباطا مباشرا بكل ما يحدث فى الأمريكتين الشمالية والجنوبية.

واعتبر البيان أن ذلك هو «النظام الأمريكى» وبمعنى آخر. كان مبدأ مونرو، نظاما للسياسة الخارجية الأمريكية تجاه أوروبا وفى الأمريكتين، وهى لم تكن سياسة عزلة، كما أشيع عنها[١٧].

وفى الحق أن الأمريكيين –حتى نهاية القرن التاسع عشر– اجتذبتهم نظرية «المصير المبين» التى انطلقت تحت رايتها جحافل الغزو، كما تطوع العديد من الأمريكيين لضم تكساس، وكاليفورنيا لأنهم يعتقدون أن فى ذلك دفاعا عن الديمقراطية وعن مواطنين أمريكيين وإكمالا لأمركة القارة.

وكتب الشاعر وولت ويتمان (١٨١٩-١٨٩٢): إن غزواتنا تنتزع القيود التى تحرم الناس من الفرص المتساوية، لأن يكونوا سعداء صالحين. إن مهمتنا العظمى تتمثل بملء العالم الجديد بالعرق النبيل[١٨].

ويقر ذلك الكاتب الفرنسى جان بيار فيشو، بأن السيكولوجيا الجماعية للشعب الأمريكى اتسمت بسمة اتساع القارة لدرجة أن الأمريكيين يشعرون دائما بانجذاب شديد إلى الآماد الرحبة المطلوب غزوها أو تمدينها أى (أمركتها)، كما أن القيادة والرسولية الأمريكيتين تستلزمان مقاسمة الآخرين النعم التى منّ بها الرب[١٩].

ومع بداية القرن العشرين، وبعد إكمال استعمار شمال أمريكا، ستبرر الولايات المتحدة نفوذها فى أمريكا اللاتينية بأن الدول الأوروبية -الاستعمارية، لن تحمى مصالح أمريكا هناك حسبما كتب الرئيس ثيودور روزفلت فى رسالته للكونجرس عام ١٩٠٥، وستبرر فكرة «المصير المبين» تحول الولايات المتحدة إلى «امبريالية تقدمية». فمع حلول القرن العشرين أصبحت أمريكا قوة عالمية. ففى عام ١٩٠٠ أصبح تعداد السكان يزيد على ٧١ مليون نسمة وبما يفوق تعداد سكان روسيا أو أى أمة أوروبية.. ووصل انتاج الفحم الى ٢٤٤ مليون طن سنويا (بما يساوى انتاج بريطانيا) وانتاج الحديد ١٠ ملايين طن سنويا (ضعف انتاج المانيا الدولة الثانية عالميا فى انتاجه). وبواسطة المخترعين الأمريكيين مثل آديسون وبيل والأخوة رايت والمولين مثل روكفلر ودى بونت، أصبحت أمريكا رائدة الثورة الصناعية التى اعتمدت على الكهرباء والكيماويات والبترول.

ومن خلال وفرة الأراضى الزراعية وشبكة السكك الحديدية الهائلة أصبحت أمريكا «سلة خبز العالم»، وفى الوقت نفسه أيضا تحولت امريكا إلى قوة تصديرية عالمية، وكان كل ذلك حافزا للأمريكيين على القيام بدور عالمى. وجاءت التغيرات العالمية لتشجيع ذلك. فالقوى الأوروبية التقليدية كانت قد دخلت مرحلتها الاستعمارية الاخيرة فى الوقت الذى بنت فيه امريكا قوة عالمية لحماية مصالحها والوصول إلى أسواقها.

وهنا برزت فكرة (الداروينية الاجتماعية) أى الانتخاب الجماعى (وليس البيولوجى كما عند داروين). فكانت الفكرة تعنى للأمريكيين (الامبريالية التقدمية)، أى استعمار شعوب اخرى لنقل التقدم اليها. وفى هذا الاطار كان ضم آلاسكا ثم هاواى باعتبارهما (أراضى ملحقة) أى مناطق يطبق فيها الدستور الأمريكى كاملا، إلا أنه جرى ضم جويام والفلبين وبورتريكو باعتبارها مناطق غير ملحقة تابعة، وتغطت (الامبريالية التقدّمية) بتبريرات مثل مكافحة المرض الأصفر (الملاريا) فى كوبا وبنما والفلبين وبورتريكو أو بشق قناة بنما، وبناء اقتصاديات تلك الدول، أو تحريرها من الاستعمارالاسبانى ونشر المسيحية. وعندما بدأت الحرب العالمية الأولى، كان قرار الرئيس ويلسون هو الابتعاد عن الحرب، ودعا الدول المتحاربة إلى الصلح وعرض أن يكون وسيطا بينها. وغيرت أمريكا موقفها من الحرب عام ١٩١٧. وبالرغم من أن السبب وراء دخول أمريكا الحرب، أنها رأت أن المانيا تهدد سلامتها القومية بالسيطرة على المحيط الأطلنطى. وقال الرئيس ويلسون أمام الكونجرس: إننا سنقاتل فى سبيل الديمقراطية.. نعم فى سبيل الذين يخضعون للقانون.. سنقاتل لكى يكون لهم الحق فى أن تسمع كلمتهم فى إدارة شئون بلادهم.. سنقاتل من أجل حقوق الأمم الصغيرة وحرياتها، ولكى يتاح للشعوب الحرة أن تتحد وتتعاون ليسود الحق العالم سيادة تجلب السلام والطمأنينة لجميع الأمم، وتجعل العالم بأسره فى النهاية حرا وبنهاية الحرب بهزيمة المانيا وحلفائها، وضع الرئيس ويلسون نقاطه الأربع عشرة لتحقيق السلام فى عالم ما بعد الحرب.

وتضمنت نقاط ويلسون: الدبلوماسية المفتوحة وحرية الملاحة وحرية التجارة وخفض التسلح، وأن يكون الحكم الاستعماري فى مصلحة الشعوب (الامبريالية التقدمية) وتقرير المصير للدول الأوروبية (النقاط من ٦ إلى ١٣) ثم إنشاء جمعية عامة من الأمم (أصبحت عصبة الأمم فيما بعد). وهكذا خطط ويلسون لدور أمريكى عالمى ليبرالى ومثالى. غير أن الولايات المتحدة لم تنضم إلى عصبة الأمم. وكان مصير (الحلم المثالى) لويلسون هو الفشل. ليس لأنه مثالى، ولكن أيضا لأنه لم يستطع حشد الكونجرس (الجمهورى) والرأى العام خلفه، وبدلا من سياسة الباب المفتوح (عالميا) كما كان يحلم ويلسون، اتجه الكونجرس نحو إغلاق الباب من خلال سياسة تجارية حمائية عام ١٩٢١، ثم تقييد الهجرة ١٩٢٤. وكثرت المناداة بالعزلة، حتى كان اندلاع الحرب العالمية الثانية، حيث هاجمت اليابان الولايات المتحدة فى بيرل هاربرعام ١٩٤١..

ومن جديد ستقود نظرية (المصير المبين) الولايات المتحدة إلى دخول الحرب العالمية الثانية بعد تردد لكن نهاية الحرب كانت بمثابة نقطة تحول.

لقد عرض الرئيس روزفلت، الأسس التى يجب أن يبنى عليها عالم ما بعد الحرب، وهى الحريات الأربع، حرية الكلام، والحرية الدينية، والتحرر من العوز، والتحرر من الخوف.

إن الولايات المتحدة خرجت من الحرب العالمية الثانية باعتبارها القوة الاقتصادية الأكبر فى العالم وقوة عسكرية عظمى تسيطر على كلتا جهتى المحيطين الأطلنطى والهادى. يقول رونالد ستيل فى كتابه «السلام الأمريكى Pax Americana» إن الحرب العالمية الثانية أنهت عقودا طويلة من «الانعزالية» الأمريكية بالمزاوجة بين المثالية الأمريكية والقدرة العسكرية الضخمة. كما أن الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتى عظمت الطموحات العالمية لأمريكا. فالخوف الأمريكى من جاذبية الشيوعية وانتشارها جعل الولايات المتحدة تمارس نفوذا عالميا فى مختلف أنحاء العالم بما لايتفق مع أهدافها احيانا، وبوسائل لا تتفق مع أسباب تدخلها أحيانا أخرى[٢١].

فى هذا الإطار، اقترح الرئيس ترومان الفكرة القائلة إن أفضل طريقة لاحتواء الاتحاد السوفيتى، تتمثل فى تقديم مساعدات اقتصادية وعسكرية للبلدان النامية التى يخشى عليها من الوقوع فى الفلك السوفيتى، وذلك فى الوقت الذى أسست فيه الولايات المتحدة خطة مارشال لتزويد أوروبا بأكثر من ١٢ مليار دولار فى شكل قروض ومنح بين عامى (١٩٤٨ و١٩٥١) وتدخلت الولايات المتحدة للإطاحة بنظام الحكم فى إيران (١٩٥٣) وجواتيمالا (١٩٥٤، ١٩٦٣) وجمهورية الدومنيكان (١٩٦٣ و١٩٦٥) والبرازيل (١٩٦٥) وتشيلى (١٩٧٣). وبنما (١٩٨٩) بالإضافة إلى التدخل فى السلفادور ونيكاراجوا ناهيك عن حرب فيتنام.

وبانهيار الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١، أصبحت أمريكا القوة العظمى الوحيدة فى العالم وصاحبة السلطان المطلق. وهى المرة الأولى فى تاريخ البشرية التى تحدث فيها هذه الظاهرة، كما يقول بول مارى دى لاجورس، فى كتابه «آخر الامبراطوريات». وكان المشرق العربى (الاسلامى). أول ميدان لحروب الامبراطورية الأمريكية البازغة، وإعلان النظام العالمى الجديد (الأمريكى) غير أن حرب الخليج الثانية، كانت آخر مناسبة احتاجت فيها امريكا للمجتمع الدولى ممثلا فى الأمم المتحدة، لتوفير تغطية قانونية تمكنها من التدخل من أجل مصالحها بل أصبحت امريكا تتطلع إلى إدارة الكرة الأرضية حسب معاييرها ولتحقيق مصالحها من دون إبداء اهتمام كبير بالمجتمع الدولى ومنظماته، بل إن المنظمات الدولية القديمة والمستحدثة تكيف أهدافها لتواكب الخطة الأمريكية، وأصبحت تبشر بالخطاب الأمريكى عن حرية التجارة والديمقراطية وحرية الانسان، وتهدف أمريكا إلى تطبيق التشريع الأمريكى خارج الولايات المتحدة، كما حدث مع قانون «بيرتون – هيلمز» الذى استهدف تشديد الحصار على كوبا وقانون «داماتو» القاضى بفرض عقوبات اقتصادية على الشركات المتعاملة مع كل من ايران وليبيا، فى حين أن واشنطن ترفع خطابا أيديولويجيا عن حرية التجارة والعولمة واقتصاد السوق.

لقد احتاج تطبيق التشريع الأمريكى خارج الولايات المتحدة الأمريكية ذريعة دائمة ومقبولة دخليا، كانت هى الشيوعية فى حالة كوبا، والإرهاب فى حالة كل من ايران وليبيا، ثم أصبحت الذريعة الحاضرة دائما هى الديمقراطية وحقوق الانسان، وتعلن أمريكا أن ضمن أولويات سياستها الخارجية تمكين المصالح الاقتصادية الأمريكية من التوسع على مستوى الكرة الأرضية كلها (أولوية قديمة ومستمرة) والديمقراطية وحقوق الانسان والحرية من الاضطهاد الدينى.

وكما قال ستيل فى كتابه «الإسلام الأمريكى» فإن الأمريكيين –منذ نهاية الحرب العالمية الثانية– يعتقدون أن من واجبهم أن يشكلوا العالم على صورتهم[٢٣]. واليوم يصبح مضمون نظرية «المصير المبين» أمركة العالم أو عولمة الحلم الأمريكى. فى ظل العولمة وحرية التجارة، فالعالم متضمنا الصين وروسيا، يقع تحت سيطرة نموذج الحياة الأمريكى من الجينز إلى الكوكاكولا، إلى الوجبات السريعة من «ماكدونالدز» و«كنتاكى» إلى والت ديزنى، ومن موسيقى الجاز إلى أغانى «البوب» لمايكل جاكسون وأفلام وشرائط مادونا وحتى الأفلام السينمائية والمسلسلات الأمريكية. وفى أوروبا ذات الخمسة عشر بلدا تمثل الأفلام الأمريكية ٧٦٪ فى سوق الأفلام و٥٣٪ من المادة المقدمة فى قنوات التليفزيون الأوروبية البالغ عددها ٥٠ قناة (غير القنوات المشفرة).

لقد أصبحت ثقافة «البوب» الأمريكية عالمية. فالبرامج التليفزيونية والكتب والمجلات والموسيقى والأفلام الأمريكية أصبحت فى كل مكان فى العالم. وفى عام ١٩٩٣ نقلت نهائى كرة السلة الأمريكية ١٠٩ دول بعشرين لغة، كما أن قائمة الأفلام السينمائية العشرة الأولى التى تعرض فى أى مدينة كبرى فى العالم صنعت فى أمريكا، بالإضافة إلى أن ٤٠٪ من دخل السينما الأمريكية يأتى من الخارج.

ووزع ألبوم مايكل جاكسون «دينجرس» ١٥ مليون نسخة، منها ١٠ ملايين نسخة خارج أمريكا، وتنتج الولايات المتحدة ٩٠٪ من تسجيلات أشرطة الفيديو حول العالم[٢٤].

وتسارعت «الأمركة» مع انتشار الاتصال بشبكة «انترنت» التى اخترعها البنتاجون «وزارة الدفاع» فى نهاية السبعينيات، ثم توزعت على عدة وكالات ومؤسسات عام ١٩٨٦، وبقدوم عام ١٩٩٠ أصبح لها مليون موقع تخدم عدة ملايين، وفى عام ١٩٩٣ أصبح يتصل بها ١٥ مليون شخص حول العالم تزايدوا إلى ٣٠ مليون شخص عام ١٩٩٥ ثم إلى ٥٠ مليون شخص عام ١٩٩٦ حول العالم. ولكل ذلك، رفض الرئيس كلينتون توقيع الاتفاقية العامة للتجارة والتعرفة الجمركية «جات» إلا إذا شملت المنتجات الثقافية فى إطار حرب ثقافية بين أمريكا والعالم (خصوصا الأوروبى).

(٤) صورة أمريكا: منظر بالأرقام

لئن كانت أمريكا فكرة أكثر منها دولة وأمة، فإن صورة أمريكا تختلف باختلاف من يقومون بتصويرها وباختلاف الزوايا التى يجرى منها رسم الصورة.

وكما تقول مارثا فرانسورث ريتشى، مديرة مكتب الاحصاء فى وزارة التجارة الأمريكية فإنها عادة ما كان يوجه اليها السؤال عن الصورة النموذجية للشخص الأمريكى.

وكانت إجابتها إنه ليس هناك مثل هذا الشخص.

فسكان أمريكا يتسمون بدرجة قصوى من التنوع مثلما توضح الاحصاءات والاستطلاعات وبيانات مكتب الاحصاء الفيدرالى.

التنوع العرقى

أظهر إحصاء الأول من ابريل ١٩٩٧ أن هناك ٢٦٧ مليون شخص يعيشون فى الولايات المتحدة مقابل٢٤٨,٧ مليون شخص فى إحصاء الأول من ابريل ١٩٩٠، أى قبل ٧ سنوات. وبين تعداد سكان ١٩٩٧:

٣٣,٨ مليون شخص (بنسبة ١٣٪) من السود

٣,٢ مليون شخص (بنسبة ١٪) من الهنود الحمر والإسكيمو

١٠,٥ مليون شخص (بنسبة ٤٪) من الآسيويين

٢٩,٥ مليون شخص (بنسبة ١١٪) من الهيسبانيين

١٩٤,٠ مليون شخص (بنسبة ٧٣٪) من البيض

التوزيع الجغرافى العرقى

	الغـــرب	الجنوب	الجنوب الشرقى	الشمال الشرقى
الزنوج	٪٤,٩	٥٢,٨	١٩,١	١٨,٧
الآسيويون	٪٥٥,٦	١٥,٤	١٠,٦	١٨,٤
الهيسبانيون	٪٤٥,٩	٣٠,٨	٧,٨	١٥,٥
البيض	٪١٨,٧	٣٢,٢	٢٧,٢	٢١,٥

الزواج والعائلة «١٩٩٦»

٥٥٪ من الرجال و٥٢٪ من النساء فوق ١٥ سنة. متزوجون من بين ١٠٠ مليون من حائزى المساكن ٧٠٪ للعائلات.

٧٧٪ من العائلات تضم زوجا وزوجة.

١٨٪ من النساء البيض دون أزواج.

٥٠٪ من السبعين مليون عائلة تضم أطفالا.

٨ ملايين عائلة دون أب.

مليون عائلة دون أم.

٣٠ مليون من حائزى المساكن (أى ٣٠٪ من حائزى المساكن) دون عائلات منهم نحو ٢٥ مليونا ممن يعيشون بمفردهم.

المصدر: The World Almanac, 1996

الناتج المحلى الإجمالى والناتج القومى الإجمالى والناتج القومى والدخل القومى «بمليارات الدولارات»

	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٨٠	١٩٩٠	١٩٩٦
الناتج المحلى الإجمالى	—	—	—	٥٥٤٦,١	٧٦٣٦,١
الناتج القومى الإجمالى	٥١٥,٣	١٠١٥,٥	٢٧٣٢,٠	٥٥٦٧,٨	٧٦٣٧,٧
الناتج القومى الصافى	٤٦٨,٩	٩٢٦,٦	٢٤٢٨,١	٤٩٦٥,١	٦٨٠٧,٦
الدخل القومى	٤٢٤,٩	٨٣٢,٦	٢٢٠٣,٥	٤٤٩١,٠	٦٢٥٤,٥

المصدر: Bureau of Ecomomic Analysis, US. Dept. of Commerce

الناتج المحلى الاجمالى ونصيب الفرد

مقارنة بين الولايات المتحدة ودول أخرى

الناتج المحلى الاجمالى ١٩٩٥ بمليارات الدولارات		نصيب الفرد من الناتج المحلى الاجمالى ١٩٩٥ بالدولار	
١- الولايات المتحدة	٧٢٦٥,٤	١- الولايات المتحدة	٢٧٩٠٠
٢- الصين	٣٥٠٠,٠	٢- موناكو	٢٦٠٠٠
٣- اليابان	٢٦٧٩,٢	٣- لكسمبرج	٢٤٨٠٠
٤- ألمانيا	١٤٥٢,٢	٤- النرويج	٢٤٥٠٠
٥- الهند	١٤٠٨,٧	٥- كندا	٢٤٤٠٠
٦- فرنسا	١١٧٣,٠	٦- الامارات العربية المتحدة	٢٤٠٠٠
٧- المملكة المتحدة	١١٣٨,٤	٧- سنغافورة	٢٢٩٠٠
٨- ايطاليا	١٠٨٨,٦	٨- سويسرا	٢٢٤٠٠
٩- البرازيل	٩٧٨,٨	٩- لشنشتاين	٢٢٣٠٠
١٠ - روسيا	٧٩٦,٠	١٠- استراليا	٢٢١٠٠

المصدر: Bureau of Ecomomic Analysis, US. Dept. of Commerce

العجز التجارى للولايات المتحدة «١٩٩٦»

الصادرات	٦٢٥٠٧٥	مليون دولار
الواردات	٧٩٥٢٨٩	مليون دولار
العجز التجارى منه:	١٧٠٢١٤	مليون دولار
العجز التجارى مع اليابان	٤٧٥٨٠	مليون دولار
العجز التجارى مع الصين	٣٩٥٢٠	مليون دولار
العجز التجارى مع كندا	٢١٦٨٢	مليون دولار
العجز التجارى مع المكسيك	١٧٥٠٦	مليون دولار
العجز التجارى مع ألمانيا	١٥٤٥٠	مليون دولار

المصدر: Offie of Trade Economic Analysis, .S Dep. of Commerce

الفقر فى أمريكا « ١٩٩٦ »

	أعداد من هم تحت خط الفقر «بالمليون»	نسبة مئوية
البيض	١٤,٧	١١,٢
السود	٩,٧	٢٨,٤
الهيسبانيون	٨,٧	٢٩,٤
على المستوى القومى	٣٦,٥	٣٦,٥

توزيع الدخل فى أمريكا « ١٩٩٦ »

نسبة الـ ٥٪ الأكثر ثراء بين السكان	٢٠,٣
نسبة الـ ٢٥٪ الأكثر ثراء	٤٨,٨
نسبة الـ٢٥٪ الثالثة	١٨,٥
نسبة الـ٢٥٪ الثانية	١٠,٠

المصدر: **Bureau of economic Analysis U.S Dep. Of Commerce**

معدلات البطالة

عام	نسبة مئوية
١٩٥٠	٪٥,٠
١٩٦٠	٥,٥
١٩٧٥	٨,٥
١٩٨٠	٧,١
١٩٨٤	٧,٥
١٩٨٨	٥,٥
١٩٩٢	٧,٥
١٩٩٣	٦,٩
١٩٩٤	٦,١
١٩٩٥	٥,٦
١٩٩٦	٥,٤

معدلات البطالة فى الولايات المتحدة مقارنة بدول أخرى «نسبة مئوية»

عام	الولايات المتحدة	اليابان	فرنسا	ألمانيا	المملكة المتحدة
١٩٧٥	٨,٥	١,٩	٤,٢	٣,٤	٤,٦
١٩٨٠	٧,١	٢,٠	٦,٥	٢,٨	٧,٠
١٩٨٢	٩,٧	٢,٤	٨,٣	٥,٦	١١,٣
١٩٨٦	٧,٠	٢,٨	١٠,٦	٦,٦	١١,٢
١٩٩٠	٥,٦	٢,١	٩,١	٥,٠	٦,٩
١٩٩٣	٦,٩	٢,٥	١١,٨	٥,٧	١٠,٥
١٩٩٦	٥,٤	٣,٤	١٢,٦	٧,٢	٨,٢

المصدر: Bureau of Labor Statistics U.s. Dep of Labor force

قائمة بأكبر الشركات الأمريكية من حيث الربحية ١٩٩٦
«الأرباح بمليارات الدولارات»

جنرال موتورز	١٦٨,٣٦٩
فورد موتور	١٦٨,٣٦٩
اكسون	١٤٦,٩٩١
وال مارت	١١٩,٤٣٤
جنرال اليكتريك	١٠٦,١٤٧
أى بى أم	٧٩,١٧٩
إيه تى اندتى	٧٥,٩٤٧
موبيل	٧٤,٥٢٥
كرايزلر	٧٢,٢٦٧
فيليب موريس	٦١,٣٩٧
تكساكو	٤٥,٥٥٣

المصدر : Bueeau of Economic Analysis U.S. Dep. of Commerce

الجريمة فى أمريكا

عـام	إجمالى الجرائم	جرائم العنف	جرائم الممتلكات	معدل الجريمة لكل ١٠٠ ألف من السكان
١٩٧٧	١٠٩٨٤٥٠٠	١٠٢٩٥٨٠	٩٩٥٥٠٠٠	٥٠٧٧,٦
١٩٨٤	١١٨٨١٨٠٠	١٢٧٣٢٨٠	١٠٦٠٨٥٠٠	٥٠٣١,٣
١٩٨٨	١٣٩٢٣١٠٠	١٥٦٦٢٢٠	١٢٣٥٦٩٠٠	٥٦٦٤,٢
١٩٩٢	١٤٤٣٨٢٠٠	١٩٣٢٢٧٠	١٢٥٠٥٩٠٠	٥٦٦٠,٢
١٩٩٦	١٣٤٧٣٦٠٠	١٦٨٢٢٨٠	١١٧٩١٣٠٠	٥٠٧٨,٩

المصدر: FBI, Uniform Crime Reports

اغتصاب النساء

فى دراسة لجامعة ثاوث كارولينا صدرت عام ١٩٩٣ تبين أن:

١٢,١ مليون امرأة بالغة تعرضن للاغتصاب،

منهن، ٦,٨ مليون امرأة تعرضن مرة واحدة للاغتصاب

و٤,٧ مليون امرأة تعرضن للاغتصاب أكثر من مرة

و٦٠٠ الف امرأة غير متأكدات من عدد المرات التى تعرضن فيها للاغتصاب

وفى مسح أجرى على ٤ آلاف امرأة تعرضن للاغتصاب كان منهن:

٢٩٪	اغتصبن من الجيران والأقارب
١٦٪	من الأصدقاء
١١٪	من الآباء أو أزواج الأمهات
١١٪	من العشيق أو العشيق السابق
٩٪	من الزوج أو الزوج السابق

وكان منهن أيضا

١٦٪	أبلغن البوليس عن اغتصابهن
٦٩٪	لم يبلغن خوفا من التأنيب
٦٦٪	كان يمكن أن يبلغن لو أن الصحافة لا تحدد شخصياتهن

التحرش الجنسى

كان التحرش الجنسى مشكلة تواجه النساء فى مكان العمل، إلا أن الرجال والأولاد والبنات أصبحوا، أيضا ضحايا للتحرش الجنسى

فثبت أن بين كل ١٠ تلاميذ تعرض ٨ منهم للتحرش الجنسى، وفقا لتقرير Hostile Hal;lways عام ١٩٩٣.

وأهم أشكال التحرش الجنسى هى التعرض لفعل تهجمى، أو أى لمس، أو احتكاك غير مرغوب فيه.

وتدل بيانات (The Women Employyed) على أن ٤٥٪ من النساء العاملات تعرضن للتحرش الجنسي.

٢٧٪ من النساء بشكل عام تعرضن للتحرش الجنسي

وأظهرت بيانات American Association of universityأن:

٥٦٪ من البنات و٧٦٪ من الأولاد قالوا إنهم كانوا عرضة لتعليقات، أو نكات أو نظرات جنسية

٦٥٪ من البنات و٤٢٪ من الأولاد قالوا إنهم كانوا عرضة للمس والإمساك بهن وتمزيق الملابس.

الإذاعة والتليفزيون فى الولايات المتحدة
«١٩٩٦» متوسط مشاهدة الفرد الأمريكى للتليفزيون

عدد المحطات الإذاعية الخاصة منها:	١٠٢٣٧
عدد محطات الأخبار والبزنس والحوارات	١٣١٣
عدد المحطات الدينية	١٠٥٤
عدد محطات موسيقا الروك	٩٤٢
عدد المحطات الناطقة بالأسبانية أو لإثنيات أخرى	٧٥٣
عدد المحطات الموجهة للزنوج	٣٥٨
عدد محطات الموسيقا الخفيفة	٥٧
عدد محطات موسيقا الجاز	٥٠
عدد محطات الفنون الكلاسيكية	٤٦
٩٧ مليون أسرة (نسبة ٩٨٪ من السكان) منها	لديها جهاز تليفزيون على الأقل
نسبة ٣٦٪	لديها جهاز تليفزيون
ونسبة ٣٨٪	لديها ٣ أجهزة تليفزيون أو أكثر
ونسبة ٨٢٪	لديها جهاز فيديو
ونسبة ٦٦٪	تشترك فى قنوات الكابل الأساسية
ونسبة ٣٣٪	تشترك فى قنوات كابل إضافية

بالساعة أسبوعيًا

الصحف اليومية الأكثر مبيعا

الفترة من ١٠ صباحا إلى ٤,٣٠ مساء (من الاثنين إلى الجمعة)	٣,٤٨
الفترة من ٤,٣٠ مساء إلى ٧,٣٠ مساء (من الاثنين إلى الجمعة)	٣,١٧
الفترة من ٨ إلى ١١ صباحا من الاثنين إلى الأحد)	٧,٣٧
الفترة من ٧ صباحا إلى الواحدة مساء يوم السبت	١,١١
الفترة من ١١,٣٠ مساء إلى الواحدة صباحا (من الاثنين إلى الجمعة)	٠,٤١

الدوريات والمجلات الأكثر مبيعا

	أرقام التوزيع/ نسخة
وول ستريت جورنال	١٧٨٣٥٣٢
يو إس تودى	١٥٩١٦٢٩
نيويورك تايمز	١٠٧١١٢٠
واشنطن بوست	١٠٢٩٠٧٣
ديلى نيوز	٧٨٩١٩٨
شيكاغو تريبيون	٧٣٤٢٧٧
نيوز داى	٦٨٠٥٣٥
هيوستون كرونيكل	٥٦٤٧٥٤
شيكاغو صن تايمز	٥٤٥٣٤٨
سان فرانسيسكو كرونيكل	٤٩٦٠٣٠
لوس انجلوس تايمز	٤٨٨٩٧٧
دالاس مورننج نيوز	٤٧٨١٨١
بوسطن جلوب	٤٧١٠٢٤
نيويورك بوست	٤٢٩٦٤٢
فيلادلفيا انكوايرر	٤٢٧١٧٥

	أرقام التوزيع / نسخة		
ريدرز دايجست	٢٦٠	٠٧٢	١٥
تى فى جايد	٩٣٨	٠١٣	١٣
ناشيونال جيوجرافيك	٠٠٣	٠٢٥	٩
بيترهومز اندجاردنز	٣٢٥	٦٠٥	٧
تايم	١٦٨	١٠٢	٤
بيبول	٨٥٢	٤٤٩	٣
بلاى بوى	٥١٧	٢٣٦	٣
نيوزويك	٧٦٩	١٩٤	٣
يو إس نيوز	٨٥٧	٢٦٠	٣
لايف	٠٦٩	٦٠١	٢
كار اند داريفر	٠٤٧	١٢٢	١
هوم بنتهاوس	٢٢٧	٠١٧	١
بيزنس ويك	٠٠٦	٠٠٥	١

كيف يرى الأمريكيون أمريكا

فى استطلاع للرأى أجرته مجلة نيوزيوك عام ١٩٩٥ حول نظرة الأمريكيين لبلدهم، كان السؤال:

هل تغيرت الشخصية الأمريكية خلال السنوات العشرين الماضية؟

وكان الجواب بأن:

الشخصية الأمريكية تغيرت للأفضل		
الزنـــوج	البيـــض	الهيسبانيون
١٩٪	١٢٪	٩٪

الشخصية الأمريكية تغيرت للأسوأ		
الزنـــوج	البيــض	الهيسبانيون
٣٤٪	٦٣٪	٥١٪

الشخصية الأمريكية لم تتغير		
الزنـــوج	البيــض	الهيسبانيون
٣٤٪	٢٣٪	٣٢٪

هل تظل أمريكا أمة واحدة؟

فى استطلاع مجلة «نيوزيوك» كان السؤال:

هل تبقى الولايات المتحدة بعد ١٠٠ سنة أمة واحدة:؟

وكان الجواب بأن:

أمريكا ستظل أمة واحدة		
الزنـــوج	البيــض	الهيسبانيون
٤١٪	٦١٪	٥٤٪

أمريكا لن تظل أمة واحدة		
الزنـــوج	البيــض	الهيسبانيون
٤٨٪	٢٦٪	٣٨٪

نموذج الشخصية الأمريكية

فى استطلاع مجلة «نيوزيوك» عن الأشخاص الذين يمثلون صفات الشخصية الأمريكية فى طريقة الحياة التى يعيشونها، كان الترتيب كالتالى:

لاعب السلة مايكل جوردون	٧٦٪
مقدمة البرامج اوبرا وينفرى	٧٥٪
الرئيس بيل كلينتون	٧٣٪
السيدة الأولى هيلارى كلينتون	٧٣٪
رئيس الأركان كولين باول	٧٢٪
المرشح الرئاسى روس بيرو	٥٦٪
رئيس مجلس النواب نيوت جينجريش	٤٩٪



من هو الأمريكى؟ كنيدى أم برسلى أم جيسى جاكسون؟!

الفصل الثانى

أمريكا الحلم والسياسة

الحلم الأمريكى الذى نشأنا كلنا عليه، بسيط ومؤثر.. إذا عملت بجد وفق القواعد المرعية فإنك يجب أن تحصل على فرصة أن تصل إلى أقصى مدى تأخذك إليه القدرة التى أعطاك الله إياها.

بيل كلينتون

أنا لا أرى أى حلم أمريكى، أنا أرى كابوسًا أمريكيًا.

مالكولم إكس

(أ) الحلم الأمريكى المهدد

قال تيودوراتش وايت:

«أمريكا فكرة أكثر منها مكان.. فكرة اجتذبت أكثرالناس اختلافا على وجه الأرض»[1]

والفكرة التى اجتذبت ملايين البشر إلى أمريكا هى الحلم الأمريكى. ولكن ما هو الحلم الأمريكى؟

هذا السؤال وجهته مجلة «ريدرز دايجست» فى عيدها الماسى، لعينة من ١٠٢٢ من الأمريكيين البالغين، وطلبت منهم الاختيار بين عدد من الأفضليات. وحصلت أفضلية توازن الميزانية الفيدرالية (أى التخلص من العجز) على تأييد نسبة ٨٧٪ من أفراد العينة، ووافقت نسبة ٧٨٪ على توفير وسائل مواصلات للمدارس العامة والخاصة، وأيد ٤٨٪ خفض ميزانية الدفاع و٤٥٪ وقف الهجرة إلى أمريكا لمدة خمس سنوات و٤٥٪ الزواج المثلى (أى من الجنس نفسه)، و٣٢٪ قانونية تدخين الماريجونا.

وخلصت «ريدرز دايجست» من الاستطلاع، بأنه ما من أحد يستطيع أن يحدد بدقة ما هو الحلم الأمريكى، ولكنه بشكل عام، أن تجد سعادتك الشخصية.

ويجيب الاقتصاد الأمريكى والاس بيترسون بأن المضمون الأساسى لفكرة الحلم الأمريكى، هو توقع أنه بالجهد الشخصى والعمل الشاق والتعليم والادخار واللعب بقواعد اللعبة يتطور الوضع الاقتصادى للشخص[2] ويقول: إن الحلم الأمريكى يشمل توقعات:

[١] وظيفة آمنة وثابتة، بمرتب جيد يتزايد ليس فقط بالمعنى المالى، وإنما بمعنى القوة الشرائية.

[٢] ملكية منزل.

[٣] ملكية أشياء يمكن أن تجعل الحياة أسهل وأكثر متعة مثل السيارات والغسالات والمجففات والميكروويف والتليفزيون والفيديو ومكيف الهواء.

[٤] القدرة على دفع أقساط معاش التقاعد والتأمين الصحى.

[٥] السفر والسياحة دون تقتير.

[٦] تأمين مدرسة عليا للأولاد، مع أعتقاد وأمل فى أن حياتهم الاقتصادية ستصبح أحسن من حياة آبائهم.

[٧] الحراك الاجتماعى، بمعنى أنه إذا لم يكن الفرد من الطبقة الوسطى فإنه يتوقع أن ينتقل اليها، وإذا كان من أبنائها فإنه يأمل أن يكون ثريا.

وهكذا فإن التوقعات النفسية تشكل جوهر الحلم الأمريكي، وقد وصف الروائي الكبير جون دوس الحلم الأمريكي، من خلال شخصية المهاجر الأسباني الفقير أندرو كارنجيي، الذي أصبح مليونيرا، وتبرع بالملايين من أجل البحث العلمي والسلام، تقول القصيدة:

ما أن كان يملك دولارا حتى يوظفه
أندرو كارنجيي اشترى أسهما في شركتي
اكسبريس وبولمان عندما كانت أسعارها منخفضة
أندرو كارنجيي كان يثق في الصلب،
شيد جسورا وبنى مصانع وأفران الصهر
وفر أمواله دائما
ما إن يملك مليونا من الدولارات حتى يوظفه
أندرو كارنجيي أصبح أغنى رجل في العالم
قدم الملايين من أجل السلام
أنشأ مكتبات ومعاهد علمية ومؤسسات.

ولئن كان الحلم الأمريكي هو توقعات نفسية للثراء المادي، فإنه يستند إلى مجموعات من القيم والمعتقدات، تشكل الإطار القيمي للحلم الأمريكي، وهي: «الحرية الفردية، والاعتماد على الذات، والمساواة، وتكافؤ الفرص، والمادية، والعمل الشاق، وتعتبر قيمة المساواة بمعنى التساوي أمام الفرص، القيمة الأولى في الإطار القيمي للحلم الأمريكي، بل إنها القيمة الأساسية للديمقراطية وتقدم المجتمع الأمريكي.

يقول أليكس دي توكفيل:

لم أعجب من شئ من تلك الأشياء الجديدة، التي استرعت نظري في أمريكا طوال المدة التي قضيتها فيها، كعجبي من تساوي أحوال أفراد الشعب الاجتماعية، ولكن لم ألبث أن وقفت على ما لهذه الحقيقة الأساسية من عظيم الأثر في مجرى شئون المجتمع كله..

وسرعان ما اتضح لي أن التأثير البالغ لهذه الحقيقة نفسها قد امتد إلى نزعة الدولة في السياسة حتى يخلص توكفيل إلى أن التساوي بين الأمريكيين جعل الديمقراطية، التي تسود أمريكا، أفضل من التي تشهدها أوروبا وقتئذ(٣).

وقد كانت فترة ربع القرن، الذي أعقب الحرب العالمية الثانية، هي الفترة الذهبية للحلم الأمريكي إذ تمتع الأمريكيون باقتصاد متواصل النمو، ومعدل منخفض للتضخم، ووظائف جديدة.. إنها فترة اقتصاد قوي متعاف. إلا أنه خلال الفترة بين عامي ١٩٧٠ و١٩٩٣، شهد الاقتصاد الأمريكي ما عرف بظاهرة الكساد الصامت Silent Depression بتعبير الاقتصادي والاس بيترسون، أي تباطؤ الاقتصاد لفترة زادت على ٢٠ عاما.

وتعرض نحو ٧٥٪ من الأمريكيين، مرة أو أكثر خلال حياتهم، لأن يتسرب الحلم الأمريكى من بين أيديهم.

ولم يرتبط الكساد الصامت بانهيار، كما حدث فى الكساد العظيم (٢٩-١٩٣٩)، لوجود ضمانات ترجع إلى سياسات «الصفقة الجديدة New Deal» خلال الثلاثينيات، والتى حالت دون انهيار النظام المالى، مثل نظام الضمان الفيدرالى للودائع، كما أن الإنفاق العام الفيدرالى لايمثل سوى نسبة ٢٥٪ من الناتج المحلى الإجمالى الأمريكى، وبما منع الهبوط الحاد للاقتصاد.

أما أسباب الكساد الصامت للاقتصاد الأمريكى، خلال السبعينيات والثمانينيات، فتتمثل فى الإنفاق الدفاعى الضخم فى اطار الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتى. كما أن السياسات الاقتصادية التى اتبعها الرئيس ريجان أدت إلى تحول النظام الاقتصادى إلى نظام تساقط الاثار Trickle Down من خلال الاستقطاعات الضريبية (خفض الضرائب) لشريحة الـ٢٠٪ الأعلى فى الدخول (أصحاب الأعمال) وفى رأى الاقتصادى الكينزى جون كينيث جالبريث، أن تلك الفترة شهدت ما يطلق عليه «ثقافة الرضا» لأن نسبة الـ٢٠٪ الأعلى فى الدخول (أصحاب الأعمال). وفى رأى الاقتصادى الكينزى جون كينيث جالبريث أن تلك الفترة شهدت ما يطلق عليه «ثقافة الرضا» لأن نسبة الـ٢٠٪ الأعلى فى الدخول سقطت فى حجرها الآثار الاقتصادية والسياسية للنظام. ورضيت بتدهور توزيع الدخول لغير صالح نسبة الـ٨٠٪ الباقية من المجتمع، على أساس أن النمو الاقتصادى ستتساقط آثاره، أيضا على الفئات الأدنى فى المجتمع[٤].

وكان الشكل العام لركود الاقتصاد قبل التسعينيات، أن يفقد العمال وظائفهم لفترة ثم يعودون إلى العمل، وربما إلى الوظائف نفسها، أو تختفى الوظائف كذلك.

والتغير الاجتماعى الأكبر، الذى صاحب الركود الاقتصادى، هو ما بات يعرف بإزاحة الطبقة الوسطى، أى أنكماش الطبقة الوسطى فى المجتمع الأمريكى.

وتاريخيا، فإن الأمريكيين كان يعتبرون مفهوم «الطبقة» بالمدلول الاقتصادى والاجتماعى المحظورالأول فى الخطاب السياسى فى الولايات المتحدة، باعتبار أنه مفهوم يقترن بالتوجهات الشيوعية، وهى توجهات ظلت مشبوهة ومتهمة بالعمالة، كما كان الأمريكيون يعتبرون أن مجتمعهم يقوم على أساس فكرة المساواة، وأنه مجتمع غير طبقى. فقط، يستخدم الأمريكيون مفهوم «الطبقة» إذا تعلق بالطبقة الوسطى، فأكثر من ٨٠٪ من الأمريكيين يعتبرون أنفسهم من الطبقة الوسطى، اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.. ويطلقون ذلك التعبير على شرائح اجتماعية عديدة بدءا من العائلات التى تتجاوز حد الفقر وتصارع من أجل أن تظل طافية، وحتى العائلات التى تقدر ثروة الواحد منها بعدة ملايين.

وحسب تحديد باربرا ايهر نريش، فى كتابها «الخوف من السقوط» فإن الطبقة الوسطى تضم الأطباءوالمهندسين وأساتذة الجامعات والعلماء ومدرسى المدارس والكتاب والصحفيين ومديرى الكادر الوسط فى الشركات وموظفى الحكومة.

ويؤكد لارى لاندسى، الاقتصادى بجامعة هارفارد، أنه لايمكن تحديد الطبقة الوسطى عدديا، لأن الانتماء للطبقة الوسطى هو «حالة ذهنية» بمعنى أن شخص الطبقة العليا هو الذى يعتمد على ثرائه الموروث، وفرد الطبقة الأدنى هو الذى يعتمد على المجتمع، ومن ثم فإن الطبقة الوسطى باتساعها فى المجتمع الأمريكى، تشمل من يجتذبهم الحلم الأمريكى، لدرجة أن أصبح الحلم الأمريكى بشكل ما هو الانتساب للطبقة الوسطى، ويعتبر الاقتصادى والاس بيترسون أن الطبقة الوسطى تمثل ٣/٥ العائلات الأمريكية، وهى العائلات التى تقف على السلم الا جتماعى بين نسبة الخُمس الأكثر ثراء والخُمس الأدنى ثراء فى العائلات الأمريكية حسب الدخل السنوى بالدولار للعائلة المكونة من ٤ أفراد أو حسب نصيب الشريحة من الدخل القومى.

توزيع الدخل «دولار/ سنويا»

الدخل بالدولار	خلال السبعينيات (٪)	خلال التسعينيات (٪)	خلال معدل التغيير (٪)
الشريحة الأعلى فوق ٧٥ ألف دولار	٨,٦	١٢,٣	٤٣,٠
الشريحة الوسطى ٢٥٠٠٠ - ٧٤٩٩٩	٥٩,٧	٥٤,٥	(-) ٨.٧
الشريحة الأدنى حتى ٢٤٩٩٩	٣١,٨	٣٣,٣	٤,٧

توزيع الدخل حسب نصيب الشريحة فى الدخل القومى

الشريحة	عام ١٩٧٣	عام ١٩٩٠	عام ١٩٩٦
الـ ٢٠٪ الأكثر ثراء	٤١,١	٤٤,٣	٤٨,٨
الـ ٢٠٪ الرابعة	٢٤,٠	٢٣,٣	٢٣,١
الـ ٢٠٪ الثالثة	١٧,٥	١٦,٦	١٨,٥
الـ ٢٠٪ الثانية	١١,٩	١٠,٨	١٠,٠
الـ ٢٠٪ الأدنى	٥,٥	٤,٦	٤,٢

المصدر: Bureau of Consus, U.S. Dep of Commerce 1996 U.S Commerce Depatment 1996

ويورد تقرير «فيرست ناشيونال ريبورت» لعام ١٩٩٥ أن نسبة ٢٥٪ من العائلات الأمريكية بلغ نصيبها ١٥,٣ من الدخل القومى عام ١٩٩٢، أى أن نصيبها يزيد على نصيب بقية المجتمع الأمريكى، بينما كان نصيب نسبة الـ٢٥٪ الأفقر فى العائلات الأمريكية لايزيد على ٦,٥٪ من الدخل القومى.

وتدل المؤشرات على أن الفارق بين دخل الشريحة الأكثر غنى وبقية شرائح المجتمع يتعاظم أى أن الأغنياء يزدادون غنى والفقراء يزدادون فقرا.

وعندما قدمت «لجنة الفقر والمساعدة العائلية» تقريرها إلى الكونجرس عام ١٩٩٥، أوردت أن نسبة الفقراء تبلغ ١٨٪ من الأمريكيين. وإذا ما استخدمنا تعبير خط الفقر أى الحد الأدنى للحاجات الإنسانية، فإن تقرير «فيرست ناشيونال» يورد أن ١٤,٢٪ من الأمريكيين تحت خط الفقر أى نحو ٣٥ مليونا من الأمريكيين وتزداد النسبة بين الأطفال لتصل إلى ٢١,٨٪ من اجمالى الأطفال الأمريكيين، بالإضافة إلى أن هناك ٣٥ مليونا من الأمريكيين يعيشون دون تأمين صحى(٧)

وفى كتابه «الحلم الأمريكى فى خطر» يرصد ادوارد إن لوتوارك، الظاهرة ذاتها، فيتحدث عن ١٥٠ مليون أمريكى يعيشون فى ظروف اجتماعية واقتصادية مماثلة لظروف العالم الثالث، بالإضافة إلى ٢٨ مليون أمريكى ينحدرون إلى الظروف نفسها. ومقابل تلك الملايين من الأمريكيين. هناك العائلات المثلة نسبة الـ١٪ الأكثر غنى وتملك ما قيمته ١,٢٥ تريليون دولار (التريليون الف الف مليون دولار) فى شكل عقارات و١,١٢ تريليون دولار فى الأسهم و٢٢١,٩ مليار دولار فى صناديق للتأمين و٥٢٤,٦ مليار دولار فى حسابات مصرفية، أى بإجمالى ٣,١ تريليون دولار، بينما تبلغ استثمارات تلك العائلات ٢,٥ تريليون دولار.

ويذكر لوتوارك أن «ريع» الأصول التى تمتلكها تلك العائلات، يمثل نسبة ٥٠٪ من دخلها السنوى البالغ ٥,٣ مليار دولار سنويا(٨).

إن الحلم الأمريكى أصبح مهددا، وقد يتحول إلى كابوس بفعل النخبة الطفيلية -الريعية الجديدة.

لقد تعايش المجتمع الأمريكى مع اختلال توزيع الدخل. كما أن انكماش الطبقة الوسطى لم يصب أفرادها باليأس من الحلم الأمريكى، وإن أصبح عسير المنال، بل ظل الاعتقاد فى تحسن الاقتصاد فى قادم الأعوام. ومنذ ربيع ١٩٩٣، توالت تقارير تشير إلى أن الاقتصاد يتعافى وفق مؤشرات زيادة معدل النمو الناتج المحلى الإجمالى (النمو الاقتصادى)، وخلق وظائف جديدة وانخفاض التضخم، وارتفاع أسعار الأسهم، ولكن آثار الفترة ٧٠-١٩٩٣ أوجدت تغيرات هيكلية على الاقتصاد والمجتمع فى أمريكا.

لقد ظهرت فى السنوات الأخيرة دراسات تتحدث عن ظهور نخبة جديدة أنانية تعمل لنفسها، من المديرين والمهنيين والطفيليين. ويقول كريستوفر ليش فى كتابه «ثورة النخب» إن مشكلة النخبة الجديدة ليست أن الطبقة الوسطى والطبقة الأدنى لا تأملان فى تنازل من جانبها، ولكن أن النخبة الجديد تحاول زيادة نصيبها من الثروة القومية دون زيادة رفاهية المجتمع، بل إن أعضاءها أبعدوا أنفسهم عن الحياة العامة، وبعضهم لايعتقد أنه «أمريكى» ويربط نفسه بثقافة عالمية لل «بيزنس» والمتعة وينفصل عن الانهيار الحادث فى أمريكا.

ويؤكد ليش أن بعض أعضاء النخبة الجديدة، من مستثمرى «وول ستريت» على استعداد للإقلاع بطائراتهم الخاصة. إذا حدث انفصال للسود أو انفصال من البيض، أو حرب أهلية أو ارهاب عالمى أو محلى، حتى أن أمريكا ستكون أول أمة تسقط ضحية أبنائها.

(٢) أمتان: سوداء وبيضاء

أمتان: سوداء وبيضاء نفصلتان متعاديتان وغير متساويتين، هكذا وصف البروفيسور آندرو هاكر أستاذ الانثربولجيا بجامعة كوينز، حالة التفرقة العنصرية فى أمريكا، والتى يطلق عليها اسم «التراجيدي الأمريكية»[٩]

ومنذ بداية التاريخ الأمريكى، كانت التفرقة العنصرية بين السود والبيض معضلة الحلم الأمريكى، فى نزوعه نحو التساوى بين البشر. وبالرغم من «تسويات» ثلاثة قرون من الزمان لم تزل التفرقة العنصرية هى «المعضلة الأمريكية» بتعبير جونار ميردال، والدلالة الصارخة على ازدواجية أمريكا، سياسيا وأخلاقيا[١٠]

لقد تضمن إعلان الاستقلال الأمريكى «أن جميع الناس يولودون متساوين، وأن خالقهم منحهم حقوقا ثابتة، منها حق الحياة والحرية وطلب السعادة.

ولكن توماس جيفرسون، عندما وضع اعلان الاستقلال، وضع مسئولية «العبودية» على كاهل انجلتر التى تقوم بحرب قرصنة وتبيع الأفارقة فى سوق النخاسة فى أمريكا.

هذه الازدواجية فى موقف جيفرسون، الذى أسس العقيدة الأمريكية فى المساواة والحيرة، بإدانته العبودية وتحميل مسئوليتها على كاهل انجلترا وليس أمريكا «سوق النخاسة» عكست رؤيته التى عبر عنها بتشككه فى أن العنصرين: الأبيض والأسود يمكن أن يعيشا تحت حكومة واحدة، متساوين فى الحرية.

وهذه الرؤية التى عكست الواقع الاجتماعى والسياسى فى الدولة الوليدة وقتئذ، مالبثت أن توثقت فى نص الدستور الأمريكى، فالأسود لم يذكر له أى وضع فى الدستور.

وعندما نظرت المحكمة العليا عام ١٨٥٧ فى دعوى دريد سكوت، الذى أراد سيده أن يعيد استعباده بعد تحرره، أقر القاضى روبرت تينى رئيس المحكمة العليا أن السود ليسوا معنيين بإعلان الاستقلال الذى أقر مبدأ المساواة بين الناس جميعا. وذكر القاضى تينى أن الزنوج عند وضع الدستور والموافقة عليه، كانوا يعدون كائنات من مرتبة دنيا تنحدر إلى مستوى ليس لهم فيه أى حق يلزم الأبيض باحترامه.

وقال إن المحكمة العليا تتقيد بأحكام الدستور الذى يضمن للمواطنين حقوقهم فى الملكية والعبيد هم أموال ممتلكة، وبمجئ الرئيس إبراهام لنكولن، كان عليه أن يواجه هذه الأزدواجية ففى عام ١٨٦٠ وجه لنكولن إلى العبودية إدانة أخلاقية، إلا أنه فى الوقت نفسه أكد احترامه لحق الولايات الجنوبية الدستورى فى ممارسة العبودية، وظل الأمر كذلك حتى

عام ١٨٦٥، عندما وافق الكونجرس على تعديل دستورى لحظر الرق، إلا أن إلغاء العبودية لم يكن معناه أن يصبح السود أحرارا.

فبعد هزيمة الجنوب في الحرب الأهلية ، أصدرت الولايات الجنوبية «قوانين السود» التى فرضت على الزنوج قواعد صارمة فى الحياة. وبموجب تلك القوانين كان على السود أن يبكروا فى النوم، ويستيقظوا عند الفجر، وأن يخاطبوا البيض بتوقير، وأن يظلوا فى أعمالهم الدنيا بأجور بخسة وإلا كان مصيرهم السجن. يسلمون بعد الخروج منه إلى رب عمل يعملون لحسابه نظير الغرامة التى يشترون بها حريتهم.

وفى حين أن التعديل الدستورى الرابع عشر ضمن حق الأسود فى محكمة قانونية، وأن التعديل الدستورى الخامس عشر ضمن له حق التصويت والانتخاب إلا أن الولايات الجنوبية أصدرت من القوانين مايفرغ النصوص الدستورية من مضمونها، ويبقى السود فى حالة متدنية، ومن ذلك القانون الذى يمنع الأسود من حق الانتخاب اذا كان جده عبدا. ومثل قانون حظر حق اختيار مرشح الحزب على أعضائه من البيض فقط.

وقد ألغى شرط الجد عام ١٩٥ إلا أن شرط أن يكون حق انتخاب مرشح الحزب للبيض ظل ساريا حتى عام ١٩٤٤ وبقى حتى عام ١٩٥٧ شرط امتحان الناخب فى القراءة والكتابة فى ١٩ ولاية، وفى الولايات الجنوبية كان موظفون صغار يقررون ان زنجيا استاذ جامعة لايتمتع بالمستوى الثقافى الذى يخوله حق الانتخاب. واستمرت الضرائب الانتخابية حتى عام ١٩٦٦ حيث ظلت ٥ ولايات فى الجنوب تشترط دفع ضريبة على من يريد تسجيل نفسه فى القوائم الانتخابية.

لقد استهدفت التعديلات الدستورية وأحكام المحكمة العليا منذ تحرير العبيد، ١٨٦٤، «المساواة» بين السود والبيض، ولكن الهدف ظل المساواة مع الفصل. وقد أيدت ذلك المحكمة العليا عام ١٨٩٦، عندما حكمت بأن السود والبيض ينبغى أن يكونوا منفصلين، ولكن متساوين، أى أنها ضمنت «عقيدة التمييز العنصرى» حقوقيا. واستمر الأمر كذلك حتى عام ١٩٥٤، عندما اتخذت المحكمة العليا قرارها بإلغاء التمييز العنصرى فى المدارس. ولكن قرار المحكمة العليا لم ينه التمييز العنصرى السائد فى كل مكان، والإذلالات التى يلقاها السود كل يوم. فكان الاسود إذا ما صعد إلى «الأوتوبيس» لايحق له أن يجلس فى الصفوف الأربعة الأولى التى تحمل لافتة تقول إنها محجوزة للبيض فقط، وإذا امتلأت تلك الصفوف الأربعة وصعد راكب أبيض إلى جانب أسود كان على الأخير أن يقف لأن أنظمة شركة النقل كانت تحظر جلوس البيض والسود متجاورين. وفى عام ١٩٥٥ رفضت سيدة زنجية فى مونتجمرى (ألباما) التخلى لراكب أبيض عن مكانها، واستدعى السائق الشرطة وسجنت السيدة لانتهاكها قوانين المدينة بشأن الحافلات.

وعلى أثرتلك الحادثة نظم القس مارتن لوثر كينج مقاطعة للحافلات التى تنقل السود والبيض، مادام السود يعاملون فيها معاملة مواطنين من الدرجة الثانية، وكان ذلك الحادث مطلع حركة الحقوق المدنية بقيادة كينج والنضال دونعنف ضدالتمييز العنصرى، حتى كان صدور قانون الحقوق المدنية عام ١٩٦٨، وهو العام الذى اغتيل فيه لوثر كينج، وانتخب فيه ريتشارد نيكسون للرئاسة.

ومنذ صدور قانون الحقوق المدنية اتخذت تدابير عديدة لمواجهة المشكلة العنصرية، مثل برامج الاعانة، وأهمها برامج العمل الايجابى Affermatiive Action الهادف إلى المساواة العرقية عبر بعض الاجراءات التفضيلية للأقليات.

إلا أنه بعد مضى ١٣٠ عاما على الغاء العبودية تظل المعضلة هى المساواة مع الفصل أى المساواة القانونية مع الفصل العنصرى اجتماعيا وسياسيا.

فالسود ينعزلون فى مناطق وأحياء على امتداد الولايات المتحدة، لدرجة يصدق فيها الحديث عن «جيتو زنجى» فهم ينعزلون فى هارلم «نيويورك» ومونت كلير (نيوجرسى) وكولومبيا (ميريلاند) ورستون (فيرجينيا) وشكارهايتس (كليفلاند) وأوارك بارك ويونيفرستى بارك (ألينوى).

ولايقتصر الانعزال على الجيتو، بل يشمل العمل ايضا، فالسود ينعزلون فى أعمال الخدمات والتمريض والتنظيف ومكاتب البريد ومخازن البيع والنقل وخدمات التليفون. وفى حين أنهم يمثلون أكثر من نسبة ١٠٪ من قوة العمل إلا أن النسبة بين الأطباء والمحامين لاتصل إلى ٣٪ وبين المهندسين ١٪ وبالمقابل بإن نسبة السود فى الجيش الأمريكى تفوق نسبتهم فى السكان نحو مرتين ونصف مرة إذ إن نسبة السود فى الجيش تصل إلى ٣٠٪ فى حين أنهم يمثلون ١٣٪ من عدد السكان.

و«الجيتو الزنجى» هو جيتو فقر وعطالة ومرض وعنف فى أنفصاله عن مجتمع الوفرة الأمريكى الأبيض، فاحتمالات وفاة الأطفال السود ضعفها عند الأطفال البيض.. والسود يعيشون أقل من العمر المتوقع للبيض، ولديهم ثلث فرص البيض فى العيش فوق مستوى الفقر، ونصف فرص البيض، فى التخرج فى المدارس العليا، والمتخرجون السود يحصلون على أجور أقل من أجور نظرائهم البيض.

وعدد السود الذين يموتون فى حوادث قتل يبلغ ٧ أضعاف نظرائهم البيض. أما من يموتون بمرض الإيدز فهم ٣ أضعاف من يموتون من البيض والمؤشر الأخير أن نسبة ٢٥٪ ممن أعمارهم بين ٢٠ عاما و٢٩ عاما من السود فى السجون.

لقد تخرج فى الجيتو الزنجى فى السنوات الثلاثين الأخيرة بعض الساسة مثل المرشح الرئاسى الأسبق جيسى جاكسون ورئيس هيئة الاركان كولن باول، كما ظهر روائيون مثل

أليكس هالى صاحب رواية «جذىر» وتونى موريسون الحاصلة على جائزة نوبل فى الأدب، وهناك أيضا مغنى البوب مايكل جاكسون، والمذيعة التليفزيونية الشهيرة اوبرا ونفر، والممثل بيل كوسبى بطل العرض التليفزيونى المعروف باسمه إلى جانب أبطال الرياضة مثل مايكل جوردون وتايسون، وارفت جونسون (ماجيك).

ولئن كانت سيكولوجية الجيتو الزنجى هى تعبيرعن الحفاظ على «الذات الاثنية» فى مواجهة الآخر فإن أمريكا تشهد الآن تمجيد الذات الاثنية فى مواجهة الاثنيات الأخرى، وهو ما يطلق عليه عالم الاجتماع الأمريكى تشارلز كروثامر «القبلية الجديدة» وتقود القبلية الجديدة إلى حرب اثنية ثقافية، فالسود، اليوم، يسخرون من البيض بوصفهم عرقا باردا وأنانيا، ومن الثقافة البيضاء باعتبارها ثقافة جليد وكهوف وهيمنة ودمار. وفى عنصرية معاكسة يمجد السود العرق الأسود الذى يتفوق -برأيهم- على العرق الأبيض الذى يعجز عن توليد كروموسومات الميلانين melanine التى تلون الجلد، وبما يؤثر سلبيا على النمو الدماغى للبيض.

ولا تتوقف عنصرية السود المعاكسة عند هذا الحد بل إنها باتت تطالب بالانفصال الثقافى، فبعد أن كانت حركة الحقوق المدنية تطالب بفتح مدارس وجامعات البيض أمام السود يطالب السود اليوم بمدارس وجامعات وبيوت جامعية لهم، ويحرم على البيض دخولها.

وفى هذا الاطار، صدر كتاب المنحنى الجرسى The Bell Curve، ضمن الحرب الاثنية الثقافية بين السود والبيض. وفى الكتاب يقول مؤلفاه إنه بالاستناد إلى دراسات ميدانية، ثبت أن تردى الذكاء هو الدافع الأول للعوز الاقتصادى والبطالة والجريمة وتفشى الطلاق وانجاب الأطفال خارج إطار الزوجية. ويؤكد المؤلفان أن القوة الادراكية تختلف حسب اختلاف الخلفية العرقية، وأن البيض يتقدمون السود. والنتيجة التى يخلص لها الكتاب، أن الفوارق فى الثقافة والأجور والبطالة بين السود وغيرهم من الأمريكيين ليس مصدرها غبنا تاريخيا يستوجب البرامج التعويضية، بل هى نتيجة لتفاوق طبيعى وراثى لا تؤدى هذه البرامج التعويضية إلا إلى استفحاله عبر تشجيع تكاثر غير الاذكياء وذلك من شأنه أن ينهك رصيد القدرة الإدراكية لأمريكا فيتسبب -فى نهاية الأمر- فى أفولها كقوة عظمى وكمجتمع سليم.

والحرب الإثنية بين السود والبيض فى أمريكا ليست ثقافية فقط، بل أصبح «العنف» بعدا مميزا لها، وبعد أن كان السود بنحو ثلاثة قرون هم ضحايا العنف العنصرى أصبح العنف العنصرى متبادلا بين السود والبيض.

وتدلنا بيانات مكتب الاحصاءات القضائية الأمريكى عام ١٩٩٣، إلى أن جرائم العنف العنصرى بلغت ٦٢٧٧٥٩ جريمة فى عام ١٩٩٣، بينها ٤٨١٤٧٠ جريمة اعتداء، ١٧٤٩٥٥ جريمة سرقة و٢٠٢٠٤ جريمة اغتصاب.

حدث فى لوس أنجلوس

حين وصلت إلى «لوس أنجلوس» كان قد مر أسبوعان على أحداث الشغب، التى شهدتها عاصمة الغرب الأمريكى. وكانت آثار التخريب والحرائق شاهدا عيانا فى شارع «فيرمونت» التجارى، عند سفح تلال «بيفرلى هيلز» التى تعلوها قصور ارستقراطية كاليفورنيا -أغنى الولايات الأمريكية- ومنتجعات نجوم هوليوود.

ومنذ اللحظة الأولى، وجدت من حاولوا إقناعى بأن الأحداث كانت «انتفاضة حرامية»، وآخرين يؤكدون أنها بداية ثورة عنصرية لها ما بعدها. إلا أننى لم أجد من يقلل من خطورتها أو من المصاعب التى باتت تواجهها الأمة الأمريكية، سواء كانت رؤيته للأحداث اجتماعية أو عنصرية.

تقول الرواية السائدة للأحداث ما يلى: تعرض أربعة من رجال البوليس (البيض) لشخص يدعى رودنى كينج (أسود) بالضرب بقسوة غير مبررة. وقام أحد هواة التصوير -مصادفة- بتصوير شريط فيديو لما حدث. وعرف شريط الفيديو طريقه لشاشات التليفزيون التى قامت ببثه بطول البلاد. وحين قُدم رجال البوليس للمحاكمة (خارج لوس أنجلوس). ضمت هيئة المحلفين أثنى عشر شخصا (من البيض) حكموا ببراءة رجال البوليس.

ومقابل تلك الرواية تكشف مصادر البوليس والمحكمة عن جانب آخر من الصورة يقول: إن رودنى كينج مسجل خطر لدى البوليس، وأن المشاهدة البطيئة لشريط الفيديو من هيئة المحلفين أوضح أن كينة بدا كمن يقاوم رجال البوليس، فقاموا بضربه، وفقا لما ينص عليه القانون.. ولذلك رفضت هيئة المحلفين الدعوى.

وهناك من يقول: إن عملية التصوير كانت مقصودة لا مصادفة.. وأن محامى رودنى كينج، الذى أقام الدعوى أقامها أمام محكمة خارج لوس أنجلوس فى مدينة معروفة باتجاهاتها العنصرية.

وأيا كانت الرواية الحقيقية للأحداث، فقد ترتب عليها خروج عشرات الآلاف ظهر يوم ٢٩ أبريل إلى الشوارع، وقاموا بالهجوم على السيارات المارة وتكسير زجاجها.. ثم تطور الأمر إلى إحراق السيارات القادمة والاعتداء على من فيها. وبعد ذلك هوجمت محلات الخمور، ثم محلات السوبر ماركت، ثم معارض الأجهزة المنزلية والألكترونية، وفى الليل تطور الأمر إلى إحراق المحلات التى هوجمت، وأعادت أحداث ٢٩ ابريل ١٩٩٢، إلى الأذهان أحداث العنف فى لوس أنجلوس، التى أندلعت يوم ١١ أغسطس ١٩٦٥ فى شارع وليمنجتون، وفى طريق امبريال السريع، والتى راح ضحيتها ٣٤ قتيلا و١٠٣٢ جريحا فضلا عن اعتقال ٣٩٥٢ شخصا.

وقفزت إلى الأذهان أيضا أحداث العنف والحرائق التى اندلعت فى مدينة «ديترويت» فى آخر يوليو عام ١٩٦٧، والتى اعتبرت أسوأ اضطرابات واجهتها الولايات المتحدة فى القرن العشرين، من حيث أعداد المشاركين فيها والضحايا والخسائر.

ومثلما حدث بعد أحداث العنف والحرائق فى لوس أنجلوس عام ١٩٦٥ وفى ديترويت، جرى وضع الزنوج الأمريكيين تحت المجهر بعد أحداث لوس أنجلوس.

وبرغم أن التفسير «العنصرى» كان مسيطرا فى تحليل انتفاضة لوس أنجلوس الأخيرة فإن التفسير الاقتصادى -الاجتماعى كان حاضرا وأعلى صدقية.

ففى بحث محايد للكونجرس، تركز الاهتمام على الإنفاق الاجتماعى الفيدرالى ومخصصات المدن. إذ أوضح البحث أنه من خلال فترتى حكم ريجان وبوش، انخفضت نسبة الانفاق الاجتماعى نويدرالى من ٥٦.٣٪ من الميزانية عام ١٩٨١ إلى ٥٣.٩٪ عام ١٩٩١، كما انخفضت مخصصات المدن من ٧٢.٤ مليار دولار عام ١٩٨١ إلى ٥٠.٣ مليار دولار. وفى أعقاب أحداث لوس أنجلوس، ذكرت صحيفة «نيويورك تايمز» أن مخصصات الفيدرالية للمدن انخفضت بحدة (بنسبة ٣١٪) خلال الفترة ١٩٨١- ١٩٨٩. وأن تلك المخصصات ذهبت إما إلى مدن معينة (جرينوتش وبالتوالتو) وإما إلى بناء فنادق ومناطق للاستجمام.

وتدل المؤشرات على تزايد عدد أسر الأب الواحد بين السود بنحو ٦٥٠ ألف أسرة خلال الفترة ٨٠-١٩٩٠. ففى عام ١٩٨٠ كان عدد تلك الأسر ٢.٣١١ مليون أسرة ٥٤٪ منها تحت الفقر. وزاد العدد إلى ٢.٩٦٥ مليون أغلبيتها المطلقة تحت خط الفقر.

وفى الوقت نفسه انخفض عدد الأسر السوداء ذات الأبوين من ٢.١٥٤ مليون عام ١٩٨٠ إلى ١.١٠٤ مليون عام ١٩٩٠، منها نسبة ١٥٪ تقريبا تحت خط الفقر.

أما بالنسبة للبطالة فإن ٥٨٪ من الأمهات فى الأسر السوداء لايعملن أو خارج قوة العمل.

بيد أن الأمر لايقتصر على السود، فقد أظهرت الأرقام التي توصل إليها مكتب الميزانية التابع للكونجرس، أن الأثرياء يزدادون ثراء، والفقراء يزدادون فقرا فى الولايات المتحدة. فالأثرياء الأمريكيون الذين يقدر عددهم بنحو ٢.٥ مليون شخص، ويمثلون ١٪ من تعداد السكان يحتكرون ٦٠٪ من أرباح الدخل فى الولايات المتحدة بين نهاية السبعينيات ونهاية الثمانينيات.

وكشفت أرقام مكتب الميزانية التابع للكونجرس عن أن المواطنين الأمريكيين الذين يعيشون تحت خط الفقر يمثلون ١٢.٨٪ عام ١٩٩٠ وأن العائلات الفقيرة تأثرت بشدة خلال سنوات حكم الرئيسين ريجان وبوش فى الوقت الذى لم تطرأ فيه أى زيادة على الأجور.

ولا تقتصر مشكلة الزنوج الأمريكيين على العنصرية والفقر، ولكنها تتفاقم بمزاحمة الأقليات الأخرى. ويكشف تقرير المكتب الإحصائى الفيدرالى الأمريكى تلك الحقيقة حينما يقرر أنه بين كل أربعة أمريكيين يوجد شخص هيسبانى أو أسود أو آسيوى أو هندى أمريكى. ويقول التقرير: إن السود أصبحوا يشكلون أقل من نصف الجاليات. ومن المتوقع أن يشهد العقد الأول من القرن المقبل زيادة عدد الهيسبانيين إلى الحد الذى يجعلهم أكبر جالية أمريكية، بما يدفع السود إلى المركز الثانى بين الجاليات لأول مرة فى تاريخ الولايات المتحدة.

وإلى جانب الهيسبانيين، يزاحم السود الآسيويون القادمون من كوريا والفلبين وبقية دول جنوب شرق آسيا والصين وباكستان، وقد انضم إليهم ١٧٣ الفا من جورجيا وأعداد هائلة أخرى من مختلف جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق.

ومكمن الخطورة -بالنسبة للسود- -أن البيض- كما يقول تقرير مكتب الاحصاء الفيدرالى- يعتبرون أن اللاتينى أو الآسيوى المتعلم أقرب اليهم من السود.

ولئن كانت أصابع الاتهام قد رفعت فى وجه السود بإحراق لوس أنجلوس، فإن نتائج التحقيقات لا تؤكد ذلك، لقد تبين أن نسبة ٤٣٪ من الـ١٢١٢٧ شخصا الذين اعتقلوا عقب الأحداث فى الفترة من ٣٠ ابريل حتى ٥ مايو كانوا من الهيسبانيين، وكانت نسبة السود ٣٤٪ بينما كانت نسبة البيض ١٤٪ ممن جرى اعتقالهم. واعتبر أرتورو فارجاس نائب رئيس عصبة الدفاع عن الأمريكيين أن تزايد نسبة الهيسبانيين بين المعتقلين أمر طبيعى. وأضاف لو أن الأحداث وقعت فى ولاية للبيض لكانت نسبة كبيرة من البيض اعتقلت. وذلك ما أكده أيضا آلاف براشينى مدير أبحاث الحريات المدنية الأمريكى.

وقال جون دنكين مسئول الشرطة فى لوس أنجلوس الذى اعتقل ٤١٪ من إجمالى المعتقلين، إن ارتفاع نسبة المعتقلين الهيسبانيين ترجع إلى أن مناطق رامبارت وايلشاير وهوليوود بها نسبة عالية منهم. بالرغم من ذلك -كما يضيف دنكين- فإن النسبة الأكبر من الجرائم ارتكبها السود (٣٨٪)، فى حين كانت نسبة جرائم الهيسبانيين ٢٨٪ والبيض ١٧٪ ويعنى كل ذلك أن الهيسبانيين شاركوا بدرجة عالية بعد السود فى أحداث العنف.

(٣) البورصة.. ورأسمالية أيامنا

الدقيقة الواحدة تساوى ٢٠ مليون دولار. ذلك ما أدركته بمجرد دخولى بورصة نيويورك للأسهم في شارع «وول ستريت» و١٠٠ مليون دولار، هى قيمة طلبات بيع وشراء الأسهم خلال ٥ دقائق فى صالة التداول بالبورصة، التى تمثل عالما صاخبا ومثيرا بلا شبيه، وذلك يفسر كيف جعلت البورصة من نيويورك العاصمة المالية الأمريكية بل والعالمية.

ليس هذا فحسب، بل إن بورصة نيويورك تقف شاهدة على تحول الاقتصاد الأمريكى من الرأسمالية التجارية إلى الرأسمالية الصناعية ثم إلى الرأسمالية المالية.

وقبل الاستطراد، فإن أعلى مراحل الرأسمالية الأمريكية، أى الرأسمالية المالية، هى الرأسمالية التى تتعامل فى المال. فلم يعد لازما أن تشترى بالمال بضاعة أو تنتج بالمال بضاعة أو خدمة لتحصل على هامش ربح. لقد أصبح ممكنا أن تربح مئات الملايين من الدولارات فى ساعات معدود من خلال شراء وبيع المال نفسه (أسهم.. سندات.. إلخ) وتلك نعمة ونقمة الاقتصاد الأمريكى.

ففى مقابل كل دولار يتم تبادله فى التجارة الدولية، تتداول الأسواق المالية ٤٠ دولارا. ومقابل ٣.٥ تريليون دولار (التريليون ألف مليار) هى حجم التبادل التجارى الدولى فى أوائل التسعينيات، فإن حجم التداول المالى فى الأسواق المالية العالمية يصل إلى ١٤٢ تريليون دولار.

وحقيقة أن الرأسمالية المالية هى «رأسمالية أيامنا» يؤكدها أن أسواق الأسهم (البورصات)، مع بداية التسعينيات أصبحت تتداول ٦١٥ مليار دولار يوميا. وتتداول أسواق السندات ٤٤٥٢ مليون دولار يوميا، وتتراوح تعاملات أسواق العملات بين ٧٠٠ مليار وألف مليار دولار يوميا بين أرجاء المعمورة.

بورصة وول ستريت

عندما وصل الهولنديون الساحل الشرقى الأمريكى أقاموا مدينة (ينيو أمستردام) بواسطة شركة «دويتش ويست أنديا» عام ١٦٥٣. ولما وصل الانجليز عام ١٦٦٤، اسموها «نيويورك» نسبة إلى جيمس دوق يورك. وأقاموا بنهايتها سورا سمى بأسمه شارع (وول ستريت) فى سبعينيات القرن الثامن عشر، والذى أصبح فيما بعد شارع المال والأعمال فى نيويورك. وفى أثناء الحرب الأهلية أصدرت الحكومة الفيدرالية قروضا عامة، وعرفت السندات كأسهم عامة، وتم تداولها فى سوق ثانوية.

وأصبحت نيويورك أحسن سوق للأسهم العامة فى بداية التسعينيات من القرن الثامن عشر، وكان يجرى تداول الأسهم بضمانات بالات القطن والسكر.

وكان سماسرة نيويورك الـ٢٤ يجتمعون تحت شجرة فى الجزء البحرى من شارع «وول ستريت» صيفا.. وفى الطقس البارد كانوا ينتقلون إلى مقهى «تونتاين كوفى هاوس». وقد توصلوا فى ١٧ مايو ١٧٩٢ إلى (اتفاق بوتون وود) الذى تضمن منع الاحتكار، وحدد هامش السمسرة.

وبعد الحرب بين بريطانيا العظمى والولايات المتحدة عام ١٧١٢، توسعت سوق الأسهم وزاد عدد السماسرة.. وفى ١٨١٧ أصبحت «وول ستريت» المركز المالى والتجارى لنيويورك العاصمة التجارية للولايات المتحدة. وفى ٨ مارس اتفق السماسرة على إقامة «بورصة نيويورك» فى حجرة فى ٤٠ شارع وول ستريت، وأصبحت تجارة الأسهم فى نيويورك منظمة، مثل لندن وأمستردام وباريس.. وبين عامى ١٨٢٠، و١٨٣٠، توسعت الاصدارات العامة الفيدرالية لتمويل انشاء الطرق والكبارى والقنوات والصرف الصحى ونظم الإضاءة بالإضافة إلى إصدارات البنوك وشركات التأمين البحرى، ثم فتحت البورصة فرعا لها فى صالة كبيرة فى ٥٥ وول ستريت بسبب تزايد حجم الأموال المستثمرة التى وصلت إلى ٣ مليارات دولار عام ١٨٩٦.

خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن التاسع عشر، كانت بورصة نيويورك شاهدة على انطلاق «مرحلة الرأسمالية الصناعية» فى أمريكا، على أكتاف عدد من كبار الرأسماليين. فقد احتكر جون روكفلر ٩٠٪ من صناعة تكرير البترول فى أمريكا، بالإضافة إلى صناعات أخرى مثل السكر والدخان، وبنى جى. بى. مورجان ثمانية مصانع للصلب. واستثمر أندرو كارنجيى عشرات الملايين من الدولارات فى الصناعة. وكان أن ابتكرت صحيفة (وول ستريت جورنال) عام ١٨٩٦ مؤشر «داو جونز» للشركات الصناعية.

وفى عام ١٩٠٣ بدأ العمل فى بورصة نيويورك الحالية.. ولم تمر سوى أربع سنوات حتى شهدت البورصة الوليدة عام ١٩٠٧ موجة من البيع المذعور. فتدخل مورجان باستثمار نحو ٢٥ مليون دولار من أجل استقرار البورصة. ومع بدء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤، حدثت موجة أخرى أدت إلى وقف التعامل فى البورصة لمدة خمسة أشهر.

وبنهاية الحرب العالمية الأولى، أصبحت نيويورك المركز المالى وليست لندن. ولعدة سنوات بعد الحرب شهدت أسعار الأسهم بالبورصة هبوطا تدريجيا، ولكن دون انهيار وهى الفترة التى عرفت باسم عصر الجاز Jazz Age.

وفى يوم الثلاثاء ٢٩ أكتوبر ١٩٢٩، كان انهيار البورصة مفاجئا، وظهر مع نهاية العشرينيات أن قطاعات الصناعة والانشاء والبنوك تواجه تدهورا حادا. وفى عام ١٩٣٢ أصبح واحدا من كل أربعة أمريكيين عاطلا.. وتعطل الخريجيون الجدد لدرجة أن المحلات

التجارية كانت تطلب خريجي الجامعات للعمل كبائعين. وقام الرئيس روزفلت بتعيين جوزيفك بنيدى رئيسا للجنة تأمين وتنشيط البورصة.. ولكن دون جدوى. ومن بعده، جاء ويليام دوجلاس وكان نجاحه محدودا. لقد كان واضحا أن شيئا ما خاطئ فى «وول ستريت».

وجاءت الحرب العالمية الثانية لتحدث أثرا مزدوجا فى البورصة والاقتصاد.. فقد أدت أخبار تقدم هتلر فى أوروبا إلى تدهور أسعار الأسهم. إلا أن الحرب أدت إلى إصدار سندات فيدرالية لتغطية سبعة قروض من أجل تمويل الحرب، ومثلما أدت تلك الإصدارات إلى تنشيط البورصة، فقد ساعدت على تطوير بعض الصناعات، مثل الطائرات والأدوية والمعدات الميكانيكية والأجهزة الالكترونية.

وبعد الحرب العالمية الثانية، أصبحت الولايات المتحدة تنتج ٥٠٪ من الانتاج الصناعى العالمى بواسطة ٦٪ فقط من سكان العالم. وكانت النتيجة توسع واستقرار سوق الأسهم، حتى أن صحيفة «نيويورك تايمز» نشرت فى عام ١٩٤٨ إعلانات لبيوت مالية كبرى مثل ميريل ينش وبايرس وفينير آندبين تقول: ماذا يجب أن يعرف كل واحد عن (بيزنس) الأسهم والسندات. واتصل آلاف من القراء بتلك الشركات.

وتوصل صغار المستثمرين إلى ما يعرف حاليا بصناديق الاستثمار، وأصبح ١٠٠ مليون أمريكى أصحاب أسهم وسندات فى الشركات.

وجاءت الستينيات لتشهد بورصة نيويورك نموا كبيرا، ومنذ عام ١٩٦٦ دخل الكمبيوتر البورصة.. واحتاج الأمر ١٠ سنوات لتعمل الصالة بالكامل بالكمبيوتر الذى أصبح يربطها بالبورصات الأخرى فى العالم.

والآن يستطيع كمبيوتر البورصة إجراء ٣٦٠٠ عملية فى الدقيقة.

ويأتى يوم ٨ يناير ١٩٧٨ ليخترق مؤشر (داو جونز) حاجز ٢٠٠٠ نقطة، بعد أن تجاوز حاجز الألف نقطة فى ١٤ نوفمبر ١٩٧٦.

وفى ١٦ أغسطس ١٩٨٧ تخطى «داو جونز» حاجز ٢٥٠٠ نقطة، ثم كان الانهيار الكبير فى ١٩ أكتوبر ١٩٨٧، حيث هبط المؤشر ٥٠٨ نقاط بنسبة ٢٢.٧٪ مقارنة بنسبة هبوط ١٢.٩٪ خلال أزمة ٢٩ أكتوبر ١٩٢٩.

وإذا كان «داو جونز» قد استطاع تعويض خسائره، مرتفعا مرة ثانية إلى مستوى ما فوق ٢٥٠٠ نقطة فإنه بعد مرور عامين وتحديدا فى ١٣ اكتوبر ١٩٨٩، عاودت الأسهم الأمريكية الانخفاض، ليهبط مؤشر داو جونز ١٩٠.٦ نقطة بنسبة ٦.٩٪ وما لبثت الأسهم الأمريكية أن عاودت الانتعاش حتى تخطى داو جونز حاجز ٣٠٠٠ نقطة فى ١٧ ابريل ١٩٩١، وسجل المؤشر ٣٤٠٠ نقطة فى الأول من يونيو ١٩٩٢.

ويرتبط صعود وهبوط مؤشر داو جونز بعوامل اقتصادية وسيكولوجية وفنية، فلا يتوقف الأمر فقط على أداء الاقتصاد الأمريكى، ونتائج اعمال الشركات، بل يرتبط أيضا بتوقعات المضاربين، التى تؤثر على قرارات بيع وشراء الأسهم، وكشف انهيار عام ١٩٨٧ عن أن أوامر الكمبيوتر دفعت إلى موجات بيع محمومة للأسهم أدت إلى انهيار أسعارها.

وتجرى عمليات التداول فى البورصة (بيعا وشراء) على أساس المعلومات التى تعرضها شاشات الكمبيوتر المنتشرة فى صالة التداول، وقد يحصل السمسار على معلومات داخلية بطريقة خاصة من البورصة أو من خلال الشركات نفسها التى يجرى التداول على أسهمها. إلا أن الحصول على المعلومات الداخلية صعب المنال حيث يوجد ما يسمى (سور الصين) بين قسم السمسرة والمصادر التى توجد بها المعلومات الداخلية، مثل سجلات البورصة وسجلات الشركات المتداولة أسهمها وشركات التمويل، وإذا تمكن السمسار من اختراق (سور الصين) وحصل على معلومات داخلية واستفاد منها فى التأثير على عمليات التداول فإنه يعاقب جنائيًا.

جيمس ستيوارت محرر الصفحة الأولى فى صحيفة وول ستريت جورنال، والذى ألف كتابا عن فضائح التعاملات الداخلية فى الثمانينيات يصف تلك التعاملات بأنها (جرائم بيضاء) ولكنها يمكن أن تفقد بورصة نيويورك الثقة والاحترام كما قال لى.

يوم فى البورصة

المرأة الأمريكية كانت سباقة فى الدخول إلى عالم البورصة المثير.. ففى عام ١٨٧٠، كونت فيكتوريا كالفن وودهل وأختها تنيسى «بيتا» للسمسرة فى وول ستريت.

وفى أواخر القرن التاسع عشر، أصبحت (هستى جرين) من ملاك المضاربة فى البورصة، أغنى امرأة فى العالم.

لقد كانت السمسارة، فى ذلك الوقت تعمل ٦ أيام فى الأسبوع من التاسعة والنصف صباحا حتى الثالثة مساء مقابل أجرين ٢٠ و٣٠ دولارا إلا أن أجواء البورصة (المثيرة) كانت تجذب نوعا ما من النساء.. وجاءت الحرب العالمية الثانية التى زجت بالرجال إلى ميادين القتال. لتدفع بنساء كثيرات إلى صالة البورصة، ثم انسحبت النساء بعد الحرب ليفسحن المجال للرجال.

جودى جيلارلادى واحدة من ٢٤ امرأة فى صالة بورصة نيويورك.. عاشت فى حياتها يوما كاملا كسمسارة. فى الساعة التاسعة والنصف صباحا أخذت قهوتها الباردة، ثم بدأت عملها بمراجعة موقف الأسهم.

تقدر عملياتها (بيعا وشراء) نحو ١٤ مليون دولار يوميا. كل دقيقتين، تصيح فى مساعدها فرانك كانا روزو: أسرع.. ويقوم هو بالاتصال بالعملاء عن طريق ٢٠ خطا تليفونيا فيما يأخذ مساعدها الثانى أيا الكينا أوامرها بالشراء.. ويطلب لها الساندويتشات التركية ايضا.

يقول عنها زملاؤها السماسرة: إنها تحصل على الأفضل.. إنها منافسة كبيرة قال لى مساعدها الكينا وهو يشير إليها: إنها مثل الكمبيوتر.. سريعة تملك ذاكرة قوية، وأضاف: ولكنها تختلف عن الكمبيوتر فى أنها مرنة.

واستدارت جودى قائلة: هنا.. لا تتوقع منى أن أكون امرأة.. إذا كنت ذا حساسية زائدة، فلن تستطيع العمل هنا.. فى الساعة العاشرة والنصف دخلت جودى فى مناقشة مع ثلاثة سماسرة حول صفقة غير مؤكدة الربح.. فقد قامت بشراء أسهم من شركة «دلتا للطيران».. بعد دقائق تبين أن الصفقة رابحة التفتت نحوى قائلة: لا فضل لى.. إنه العميل الذى أمر بالشراء.

بعد إغلاق الجلسة الصباحية. قالت لى جودى إنها نشأت لأب مقاول وأم ممرضة وعندما اصطحبها صديق لوالدها إلى بورصة (الباسفيك) فى سان فرانسيسكو، أدركت أنها كمن تم اختطافها.

وقررت العمل كسمسارة. وبعد زيارة لبورصة نيويورك. سألت نفسها ماذا يمكن أن تعمل فى سان فرانسيسكو.. وقررت العمل فى بورصة نيويورك.

فى منزلها فى الجانب الشرقى من مانهاتن، لاتبدو جودى جيلاردى مختلفة كثيرا عما هى عليه فى أثناء العمل فى البورصة.

تقول: إن جيرانى يصابون بالدهشة عندما يعلمون أنى أعمل سمسارة فى البورصة، ويقولون إنك تظهرين هادئة جدا.. وتضيف جودى: أبدو باردة.. إلا أن عقلى ساخن دائما وخارج العمل، لا أتوقف عن الحركة.. أجرى مسافة ٥ أميال يوميا أو أحمل الأثقال.. أتناول طعامى خارج المنزل.. أذهب لمشاهدة المسرح والباليه.

وفى تعجب واضح، تقول جودى: إذا قال لى شخص إنه ذاهب للبحر لمدة أ«أسبوع دون تليفزيون وصحف وكتب فإن ذلك يجعلنى عصبية جدا.

داو جـونـز

مؤشر داو جونز ليس لغزا فقط، عليك أن تجمع أسعار أسهم ٣٠ شركة صناعية، ثم تقسم حاصل الجمع حتى تحصل على الرقم الساحر والمقلق أحيانا.

والمؤشر ذائع الصيت ابتكره عام ١٩٨٤ تشارلز هنرى داو، الذى كان يعمل محللا ماليا، وزميله إدوارد جونز الذى كان يعمل فى يصحيفة وول ستريت جورنال فى ذلك الوقت. وسمى المؤشر بإضافة الاسم الأخير للأول (داو) والثانى (جونز) ليصبح داو جونز.

وحسب محررى وول ستريت جورنال، فإن الشركات التى يتضمنها المؤشر يجب أن تكون نشيطة وممثلة للاقتصاد الأمريكى.. وتوجه انتقادات للمؤشر بأنه يقتصر على عدد محدود من الشركات وعلى فئة بعينها، وأنه لو ضم فئة أكبر وأوسع لكان أكثر فائدة. ويقول محررو وول ستريت جورنال.:

إذا عرفت ما هى الشركات التى يضمها فإنك لن تقتنع بتلك الانتقادات، وستعتقد أن المؤشر يعبر تعبيراً حقيقيا عن الشركات الأمريكية.

وهذا حصرا تلك الشركات:

- بروكنتر جامليز ايفرى سوب
- إيسترن كوداك فيلم
- ثرى إمز سكوتش تيب
- اميركان اكسبريس كاردز
- ميرك بيلز
- كوكاكولا كو
- ألكوا ألمونيوم شيت
- بيثلهيم ستيل تومبيمز
- كوفى بير أن سيجارب فروم فيليب موريس
- دو بونتر كفيلار
- سيرز ويشر آند داربر
- انترناشيونال بيبرز
- بوكسز أند باكجز
- والت ديزنى ميكى
- يونيون كاربايد
- إكسون أويل
- توكنولوجيز كارير
- الايد سيجنال
- وولورث كاونتر
- تكساكو جاز
- ماكدونالدز امبلويى
- إيه تى أندتى
- جنرال موتورز كاديلاك
- جى بى مورجان بانكرز
- جوديير تايرز
- كاتربيلر ويل لودر
- بوينج ٧٤٧
- أى بى أم كمبيوتر
- وستنجهاوس رادار
- شيفرون أويل درام
- جنرال اليكتريك

وقد أضيفت للمؤشر فى ١٧ مارس ١٩٩٧، شركات: ترافلرز، وال مارت، هيوالت باكارد، جونسون آند جونسون، لتحل محل شركات: بيثلهيم ستيل، وتكساكو، وستنجهاوس،، وول وورث.

أكبر السقطات فى تاريخ مؤشر داو جونز

التــــاريخ	السقطة بالنقاط	نسبة مئويــة
١٩ أكتوبر ١٩٨٧	٥٠٨,٠٠	(-) ٢٢,٦٣٪
٢٨ أكتوبر ١٩٢٩	٣٨,٣٣	(-) ١٢,٨٢
٢٩ أكتوبر ١٩٢٩	٣٠,٥٧	(-) ١١,٧٣
٦ نوفمبر ١٩٢٩	٢٢,٥٥	(-) ٩,٩٢
١٨ ديسمبر ١٨٩٩	٥,٥٧	(-) ٨,٧٢
١٢ أغسطس ١٩٣٢	٥,٧٩	(-) ٨,٤٠
١٤ مارس ١٩٠٧	٦,٨٩	(-) ٨,٢٩
٢٦ اكتوبر ١٩٨٧	١٥٦,٨٣	(-) ٨,٠٤
٢١ يوليو ١٩٣٣	٧,٥٥	(-) ٧,٨٤
١٨ اكتوبر ١٩٣٧	١٠,٥٧	(-) ٧,٧٥
١ فبراير ١٩١٧	٦,٩١	(-) ٧,٢٤

(٤) المال والسياسة: صدام الرأسمالية والديمقراطية

منذ أول يوم فى عمر الجمهورية الأمريكية الوليدة، بعد إعلان الاستقلال عن إنجلترا عام ١٧٧٦، تنازع المؤسسون حول قيمتى الملكية والمساواة، وهو النزاع الذى مازال مستمرا بين الرأسمالية والديمقراطية، بعد مائتى عام من استقلال الولايات المتحدة الأمريكية.

فجون جاى (١٧٤٥- ١٨٢٩) الذى وضع أول دستور لولاية نيويورك، وأصبح أول رئيس للمحكمة العليا الأمريكية، دعا عند قيام الجمهورية الأمريكية إلى مبدأ «من يملك يحكم» أى أن من يملكون البلد يجب أن يحكموه.

كما أن جيمس مادسون (١٧٥١ - ١٨٣٦) الذى يعتبر أبو الدستور، وأصبح رئيسا للولايات المتحدة خلال الفترة بين ١٨٠٩و١٨١٧، دعا إلى أن يمثل مجلس الشيوخ الأغنياء (الأرستقراطية) لتحقيق التوازن بين قوة الشعب وقوة الأرستقراطية[١٦].

إلا أن نزاع الملكية والمساواة أو الرأسمالية والديمقراطية، استقطب بين قطبين مؤثرين. كان القطب الأول والمدافع عن الملكية، هو الكسندر هاملتون الذى أصبح أول وزير للخزانة مع (إدارة الرئيس واشنطن)، وكان يدعو إلى أن الأغنياء وأبناء الأسر الكبيرة هم وحدهم القادرون على النهوض بأعباء حكومة حسنة.. لقد كان هاملتون من أبرز المشاركين فى وضع الدستور الأمريكى. إلا أنه يعتبر بحق مؤسس الرأسمالية الأمريكية الحقيقى ورجل دولة من الطراز الرفيع.

أما القطب الثانى والمدافع عن المساواة، فكان توماس جيفرسون، الذى آثر أن تكون صيغة مقدمة إعلان الاستقلال أن للأمريكيين حقا فى الحياة والحرية، وطلب السعادة بدلا من صيغة جون آدامز «الحياة والحرية والملكية».

وبانتخاب جورج واشنطن كأول رئيس للولايات المتحدة، كان الانحياز لاتجاه هاملتون، أى الانحياز للمشروع الرأسمالى عن حساب المشروع الديمقراطى، والانحياز لتداخل السلطة والثروة، ففلسفة هاملتون كان مضمونها أن السلطة يجب أن تقوم على رجال المال.

وبعد أن تحققت الغلبة لسياسة هاملتون، فكان الهدف صالح من فى أمريكا من أصحاب النفوذ والثروات، فكما شجع القانون الزراعى ١٧٨٥ كل القادرين على شراء مساحات واسعة من الأرض، شجع هاملتون أصحاب رؤوس الأموال على تأسيس مشاريع صناعية فى حماية رسوم جمركية عالية، وتراكم رأس المال للاستثمار فى مشروعات جديدة.

بيد أن تنازع الملكية والمساواة والرأسمالية والديمقراطية تصاعد خلال مؤتمر إقرار الدستور عام ١٧٨٧، بين امتيازات المالكين، ومطلب غير المالكين بالقبول بحق الانتخاب

العام، وحقق الدستور ذلك التوازن، فقد أقر حق الانتخاب العام تحت الضغط الشعبى خلف اتجاه جيفرسون، بينما كان الفيدراليون يأملون فى أن يقتصر حق الانتخاب على من يدفع ضرائب معينة، كما نجح اتجاه جيفرسون فى إدخال لائحة الحقوق الدستور عام ١٧٩١.

هذا التنازع بين امتيازات المالكين والغالبية الشعبية، تجدد بعد إقرار الدستور فى مجلسى الكونجرس. فقد توقع واضعو الدستور أن يكونوا أكبر سنا، وأكثر محافظة، وأكثر تعبيرا عن مصالح النخب داخل ولاياتهم، أى الأثرياء وذووى الأصل العريق، كما توقع واضعو الدستور أن توازن سلطة الكونجرس التشريعية سلطة رئيس الجمهورية التنفيذية وأن تقلص سلطة الحكومة الفيدرالية.

وقد انتقل ذلك التنازع إلى النظام الحزبى، فالحزب الديمقراطى الذى أسسه توماس جيفرسون عام ١٨٢٨، تحول منذ الحرب العالمية الأولى ليمثل مصالح الغالبية الشعبية واستقطب الأقليات غير الأنجلو ساكسونية (الكاثوليك واليهود وذوى الأصول الإفريقية والآسيوية وسكان المدن) وأصبح أكثر ارتباطا بالزنوج.

أما الحزب الجمهورى، فقد تأسس عام ١٨٤٥ ليدافع عن قيم البرجوازية التى تكونت مع التطور الصناعى فى الولايات الشمالية، وهاجم نظام الإنتاج الإقطاعى العبودى السائد فى الجنوب، وأصبح الحزب الجمهورى يمثل مصالح الطبقات العليا والأكثر تميزا ويستقطب تأييد البروتستانت الأنجلو ساكسون البيض، وتتركز قواعده فى الريف وفى الضواحى الغنية، حيث تعيش الطبقات العليا فى المجتمع. ومعنى ذلك أن كلا من الحزبين يجسد تيارًا معينًا ويعبر عن مصالح متباينة إلا ان الخطوط الفاصلة بين الحزبين ليست تقسيما جامدا. فكل حزب يسعى إلى تأييد الأغلبية لبرامجه ومرشحيه، فالحزب الديمقراطى تحول فى التسعينيات من حزب ليبرالى إلى حزب أقرب لتوجهات الحزب الجمهورى بخصوص الميزانية الفيدرالية والبرامج الاجتماعية والضرائب. وبعد أن كان كلينتون قبل فترة رئاسته الأولى مرشح الأقليات والزنوج والاتحادات العمالية، ترشح للرئاسة الثانية، وقد تخلى عن أجندته السابقة بتوفير الضمان الصحى للجميع والرعاية الاجتماعية للمحتاجين وزيادة مشاركة الأقليات والفئات المحرومة، وخصوصا الزنوج فى العملية السياسية، وبدلا من ذلك اقترب بشدة من أجندة الجمهوريين بخفض ضرائب الفئات الأعلى دخلا، والتخلى عن برنامج الضمان الصحى، ومغازلة مستثمرى بورصة «وول ستريت».

الثروة والسلطة

ما قاله جون جاى بأن الذين يملكون البلد يجب أن يحكموه وما عبر عنه الكسندر هاملتون بتفضيله «حكومة الأغنياء» ظل اتجاها متزايدا، ولكن من خلال ارتباط رجال المال

والأعمال بالرؤساء والكونجرس، وهو اتجاه -كما يقول كلود جوليان- يحيل الديمقراطية إلى واجهة فقط تستطيع الرأسمالية من ورائها متابعة انطلاقها بكل اطمئنان.

وهناك ثلاثة أنماط لعلاقة الثروة بالسلطة: أولها ارتباط صحاب الثروة بأصحاب السلطة ليحقق الأولون مزيدا من الثروة، والنمط الثانى أن تكون الثروة وسيلة للسلطة. أما النمط الثالث فهو أن تكون السلطة وسيلة للثروة.

وكمثال على نمط ارتباط الثروة بالسلطة: لكى يحقق أصحاب الثروة مزيداً من الثروة علاقة الرئيس ايزنهار بأصحاب المشاريع والأعمال. فخلال الشهور الثمانية عشر الأولى من توليه الرئاسة. أقام فى البيت الأبيض ٢٨ مأدبة فاخرة، دعا إليها ٢٩٤ رجلا من رجال الأعمال و٣٠ فقط من أساتذة الجامعات، وخلال الساعات الطويلة التى كان يقضيها فى لعب الجولف، كان يرافقه مديرو شركات كوكاكولا وريبابلليك ستيل وجنرال اليكتريك والتبغ والبترول.. وأثمرت تلك العلاقة تشريعين هما أن بترول ما وراء البحار لن يكون من مرافق القطاع العام، وأن الطاقة النووية التى تطورت صناعيا فى أثناء الحرب ستدخل فى نطاق القطاع الخاص.

وفى الحق أن الارتباط بين رجال الأعمال ورجال السياسة، هو تقليد أمريكى يتعذر تجاهله، وقد عبر عن ذلك الرئيس ليندون جونسون بقوله: لا سبيل لأى حزب سياسى أن يكون صديقا للشعب الأمريكى إن لم يكن صديقا لرجال الأعمال، فرجال الأعمال ورجال السياسة ليسوا خصوما[١٧]

وأكثر من ذلك، فإن الرأسماليين الأمريكيين الأوائل، كما فى أى تجربة رأسمالية حققوا التراكم الرأسمالى الأولى (البدائى) من خلال الدولة. وعلى سبيل المثال، فإن جى. بى مورجان مؤسس المجموعة المالية الشهيرة بأسمه حتى الآن جمع ثروته من تجارة الأسلحة للحكومة (خلال الحرب الأهلية). ومن قروض الحكومة بفوائد عالية، ومن السكك الحديدية التى أنشأها بمساعدة الحكومة، كما حقق جاى جولد ثروته، بشراء جزء من احتياطى الذهب الذى باعته الحكومة بنهاية ستينيات القرن التاسع عشر. وكذلك فاندر بلت الذى أنشأ سككا حديدية، وامتلك أسطولا للشحن بالسفن بمساعدة الحكومة.

أما نمط أن تكون الثروة وسيلة للسلطة، فمثاله الممول نلسون روكفلر، الذى أنفق أكثر من ١٠ ملايين دولار للفوز بمنصب حاكم ولاية نيويورك. وقد حاول بالطريقة نفسها الفوز فى انتخابات الرئاسة عام ١٩٦٤ وعام ١٩٦٨ لينافس بارى جولد ووتر عام ١٩٦٤، وريتشارد نيكسون الذى فاز عام ١٩٦٨، كما حاول الملياردير ستيف فوربس الفوز بترشيح الحزب الجمهورى للرئاسة فى انتخابات ١٩٩٦. وكذلك الملياردير روس بيرو الذى رشح نفسه كمستقل لانتخابات الرئاسة عامى ١٩٩٢و ١٩٩٦.

إن روكفلر يقدم مثالا صارخا لشراء السلطة بالثروة. فقد أحاط نفسه بحاشية دائمة من السياسيين والكتاب والمثقفين. وفى عام ١٩٦٠ أقرض روكفلر رئيس الحزب الجمهورى فى ولاية نيويورك ١٠٠ ألف دولار، ثم حول القرض إلى هبة. وذلك كان شأن الخمسين ألف دولار التى منحها لهنرى كيّسنجر، ولوحة بيكاسو التى أهداها لأحد أعضاء الحزب الديمقراطى، والعمارات السكنية التى بناها فى عاصمة نيويورك البانى.

وليس كمثل الرئيس نيكسون فى الدلالة على نمط أن تكون السلطة وسيلة للثروة، إذ جمع أموالا طائلة كتبرعات انتخابية من الشركات والأفراد مقابل عقود أو إعانات مالية حكومية لتلك الشركات وتعيينات فى مناصب مهمة.

وكان الدليل صارخا عندما تكشف أن الرئيس مدين لمصلحة الضرائب بنصف مليون دولار، وأنه استخدم المال المخصص للمعركة الانتخابية ليشترى به جواهر لزوجته وبتداخل الثروة والسلطة، فإن النتيجة هى الفساد وتهديد الديمقراطية[١٩].

يقول كلود جوليان: أن يثرى رجل عن طريق السياسة، كما فعل نيكسون أو أن تفتح له ثروته أبواب السلطة السياسية على مصاريعها، كما حدث لروكفلر، فإن ذلك يعنى أن تصبح الديمقراطية صورة هزلية لسيادة الشعب. كما يعنى أن يعيث الفساد فى السلطة[٢٠].

السياسة فى السوق

يعانى النظام السياسى الأمريكى أزمة مستفحلة، هى تمويل الانتخابات من مجموعات المصالح الخاصة ولجان العمل السياسى، وبما انتهى -فى النهاية- إلى أن أصبح المرشحون للرئاسة ولمناصب حكام الولايات وللكونجرس، عرضة للشراء فى سوق مالية (وليس سياسية) مقابل مصالح جماعات خاصة أو عرقية وليس المصلحة القومية الأمريكية.

فمقابل انخفاض المشاركة السياسية (التصويت)، تزايدت المشاركة بالمال من خلال الاعانات والتبرعات التى جمعها الحزبان الديمقراطى والجمهورى للحملة الانتخابية للرئاسة عام ١٩٩٦ مايساوى ٤٠٠ مليون دولار.

فالنظام الانتخابى الأمريكى، شهد تكريس مؤسسات ظل تحت اسم مجموعات المصالح الخاصة. سمحت بها السوق السياسية فى أجواء الحرية والتعددية بتحقيق المصالح المتعددة من خلال فكرة اللوبى (جماعة الضغط)، ثم عمدت النقابات الأمريكية فى الأربعينيات الى تنظيم لجانه العمل السياسى، لمقاومة نفوذ أصحاب الشركات ورؤوس الأموال على العملية الانتخابية.

وتنافست مجموعات المصالح الخاصة، ولجان العمل السياسى، على التأثير فى الانتخابات من خلال التبرعات للحصول على «مصالح» من وراء تقديم هذه التبرعات من الحزب أو المرشح الذى يقدر له الفوز، كنوع من «الفساد السياسى». وكان ذلك وراء تفجر فضيحة الحزب الجمهورى عام ١٩٧٢، حين قدمت شركات الألبان تبرعات للحزب الجمهورى قيمتها ٣٠٠ ألف دولار، وعندما أعيد انتخاب الرئيس نيكسون بادر بزيادة الدعم الفيدرالى لمنتجات الألبان مما أدى إلى زيادة الدخل الاجمالى السنوى لصناعة منتجات الألبان بأكثر من ٣٠ مليون دولار.

ونتيجة لذلك صدر تشريع لتنظيم التمويل الانتخابى عام ١٩٧٦، تضمن أنه لايحق للفرد أن يتبرع بأكثر من ألف دولار فى كل انتخاب أولى أو عام، ولا أكثر من ٢٥ ألف دولار سنويا، أما المبالغ التى تتبرع بها لجان العمل السياسى فلا يجوز أن تتجاوز ٥ آلاف دولار للمرشح الواحد دون تحديد مبلغ اجمالى سنويا، إلا أن ذلك التشريع لعوره، دفع إلى تشكيل مئات من لجان العمل السياسى. كما لجأت تلك اللجان إلى تكتيك أطلقت عليه شبكات المتبرعين حتى لاتتقيد بسقف التبعات الذى يفرضه القانون.. فبدلا من أن تجمع لجنة العمل السياسى كل الأموال من الأفراد ثم تقوم بتوزيعها على المرشحين، فإنها تجمع المتبرعين فى «شبكة» وتوجههم (كأفراد) لمن تختاره من المرشحين.

وتنقسم لجان العمل السياسى إلى ثلاث فئات، الفئة الأولى تشمل اللجان ذات الاهتمام الموحد (قضية موحدة) مثل اللجان المعنية بقضايا: إسرائيل، المرأة، الأطفال، حق حمل السلاح، وتضم الفئة الثانية اللجان التى تعبر عن مصالح الشركات أو قطاعات اقتصادية، ثم الفئة الثالثة وتضم اللجان التى تعبر عن الاتحادات العمالية.

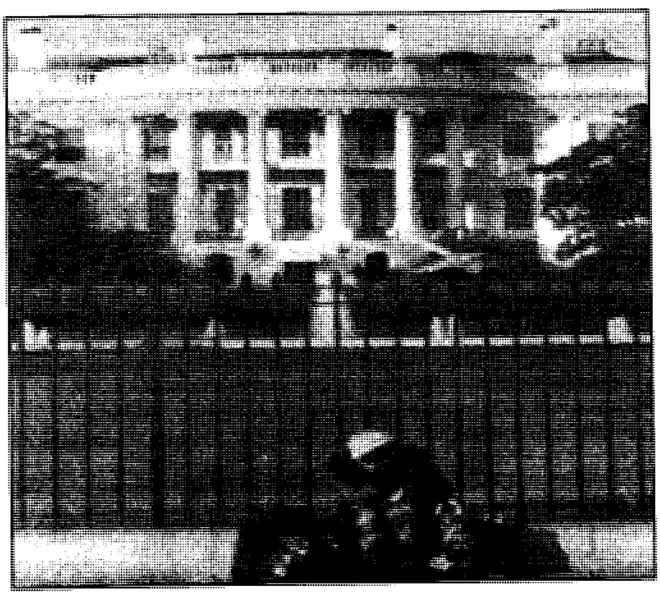
وتعمل لجان العمل السياسى على المستوى القومى ومستوى الولايات والمحليات وداخل الحزبين، وتبين أن أكثر من ٨٠٪ من إجمالى قيمة العقد أو الترخيص الذى يكون للمعطى مصلحة مباشرة فيه.

ولإدراك مدى تأثير التبرعات على المرشحين، فإن تقرير لجنة الانتخابات الفيدرالية (١٩٩٦)، أشار إلى أن تكلفة الحملة الانتخابية للمرشح الفائز قد تجاوزت ٤ ملايين دولار، وبما يعنى أن التبرعات (المال) هى السبيل الوحيد للفوز بعضوية الكونجرس أو بمنصب حاكم الولاية.

وأثارت أنتخابات ١٩٩٦ مسألة «التمويل الأجنبى» للانتخابات، إذا لم تعد التبرعات أمريكية فقط بل وأجنبية أيضا، فخلال الحملة الانتخابية ظهر أن رجل الأعمال الكورى الجنوبى جون لى تبرع لحملة كلينتون، ورد الديمقراطيون بتسريب وثائق عن أن الحزب الجمهورى قد حصل على مساعدات من دول أجنبية، وأن السيناتور جيسى هيلمز حصل

على تبرعات من تايوان قدرها ٢٠٠ ألف دولار، ومن الكويت على ١٠٠ ألف دولار، وتبين أن نائب الرئيس آل جور حضر حفلة صينية فى معبد بوذى فى كاليفورنيا، وأن هذه الجماعة الصينية حاولت التهرب من الضرائب عبر دفع تبرعات للحزب الديمقراطى. كما أن حفيد المهاتما غاندى تبرع بمبلغ ٢٠٠ الف دولار للحزب الديمقراطى مع أنه مسجل مفلسا لدى مصلحة الضرائب حتى يتهرب من دفع نفقة زوجته السابقة، وبرز اسم الإندونيسى مختار ريادى الذى تبرع للحزب الديمقراطى، مقابل ترتيب لقاء بين كلينتون والرئيس الإندونيسى سوهارتو، حتى لاتفرض أمريكا عقوبات على إندونيسيا بسبب انتهاكات حقوق الإنسان.

ومادام المال يستخدم لشراء الرئيس وأعضاء الكونجرس وحكام الولايات، فإن السوق السياسية التى يفترض فى ظل الديمقراطية أن يكون فيها الجميع متساوين تتحول إلى ما يشبه (السوق التجارية) التى تتناسب فيها القوة الشرائية للأفراد والجماعات مع من لديهم من مال.



نظام سياسى يكفل صوتا لكل فرد ونظام اقتصادى لا يتسم بالعدالة.. صدام الرأسمالية والديمقراطية

عجوز بلا مأوى أمام البيت الأبيض

(٥) سيطرة اللوبى.. والتراث اليهومسيحى

بين وقت وآخر، نجد فى الصحف الأمريكية خاصة «نيويورك تايمز» و«واشنطن بوست» إعلانا على صفحة كاملة عنوانه. لماذا نؤيد إسرائيل؟ ويتضمن الإعلان جوابا على السؤال بأنها الدول الديمقراطية الوحيدة فى الشرق الأوسط، الذى تتسم دوله بالتسلط والتعصب والاضطرابات العرقية والدينية، وبنهاية الإعلان تجد أسماء بعض أعضاء الكونجرس.

ولدى قراءاتك أو مشاهدتك للأخبار والتقارير المتعلقة بالشرق الأوسط فى الصحف أو على محطات التليفزيون الأمريكية، وكذلك بالنسبة للأفلام السينمائية، لابد أن يلفت نظرك الانحياز لوجهة النظر الإسرائيلية. وفى أحيان كثيرة تنتبه إلى أن خطابات القراء تسلك المسلك نفسه بتأييد المواقف الإسرائيلية، والهجوم على العرب والإسلام.

وسرعان ما يكتشف المرء «السيطرة اليهودية» على الصحافة والإذاعة والتليفزيون، من خلال نفوذ المال والإعلان وأداء المحررين ومقدمى البرامج.

ففى نيويورك تايمز، ظل توماس فريدمان يغطى أحداث الشرق الأوسط بما يعكس وجهة النظر الإسرائيلية، وهو الذى قام بتغطية أحداث الغزو الإسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢. لصحيفة «تايمز» اللندنية التى قامت بتعديل مايكتبه، فاختلف معها ليعمل مع نيويورك تايمز، وإن كان قد تحول بعد توقيع إعلان المبادئ الفلسطينى- الإسرائيلى، ليعكس وجهة نظر حزب العمل الإسرائيلى فى مقالاته عن عملية السلام.

كما تضم نيويورك تايمز اليهودى الليكودى إيه. إم روزنتال «إبراهام مايكل روزنتال» الذى عمل رئيسا للتحرير، ثم كاتب عمود بالصحيفة ليعكس وجهات نظر اليمين القومى والدينى المتشدد فى إسرائيل، ولا يدانيه فى ذلك إلا ويليام سفاير، الذى بدأ مذيعا ومنتجا فى الشبكة التليفزيونية «إن بى. سى» ثم مساعدا شخصيا للرئيس نيكسون، ثم كاتب عمود فى نيويورك تايمز منذ ١٩٦٨. أما مالكو الصحفية فهم من عائلة سولزبورج اليهودية.

وبالمقارنة تبدو نيويورك تايمز أكثر توازنا من واشنطن بوست، التى بدت فى أحيان كثيرة غير منطقية فى تغطيتها لأحداث الانتفاضة الفلسطينية التى قام بها جاكسون ديهيل وعلى سبيل المثال، فإن جرح جندى إسرائيلى يحجز من طفل فلسطينى كان أكثر أهمية من تكسير الجنود الإسرائيليين عظام امرأة فلسطينية، وإذا سقط جندى إسرائيلى خلال الانتفاضة يصبح العنوان: «الإرهابيون الفلسطينيون يقتلون جنديا إسرائيليًا»، وتمتلك الصحيفة كاترين مير جراهام، ابنة رجل الأعمال اليهودى يوجين مير، ولا تختلف محطات

التليفزيون والإذاعة برنامج «أخبار العالم هذه الليلة» على شبكة «إيه بى.سى» يقدمه بيتر جيننجز. وبرغم أنه على اطلاع واسع بحقائق الصراع العربى، الإسرائيلى وزواجه من لبنانية، فإنه لايستطيع أن يكون محايدا، ويفسر هو ذلك بضغط أصحاب الإعلانات -اليهود طبعا- وهو التفسير نفسه الذى تعلل به جون شانسلور مقدم برنامج الأخبار المسائية فى الشبكة التليفزيونية «إن.بى.سى» ولا يخفى أن الشبكات الرئيسية الثلاث «سي.بى.إس»«إن.بى.سى»، «إيه.بى.سى» تديرها شخصيات يهودية صهيونية، وبالمثل يبدو التأثير اليهودى فى السينما الأمريكية.

لقد وعت أمريكا على صناعة السينما، وعلى يهودها فى الوقت نفسه تقريبا. فمنذ عهد بعيد وحفنة من اليهود تسيطر على السينما الأمريكية، من أمثال صموئيل جولدن ونيكولاى شنك وديفيد سلزنيك ولويس ماير، وإيرفنج ثالبيرج وهارى كوهن وحبيبى لاسكى، ووليام فوكس والإخوة وارنر.

ويقول جاك شاهين الأستاذ فى جامعة ساوث آلينوى إنه وجد صعوبة فى العثور على عشر صور إيجابية للعرب فيما يزيد على ٤٥٠ فيلما قام بتحليلها، أما الشخصية اليهودية فى السينما الأمريكية فتخضع لتمحيص دقيق بهدف التأثير الإيجابى على الرأى العام الأمريكى.

وإذا كان اللوبى اليهودى يسيطر على الإعلام الأمريكى، فماذا عن السياسة الأمريكية؟

إن جماعات الضغط تلعب دوراً مهما فى توجيه السياسة الأمريكية، فهناك الجماعات التى تعبر عن مصالح أصحاب الشركات أو نقابات العمال أو المزارعين أو المنظمات المهنية أو التنظيمات العرقية والدينية أو تلك التى تحارب التمييز. وتمتد نشاطات جماعات «اللوبى» هذه داخل كل ولاية وعلى المستوى القومى، شريطة أن تكون مسجلة حسب قانون تنظيم جماعات الضغط الذى أصدره الكونجرس عام ١٩٦٤. فالقانون يسمح لها بالتأثير الإعلامى وتمويل صناديق الحملات الانتخابية، الأمر الذى يمكنها من الضغط على الإدارة والكونجرس بما يتفق ومصالحها.

وقد أدرك اليهود الأمريكيون تلك الحقيقة منذ وقت مبكر، واستطاعوا من خلال المنظمة الصهيونية العالمية، ثم من خلال اللوبى اليهودى فى الولايات المتحدة، تكريس السياسة الخارجية الأمريكية بما يتفق ومصالحهم، وذلك بواسطة تطويق مؤسسة الرئاسة ومؤسسة الكونجرس فى عام ١٩١٧، خضع الرئيس روزفلت لتأثير المنظمة الصهيونية لتأييد وعد بلفور بإقامة وطن قومى فى فلسطين الذى ما كانت تستطيع بريطانيا تقديمه لليهود دون موافقة أمريكية، ومارست المنظمة تأثيرها على الكونجرس، الذى وافق بمجلسيه على الوعد، وفى عام ١٩٤٣، تقدم الرئيس روزفلت باقتراح بأن تسمح الولايات المتحدة والدول

العربية بهجرة اليهود اليها (أمريكا) بدلا من مطالبة العرب بتقديم تسهيلات للهجرة اليهودية، إلا أن الكونجرس- تحت التأثير الصهيوني- رفض اقتراح الرئيس وجاء الرئيس ترومان ليجعل السياسة الأمريكية فى خدمة الدولة اليهودية. وفى ٢٨ أكتوبر ١٩٤٨، أوضح فى رسالة وجهها للملك عبدالعزيز آل سعود أن تأييد الوطن القومى لليهود سياسة أمريكية ثابتة. ولذلك فمن الطبيعى أن تشجع الحكومة الأمريكية هجرة أعداد كبيرة من اليهود إلى فلسطين ليس اهموا فى إقامة الوطن القومى اليهودى.

وبعد تقاعده كشف الرئيس ترومان عن الضغط اليهودى الذى تعرض له، فكتب يقول: إنها لم تكن مجرد حركات ضاغطة غير مسبوقة على البيض الأبيض، لقد كان البيت الأبيض عرضة لوابل من الضغط.. إننى لم أواجه حملات دعاية، كما واجهت فى تلك الفترة. وكان أشد ما يزعجنى الطبيعة المتشددة لعدد من اليهود المتطرفين المدفوعين بدوافع سياسية.

أما ما يطلق عليه -الآن- اللوبى اليهودى فيقصد به أساسا اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشئون العامة «إيباك» التى تأسست عام ١٩٥٩، ومؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية الكبرى الذى تأسس فى العام نفسه، بالإضافة إلى لجان العمل السياسى وأهمها اللجنة القومية للعمل السياسى، التى تأسست عام ١٩٨٢.

وقد استطاعت إيباك أن تعمل دون منافس حقيقى فى التأثير على الإدارة والكونجرس والرأى العام، مستخدمة مصادرالدعم المالى والإعلامى التى تمتلكها لجان العمل السياسى (Paxs) التى يصل عددها إلى أكثر من ٩٠ لجنة وتمثل التبرعات الانتخابية من لجان العمل السياسى عامل تأثير مهما، حيث أصبحت تغطى قائمة كبيرة من أعضاء مجلس الشيوخ والنواب خصوصا من ذوى النفوذ فى اللجان ذات الأهمية الحساسة لموضوع الشرق الأوسط. كما أن التبرعات الانتخابية تلعب دورا بالغ الأهمية فى إصدار قرارات وقوانين أمريكية لمصلحة إسرائيل فى سنوات الانتخابات.

ففى عام ١٩٧٢، وعلى الرغم من مبادرة الرئيس السادات من طرف واحد بطرد الخبراء السوفيت فى مصر، قرر الرئيس نيكسون بيع المزيد من الطائرات لإسرائيل متخطيا اعترضات من وزارة الخارجية والبيت الأبيض. فقد كان يأمل فى الحصول على ٤٠٪ من أصوات اليهود فى الانتخابات.

وبرغم توقيع اتفاقات كامب ديفيد مع مصر، وافق الرئيس كارتر عام ١٩٧٩ على بيعها الأسلحة التى كانت طلبتها عام ١٩٧٨. بأمل الفوز بأصوات فى انتخابات ١٩٨٠.

وفى أواخر نوفمبر وقع الرئيس ريجان مع إسرائيل اتفاقية الدفاع الاستراتيجى استعدادا لانتخابات ١٩٨٤.

كما يتجلى نفوذ الايباك ولجان العمل السياسى اليهودية فى الكونجرس بمعارضة مشروعات القوانين لمصلحة العرب، وتأييد تلك التى لمصلحة إسرائيل.

ويبدو ذلك واضحا حينما تعرض صفقة أسلحة أمريكية لدولة عربية على الكونجرس.

ومن تلك الحالات الصارخة، طلب الرئيس فورد، عام ١٩٧٥ من الكونجرس، الموافقة على صفقة صواريخ (هوك) للأردن، فرغم أن الإدارة الأمريكية أرسلت الطلب سرا إلى لجنة العلاقات الخارجية فى مجلس الشيوخ ولجنة الشئون الخارجية فى مجلس النواب، فإن الطلب تسرب فى اليوم نفسه إلى المدير التنفيذى للجنة الأمريكية- الإسرائيلية للشئون العامة (ايباك)..

وعلى الفوز أعدت «ايباك» مذكرة قالت إن هذه الأسلحة لتأمين عمليات هجومية ضد إسرائيل، وتم إرسال المذكرة إلى جميع أعضاء الكونجرس وإلى الجالية اليهودية فى ١٩٧ مدينة رئيسية و٢٠٠ مدينة صغرى.. وكان أن تراجعت الإدارة تجنبا لمواجهة مع الكونجرس.

ومارست الايباك الممارسة نفسها، لمنع بيع صفقات أسلحة للسعودية فى أعوام ١٩٨٢و١٩٨٥ و١٩٨٧، وذلك بعد أن نجحت السعودية فى الحصول على صفقة طائرات (أواكس) بعد مواجهة بين الإدارة والكونجرس.

كما قاومت الايباك مشروعات القوانين، التى قدمت للكونجرس بخفض المساعدات العسكرية لإسرائيل، والسماح بمكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية فى الولايات المتحدة.. وتكشف دراسة أعدتها للجنة العربية الأمريكية لمكافحة التمييز العنصرى عن أن ٧٦ عضوا من أعضاء مجلس الشيوخ المائة المنتخبين عام ١٩٨٨ تلقوا دعما ماليا مباشرا من ايباك، وأن ٣٣٤ من أعضاء مجلس النواب المنتخبين الـ٤٣٧ حصلوا على الدعم المالى لـ(الايباك).

أمام نادى الصحافة الوطنى فى واشنطن، وقف السيناتور الديمقراطى جورج ماكجيفرون شارحا تأثير اللوبى اليهودى والتحول فى السياسة الأمريكية. وتأتى أهمية شرح ماكجفرن من أنه حرص على تقديم نفسه بأنه مؤيد مخضرم لإسرائيل ويعجب بمثلها الدينية والسياسية.

يقول ماكجفرن: لقد مكثت ٢٢ سنة فى الكونجرس مؤيدا لإسرائيل انطلاقًا من مزيج من المصلحة الذاتية والاقتناع. وكنا مدركين لحجم اللوبى الإسرائيلى فى البلاد، وكنا ننهار ونتخذ مواقف ضد مبادئنا. والآن -فى عام ١٩٩٢- يستطيع الكثير من الأعضاء أن يتبعوا ضمائرهم .

ويشرح ماكجفرن أن السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربى- الإسرائيلى كان أساسها الاعتقاد السائد لدى صانعى القرار الأمريكيين بأن دعم إسرائيل هو لمصلحة

الدويلات المتحدة فى حلبة المنافسة بين القوتين العظميين حيث كان الكثير من الدول العربية والقوى السياسية العربية تدور فى فلك المعسكر السوفيتى. وبالتالى فإن كل ما كانت تريده إسرائيل ينظر إليه على أنه يتفق والمصلحة القومية الأمريكية. وكان الكونجرس يتماشى مع ما يتوقعه منه اللوبى اليهودى، بدلا من أن يتماشى مع ما يريده الرئيس الأمريكى. أما الآن (١٩٩٢). فقد تماشى الكونجرس مع الرئيس بوش عندما تم إيقاف ضمانات القروض لإسرائيل، وبعد أن اتضح أن الرأى العام الأمريكى يؤيد الرئيس فى ذلك.

ثم يوضح السيناتور جورج ماكجفرن، كيفية التحول فى الرأى العام والسياسى فى أمريكا. يقول لقد بثت محطات التليفزيون صورا حية لما يقوم به الجنود الإسرائيليون من كسر عظام المقبوض عليهم، وأصبح معروفا أن إسرائيل تلجأ للعقاب الجماعى فى تعاملها مع الفلسطينين مثل تفجير المنازل وغلق المدارس والجامعات. إن التمييز الذى يمارس ضد الفلسطينيى فى إسرائيل قد صدم أولئك الذين ظلوا يؤيدون إسرائيل لسنوات طويل، واتضح لدافع الضرائب الأمريكى أن الدولارات الأمريكية تستخدم فى بناء المستوطنات وممارسة التمييز العنصرى.

وعندما حاولت اسرائيل استغلال عواطف الأمريكيين بتذكيرهم بالمأساة التى خلفها هتلر فى أوروبا، بقصد الحصول على ضمانات القروض تركت اثرا عكسيا تمثل فى تذكير الشعب الامريكى بالقضية الانسانية الحقيقية، وهى الاحتلال الاسرائيلى للأراضى الفلسطينية.

ويشبه ماكجيفرن وضع اسرائيل عام ١٩٩٢، بوضعها عام ١٩٥٦ إذ أصبحت، كما كانت، فى حاجة إلى الولايات المتحدة أكبر من حاجة الولايات المتحدة إليها، وهو الوضع الذى مكن إدارة الرئيس أيزنهاور من التصدى لإسرائيل فى حرب الخليج فإن بإمكان الإدارة الأمريكية أن تتصدى لإسرائيل. وذلك ما بدأ يظهر لدى مناقشة ضمانات القروض بيد أن أهم ما يؤكده شرح ماكجيفرون أن حركة الادارة والكونجرس تجاه اسرائيل، محكومة فى النهاية بشكل مباشر أو غير مباشر بتوجهات الرأى العام الأمريكى.

فهل كان يتوقع أحد أن يوقع ٣٠ عضوا من مجلس الشيوخ مذكرة تدين الاحتلال الاسرائيلى؟ وأن يقدم ٤٠ عضوا من مجلس النواب مشروعا بتجميد منحة مالية لإسرائيل خلال عام ١٩٩٠، حتى لاتستخدم فى بناء المستوطنات فى الأراضى العربية؟

وذلك هو الأمر الذى يفسر موقف الإدارة والكونجرس من ضمانات القروض لإسرائيل. كما يفسر اعلان الادارة الأمريكية دعمها للقرار١٩٤ الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٨، والذى ينص على حق الفلسطينيين فى العودة إلى أراضيهم التى احتلت عام ١٩٤٨.

لقد بدا الأمر فى البداية، وكأنه معركة شخصية بين الرئيس بوش ورئيس حكومة الليكود الإسرائيلية إسحق شامير.. غير أن الثابت أن الرئيس بوش تحرك مستفيدا من اقتناع لدى

الرأى العام الأمريكى والجالية اليهودية بأن تدمير كتلة الليكود فرص السلام الحقيقى يؤثر سلبا على المصلحة القومية الأمريكية، ويثير المخاوف بالنسبة لمستقبل اسرائيل.

وكان سقوط حكومة الليكود مؤشرا على استطاعة ادارة بوش، توظيف الرأى العام والكونجرس وقطاعات مهمة من الجالية اليهودية، باتجاه المصالح والمبادئ الأمريكية العليا.

وبالرغم من ذلك، فإن إدارة بوش شهدت تغلغل اليهود. فمن بين ١٩ مساعدا لوزير الخارجية كان هناك ٧ من اليهود واختار جيمس بيكر وزير الخارجية، فريق عمل ضم اربعة من الخبراء اليهود، فى الشرق الأوسط: دينيس روس ودانييل كيرتزر وأرون ديفيد ميللر وريتشارد هاس.

ويلحظ المراقب للسياسة الأمريكية أن إدارة كلينتون أصبحت أكثر الادارات فى تاريخ الولايات المتحدة التى تغلغل فيها اللوبى. فخلال الفترة الرئاسية الأولى ضم مجلس الأمن القومى التابع للبيت الأبيض رؤساء يهودا لسبع من ادارته الإحدى عشرة، بدءا من مارتن إنديك الذى عين سفيرا لدى إسرائيل (إدارة الشرق الأوسط) إلى دان شيفيز (أوروبا الغربية) ودون ستينبرج (افريقيا) وريتشارد فاينبرخ (امريكا اللاتينية) وستانلى روث (آسيا) وساندى بيرجر مساعد مستشار الأمن القومى. بالإضافة إلى ذلك، هناك طاقم عملية السلام، دينيس روس مساعده دانييل كيرتزر وأهارون ديفيد ميل، وفى مكتب الرئيس نحو عشرة يهود بارزين، على رأسهم ريهم عمانويل ابرز مستشارى الرئيس، وخلال فترة رئاسته الثانية ضمت إدارة كلينتون ٣ وزراء من اليهود (الخارجية والدفاع والخزانة)، بالإضافة إلى مستشار الأمن القومى، وأصبح إنديك مساعدا لوزير الخارجية، وكيرتزر سفيرا لدى مصر. ولإدراك مدى ضعف الرئيس كلينتون أمام اليهود الأمريكيين، فإن مساندته لشيمون بيريز فى الانتخابات الإسرائيلية ١٩٩٦، جعلت بنيامين نيتانياهو بعد فوزه برئاسة الوزراء يستدعى رئيس اللجنة العامة للعلاقات الأمريكية -الإسرائيلية (إيباك)، وطلب منه تجميد أى نشاط مالى أو سياسى أو إعلامى يمكن أن يدعم كلينتون فى انتخابات الرئاسة الأمريكية، فسارع كلينتون إلى لقاء مع المنظمات اليهودية الأمريكية ليذكرها بالخدمات التى قدمها لإسرائيل خلال حكمه، ماليا وعسكريا، ويتعهد أمامها بدعم أمن إسرائيل، كما أرسل كلينتون وزير خارجيته كريستوفر إلى إسرائيل ليعلن فى حضور نيتانياهو أن استراتيجية السلام الأمريكية سوف تتعدل لتتضمن خطط زعيم الليكود النافذ فى دوائر (إيباك) والمنظمات اليهودية والصحف الأمريكية.

والسؤال الآن إلى أى مدى يمكن أن يؤثر (اللوبى اليهودى) فى الانحياز الأمريكى إلى إسرائيل؟

لقد درج العرب على تفسير الانحياز الأمريكى لإسرائيل بتأثير اللوبى اليهودى، ولكن هذا التفسير يستبعد حالات الضغط الأمريكى على الدولة اليهودية، كا حدث خلال ادارة الرئيس بوش لإرغام حكومة شامير، لوقف بناء المستوطنات والمشاركة فى مؤتمر مدريد للسلام ١٩٩١، ومثلما حدث من قبل عندما تصدى الرئيس أيزنهاور لإسرائيل للانسحاب من مصر عام ١٩٥٦، كما يستبعد تفسير اللوبى اليهودى التباينات الأمريكية الإسرائيلية، مثلما حدث فى حرب الخليج ١٩٩١، وكذلك شحنات السلاح التى وردتها أمريكا لعدد من الدول العربية برغم معارضة إسرائيل.

إن تفسير اللوبى اليهودى، قد يبرر الدعم الأمريكى لإسرائيل، وتردد البيت الأبيض فى احيان كثيرة فى التدخل فى تسوية النزاع العربى- الإسرائيلى، وتعذر الضغوط على اسرائيل إلا فى لحظات حرجة، ولكن اللوبى اليهودى وحده لايفسر الانحياز الأمريكى لإسرائيل إذا أخذنا فى الاعتبار القدرة الاسرائيلية، وهى قدرة مزدوجة تتمثل فى توحيد اللوبى خلف الحكومات الاسرائيلية (أى لمصلحة اسرائيل) من جانب، ومن جانب آخر، قدرة اسرائيل كقوة اقليمية (مقابل ضعف العرب) فى تحقيق المصالح الأمريكية وربطها بالمصالح الإسرائيلية. و هنا يتضخم تأثير اللوبى بفعل القدرة الاسرائيلية والقدرة الأمريكية (كقوة عظمى بعد الحرب العالمية الثانية).

إن تفسير ضخامة تأثير اللوبى اليهودى، ومن ثم الانحياز الأمريكى لإسرائيلى يجد أساسه فى مقولة التراث اليهودى المسيحى، والتى ترجمت فى النهاية الى توافق القيم الإسرائيلية الأمريكية.

لقد قال كيرك فورديس حاكم ولاية مسيسبى (جمهورى) بعد انتخابات الرئاسة عام ١٩٩٢، إن امريكا أمة مسيحية، ورد عليه كارول كامبل حاكم كارولينا الجنوبية (جمهورى)، مؤكدا اهمية التراث اليهودى -المسيحى، واضطر الحزب الجمهورى- فيما بعد- إلى أن يصدر (تصحيحا) لتصريح فورديس[٢٢].

وثمة أوجه تماثل بين المسيحية واليهودية، أجدرها بالملاحظة أنهما تشتركان فى (الكتاب المقدس)، ولذلك تسميان ديانتى الكتاب المقدس. كما تتشارك الديانتان فى (الوصايا العشر) ويعتقد المسيحيون الأمريكيون أن المخلص يسوع المسيح ولد كيهودى وفى حين أن البروتستانتية مثلت ثورة من جهة إلغائها وصاية الكنيسية الكاثوليكية، وتأكيدها أن الفرد هو الوصى على عقله وروحه والمسئول عن نفسه، وعن خلاصة الشخص دينيا، إلا أنها من جهة أخرى جذرت التراث اليهودى- المسيحى.

فحكايات العهد القديم باتت زادا يوميا للعقل البروتستانتى، وحتى المسيح (يسوع الناصرى) لم يعد المسيح بن مريم، ورأس الديانة التى انتمى اليها أولئك المؤمنون، بل

مجرد نبى آخر من عديد الانبياء اليهود، كما تقول المؤرخة اليهودية، «باربرا توخمان» فى كتابها «الكتاب المقدس والسيف».

وتدلنا توخمان على أن عودة اليهود كأمة إلى فلسطين، تمثل عصب الايمان البروتستانتى المبنى على العهد القديم، إذ إن نبوءات العهد القديم تتضمن أن اليهود سوف يعودون إلى فلسطين، ثم يصحبون مسيحيين حتى وإن مات منهم كثيرون فى معركة «هرمجدون» الفاصلة، ولم يبق منهم إلا ١٤٤ الفا مع المجئ الثانى للمسيح، ليشملهم «الخلاص» فى الالف عام السعيدة.

ولأن البروتستانتية التطهرية (الانجيلية)، تمثل أهم مكونات الثقافة الشعبية الأمريكية كان الاعتقاد بأن المجئ الثانى للمسيح مرتبط بإنشاء الدولة اليهودية. فى هذا السياق، سبق أمريكيون مسيحيون، مؤتمر بازل الصهيونى اليهودى (١٨٩٧) فى المطالبة بوطن قومى لليهود فى فلسطينى، ففى ١٨٧٨، كتب «بإعادة فلسطين الآن إلى اليهود. «ويليام بلاكستون» الممول والصناعى الأمريكى كتابه «يسوع آت»، وقال فيه : «طبقات لتوزيع الله أرضه على الأمم تظل فلسطين وطن اليهود، وإن الدولة الكبرى التى أعطت بلغاريا للبلغار وصربيا للصرب، يجب عليها أن تضطلع، وفى عام ١٨١٩ كتب «تظلما» جمع عليه توقيعات ٤١٣ من كبار الأمريكيين المسيحيين البارزين كان من بينهم «جون روكفلر» (العميد)، وجاء فيه أن فلسطين تظل أرضا بلا شعب، برغم حق اليهود غير القابل للتنازل فى العودة اليها وطالبا الرئيس الأمريكى «هاريسون» بأن تكون أمريكا مثل «قورش» ملك فارس الذى أعاد اليهود إلى فلسطين بعد السبى البابلى، كما ورد فى سفر أشعيا[٢٤].

وهكذا، فإن التراث اليهودى للمسيحية الأمريكية، كما يقوله «بول فندلى»: «جعل الكثيرين من المسيحيين الأمريكين يشعرون بأن إنشاء دولة إسرائيل عام١٩٤٨ جاء كتحصيل للنبوءات التوراتية، وأن الدولة اليهودية ستظل تلعب دورا مركزيا فى مخطط السماء والأرض، وجاء انتصار إسرائيل العسكرى فى حرب ١٩٦٧ واحتلال القدس ليمثل عندهم تأكيد تنبوءات التوراة والخطوة قبل الأخيرة للمجئ الثانى للمسيح، إذ إن الخطوة الأخيرة إعادة بناء المعبد فوق قبة الصخرة، ويستخلص «فندلى» ان التركيز على التراث التوراتى جعل كثيرين من المسيحيين الأمريكيين ينظرون إلى الشرق الأوسط والصراع الدائر فيه، كانعكاس للأحداث التى يصورها العهد القديم، فإسرائيليو القرن العشرين يصبحون فى أعينهم بنى اسرائيل التوراة، والفلسطينيون يصبحون «الفيليستين» الذين حارب بطلهم «جوليات» داود[٢٥].

وفى كتابها «النبوءة والسياسة» تقول الباحثة الأمريكية «جريس هالسل» التى عملت فى البيت الأبيض، كاتبه لخطب الرئيس «جونسون»: إن اليمين المسيحى مستعد- بل راغب

بكل قواه فى إشعال نيران حرب نووية بشأن إسرائيل، تحقيقا للنبوءات المقدسة، وتشير المؤلفة إلى مسح قام به الأصوليون الانجيليون، ذكر أنه تعمل فى الولايات المتحدة ٢٥٠ منظمة إنجيلية ممالئة لإسرائيل، تمارس أنشطة مختلفة بدءا من اجتماعات كنسية للتضامن مع اسرائيل، إلى الدعم اللاهوتى وطبع المنشورات وعقد المؤتمرات وتنظيم الأفواج السياحية إلى إسرائيل، إلى الدعم السياسى المباشر بأساليب «اللوبى» السياسى.

ويصل الأمر لحد الاعتقاد بأن دعم أمريكا لإسرائيل، ليس فقط التزاما سياسيا، وإنما رسالة إلهية بسببها يبارك الله أمريكا، وكما يقول الباحث الأمريكى «ادوارد تفنان» فإن ملايين البروتستانت الأمريكيين يدعمون إسرائيل عن ايمان كامل بأن دعم أمريكا لإسرائيل هو السبيل الأساسى لبقاء أمريكا السياسى والروحى، فالتزام أولئك الأمريكيين بالدولة اليهودية ينبنى على التنبؤات التوراتية والإيمان بأن اليهود هم شعب الله المختار، ويكفى أن نشير إلى أن الرئيس كارتر الذى أعلن أنه «ولد ثانية كمسيحى» ذكر فى بيانه الانتخابى أن تأمين إسرائيل المعاصرة هو تحقيق للنبوءة التوراتية[٢٦].

والاعتقاد بدعم اسرائيل، يستند إلى فقرة توراتية من سفر التكوين، يبارك فيها الرب ابراهيم عن وعده بالأرض: سأبارك من يباركك وألعن من يلعنك. وبهذه الفقرة، يجعل المسيحيون الأمريكيون الأصوليون «إسرائيل فوق الجميع» فى نظر الله، لدرجة أن مصير الامم الأخرى مرتبط بموقفها من اسرائيل، ويؤسسون ادعاءهم المتكرر بأن الله لايعطف على الشعوب العربية والشعوب التى تدعم القضية العربية.

وفى هذا يقول «جيرى فالويل» زعيم الأغلبية الأخلاقية إن الله يعامل الشعوب حسب تعاملها مع إسرائيل. وإنه يؤمن بأن الله بارك ويبارك أمريكا، لأن ابراهيم باركها واليهود باركوها، ويعتقد أن أمريكا لو انقلبت على اسرائيل مثلا فإن الله لن يقيم لها وزنا بعد ذلك.

ويقول إن أهمية الأمريكيين فى نظر الله مرتبطة بتنفيذ ارادته فى الأرض أى دعم اسرائيل.

وفى إعلان تجارى، ظهر فى معظم الصحف الأمريكية فى أول نوفمبر ١٩٧٧ تحت عنوان «قلق الانجليين على إسرائيل» عبر ١٥ من زعماء اليمين المسيحى عن قلقهم من أن يحدث تحول فى السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط، وأن يعلنوا حق الشعب اليهودى فى الأرض التى منحها أياهم الرب بما فى ذلك الضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان، وادعى فالويل ان سفر التكوين يذكر أن حدود اسرائيل تمتد من نهر الفرات شرقا إلى غرب مصر غربا، وأن أرض الميعاد تضم أقساما من العراق وسوريا وتركيا والسعودية ومصر والسودان وجميع أراضى لبنان والأردن والكويت!!

ومقابل مباركة الرب لإسرائيل التوراتية. ذكر «مايك إيفانز» فى برنامجه التليفزيونى الخاص «إسرائيل مفتاح بقاء أمريكا» أن الدول العربية، وقعت فيها انقلابات بمعدل انقلاب كل سنة، وأن ٤٥ من حكامها سقطت رؤوسهم لأنهم كانوا يحكمون بصناديق الرصاص بدلا من صناديق الانتخابات، وأن الرب لن يبارك الشعوب العربية لإنها تتحدى إرادته أى تتحدى إسرائيل!

وفى برنامجه نادى السبعمائة، ذكر «بات روبرتسون» أن الله يقف بجانب إسرائيل وليس بجانب العرب الإرهابيين، وتحدث عن الشر الكبير الموجود لدى العرب، لأنهم أعداء إسرائيل وقال: لايسد القرآن والتعاليم الإسلامية الحاجات الروحية والإنسانية، ولذلك تطلع المسلمون إلى الشيوعية أو المادية.

وفى عام ١٩٨٢، وخلال الغزو الإسرائيلى للبنان، ظهر روبرتسون فى نادى السبعمائه، يبشر بمعركة «هرمجدون» بين إسرائيل والعرب الذين يظهر بينهم «المسيح الدجال» ونشرت مجلة «سان دييجو» فى عدد أغسطس ١٩٨٥، أن الرئيس ريجان كان مقتنعا بأن المعركة الأخيرة «هرمجدون» بين جوج وماجوج، كما وردت فى سفر حزقيال، أصبحت وشيكة ونسبت إليه قوله: إن أرض إسرائيل ستتعرض لهجوم تشنه عليها جيوش الأمم الكافرة، وإن ليبيا ستكون من بين تلك الأمم.. إن يوم هرمجدون لم يعد بعيدا.

وهكذا تبدو المقابلة بين الاسرائيلى المختار من الله الصالح المبارك، والعربى الشرير واسرائيل الذى لا يباركه الرب، فى العقل الأنجيلى الأمريكى. ويحلل «ويزلى جرانبرج - مايكلسن، عناصر صورة العرب لدى اليمين المسيحى الأمريكى، فى دراسة مهمة تحت عنوان «اليمن الأنجيلى وإسرائيل: أى مكان العرب؟» فالعرب مجرد «أحجار شطرنج» فى لعبة مقدسة كونية، وقوة هيستيرية لاتصلح لأى دور إيجابى أو إصلاحى فى التاريخ كذلك ينظر اليمين المسيحى الأمريكى للعرب على أنهم أعداء الرب، فنزاعهم مع إسرائيل يصبح تحديا لإرادة الرب، وبينما يتجه التاريخ نحو ذروته النهائية، يصبح العرب بؤرة الشر متحدين فى وجه الرب مع المسيح الدجال. أما المسيحيون العرب، فمنسيون، بل لا وجود لهم، حتى أولئك الذين يعيشون فى فلسطين من أيام يسوع، فالمسيحية العربية فى ممارساتها ومضامينها خارج نطاق التراث الأنجيلى، وما دام الرب قد أراد أن تنشأ دولة إسرائيل فإن أى ادعاءات للعرب والفلسطينيين فى المناطق أو القدس هى ادعاءات كاذبة لأنها تخالف مايريده الرب[٢٧].

(٦) معضلة أمريكا: تناقض القوة العسكرية والتراجع الاقتصادى

الزائر للولايات المتحدة للمرة الأولى، لابد أن يتساءل متعجبا: كيف استطاع الأمريكيون تشييد هذه الدولة -القارة العظمى خلال مائتى سنة؟ المبانى الشاهقة، والكبارى والطرق السريعة والسكك الحديدية والمطارات والمصانع والشركات.. البورصة والصحافة ومحطات البث التليفزيونى.. وهوليوود وديزنى لاند ومسارح برودوى.

ومن أول نظرة يسأل الزائر نفسه: كيف تتعايش الأجناس والألوان المختلفة من البشر على القارة: البيض والزنوج الإفريقيون واللاتينيون الهيسبانيون والآسيويون والهنود الحمر؟

ولابد أن نبهر فى أمريكا بـ«حرية المعلومات».. صنعها ونشرها والحصول عليها، فما يحدث فى الشمال الشرقى فى واشنطن تعلم به وأنت فى الغرب الأمريكى، فى لوس أنجلوس فى اللحظة نفسها.. وأنت فى منزلك.

هكذا يبدو المجتمع الأمريكى: مجتمع الوفرة والتعدد والحرية. غير أن النظرة المتأنية تجعل الزائر بعد فترة يتعجب لوجود أمريكا أخرى غير أمريكا الغنية الديمقراطية القوية أمريكا الأخرى هى جيوب الفقر المنتشر فى كبريات المدن الأمريكية! أمريكا الهامشيين ومن لا مأوى لهم والمتعطلين عن العمل.

أمريكا الاخرى، هى أمريكا المأزومة داخليا.. والقوية خارجيا.

لكل ذلك. يحتدم الجدل -حاليا- فى المجتمع الأمريكى حول مستقبل أمريكا الغنية الديمقراطية القوية.

هناك من يتحدثون - من الأمريكيين - عن سقوط أمريكا، مقابل من يؤكدون مستقبل أمريكا باعتبارها القوى العظمى الوحيدة فى العالم.

وبين أولئك وهؤلاء هناك من يقفون عند تقرير أن أمريكا غنية وديمقراطية وقوية. إلا أنها تواجه مشكلات عنصرية واجتماعية وتكنولوجية تؤثر سلبا على مكانتها.

كيف يمكن أن تكون أمريكا فى طريقها إلى السقوط بعد أن كسبت أخيرًا الحرب الباردة عام ١٩٨٩ وحرب الخليج عام ١٩٩١؟

ذلك هو المسئول، الذى بدأت به مناقشة «هنرى آر. نو» مؤلف كتاب أسطورة سقوط أمريكا».

وتأتى أهمية مناقشة «نو» من أنه عمل بين عامى ١٩٧٥و١٩٧٧ فى وزارة الخارجية، وفى مجلس الأمن القومى التابع للبيت الأبيض بين عام ١٩٨١و ١٩٨٢، فضلا عن أنه أحد أساتذة العلوم السياسية والعلاقات الدولية فى جامعة جورج واشنطن.

لقد بدأ بتأكيد استبعاد أى وجه تشابه بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى، وبالتالى استبعاد سقوط الولايات المتحدة التى حرصت على ترويج الليبرالية السياسية واقتصاد السوق فى الدول الغربية الحليفة والدول النامية منذ الحرب العالمية الثانية، كأساس لعلاقاتها الدولية، ومنذ عام ١٩٨٩. اتبعت الولايات المتحدة تلك السياسة مع دول شرق أوروبا والاتحاد السوفيتى السابق. ولذلك وثقت ١٠٠ دولة فى بالولايات المتحدة ومسلكها فى استخدام القوة لتحرير الكويت، ومن لم تشارك من تلك الدول الحليفة للولايات المتحدة بقوات عسكرية، أسهمت فى تكلفة الحرب المادية.

وكل ذلك يعنى- من وجهة نظر «هنرى. آر. نو» أن تلك الدول تشارك الولايات المتحدة فى أهدافها وتثق بمؤسسات الولايات المتحدة الداخلية وزعامتها السياسية.

ويقول هنرى إن أيا من ذلك الدول لم تقل إن الولايات المتحدة تصنع عالم اليوم بما يتفق مع تصورها. صحيح أن ديمقراطيات اليابان والمملكة المتحدة وفرنسا وتشيكوسلوفاكيا والمكسيك والهند تبدو مختلفة، إلا أن تلك الديمقراطيات لايمكن انكار تأثير الديمقراطية الأمريكية والثقافة الأمريكية فيها[٢٩].

ويستخلص «نو» أنه فى عالم تتجه دوله نحو الانفتاح السياسى والاجتماعى وتفتح أسواقها أمام الدول الأخرى، فإن الولايات المتحدة ستجد مجالا أوسع لمصالحها القومية الأساسية خاصة من حلفائها مثل اليابان وألمانيا وسيحدث نوع من الاعتماد المتبادل.

ويشير الكاتب إلى أن من يعتقدون بسقوط أمريكا يركزون على المشاكل الداخلية التى تواجه الولايات المتحدة مثل تحول أمريكا إلى أكبر دولة مقترضة فى العالم، وسوء التعليم والمخدرات والتمييز العنصرى، وتدهور المرافق الأساسية والمصاعب التى تواجه البنوك.. أنهم يرون أن الولايات المتحدة أصبحت أكثر اعتمادا على الاستثمارات والواردات الأجنبية، وأعلى حساسية للتأثير الخارجى، ولذلك يقترحون انسحاب الولايات المتحدة إلى داخل حدودها لمواجهة مشاكلها المحلية.

وبالرغم من أن مؤلف «أسطورة سقوط أمريكا» لاينكر التحديات الداخلية التى تواجه أمريكا، فإنه يعتبر أن الولايات المتحدة بكل أخطائها إذا قورنت بالدول المنافسة اقتصاديا مثل اليابان وألمانيا فإن الأخيرة لم تقدم أكثر منها فى مجالات إلغاء التمييز العنصرى، وتشغيل النساء والشباب، وتحسين الاستهلاك وتقديم فرص للمهاجرين وتطوير التكنولوجيا والتعليم العالى وتقدم الصناعة وتبنى حقوق المواطنة سياسيا واجتماعيا وتأييد حقوق

الانسان والديمقراطية على مستوى العالم، ومن وجهة نظره أن صورة الاقتصاد الأمريكى مع بداية التسعينيات تبدو أفضل، فقد تحسنت المقدرة التنافسية للصادرات عما كانت عليه فى الثمانينيات، واسترجعت الولايات المتحدة حصتها من الناتج الاجمالى للدول الصناعية عام ١٩٩١، كما كان قبل التدهور الذى حدث فى السبعينيات. واستعاد القطاع الصناعى حصته من الناتج القومى الإجمالى عام ١٩٩١ التى كان عليها عام ١٩٥٠. ونما معدل انتاجية القطاع الصناعى فى النصف الثانى من الثمانينيات ليساوى المعدل اليابانى وضعف المعدل الألمانى، وأصبح معدل الانتاجية فى الاقتصاد الأمريكى، الأعلى فى العالم ليفوق المعدل اليابانى الذى لا يتعدى نسبة ٨٠٪ من المعدل الأمريكى وقد تدهورت قيمة الدولار. ولكن الصادرات الصناعية الأمريكية استفادة من ذلك حيث حققت نموا بمعدل ١٥٪ سنويا بنهاية الثمانينيات[٣٠]

ويقول هنرى. آر نو -فى مساجلة من يطالبون بانكفاء أمريكا على مشاكلها المحلية إن الولايات المتحدة طول تاريخها قاومت اغراء أحلام العزلة وأوهام السلام الذى يشعل المعمورة العالمية. وفى بداية التسعينيات ومقارنة بأى وقت خلال القرن العشرين، بل وعلى امتداد تاريخ الجمهورية الأمريكية فإن الولايات المتحدة قد حققت النجاح على كل من الصعيدين أى الداخل والخارج.[١٣]

انحطاط أمريكا

نعوم شومسكى أستاذ الفلسفة بمعهد ماساتشوستش للتكنولوجيا فى بوسطن، يطرح وجهة نظر متشائمة بخصوص مستقبل الأمبراطورية الأمريكية. من خلال مناقشة جوهر فلسفة الديمقراطية الرأسمالية الأمريكية، والنظام العالمى (الأمريكى) الذى تحاول فرضه الولايات المتحدة على العالم، ويعتبر كتاباه «إعاقة الديمقراطية» و«ماذا يريد العم سام حقا»، من أكثر الكتب إثارة للجدل فى هذا الصدد.

يقول شومسكى إن الولايات المتحدة تبيع منذ عام ١٩٥٠، استراتيجية كونية تقوم على أساس أن النظام الاجتماعى والسياسى والأيديولوجى الأمريكى يجب أن يكون كونيا، وأى تحد لذلك يجب عدم التسامح معه، وأى عمل من جانب الولايات المتحدة لتحقيق ذلك هو عمل دفاعى.. وقد تطلبت تلك الاستراتيجية خارجيا، أن تكون للولايات المتحدة قوات عسكرية متعاظمة لمنع تحدى النظام الأمريكى، وداخليا تأهيل الأمريكيين دعائيا واقناعهم بتحمل التضحيات المادية من أجل ضمان الإمساك بدفة قيادة العالم.

ويذكر شومسكى أن تلك الاستراتيجية تضمنتها وثيقة مجلس الأمن القومى الأمريكى رقم ٦٨ لعام ١٩٥٠، والتى اعتبرت الوثيقة الأساس للحرب الباردة، ومن أجل تلك الاستراتيجية، أصبح جوهر فلسفة الديمقراطية الأمريكية ارضاء الأغنياء الذين يتخذون

قرارات الاستثمار والاستهلاك، ليكون نصيب الأغلبية هو الفئات، وتحددت العلاقات في الداخل والخارج على أساس مقولة بسيطة ومباشرة: أنت حر تفعل ما تريد ما دمت تفعل ما تريده.[٣٢]

ويستنتج شومسكى أن مصير ذلك النظام الأمريكى الكونى فى مرحلة ما بعد الحرب الباردة، هو الانحطاط، فالتفوق العسكرى الحاسم للولايات المتحدة يرافقه انحطاط فى قدرتها الاقتصادية مقارنة بألمانيا واليابان.

يقول: ثمة خلل ساطع فى النظام الدولى فى مرحلة ما بعد الحرب الباردة. فالنظام، اقتصاديا مثلث القطبية (اليابان وألمانيا والولايات المتحدة)، أما عسكريا فيبدو أحادى القطبية (الولايات المتحدة). والقوة العسكرية دون قاعدة اقتصادية تدعمها كارثة[٣٣].

المعضلة الأمريكية

فى كتابه «صعود وأفول القوى العظيمى»، استخلص المؤرخ الأمريكى البريطانى الأصل بول كينيدى، أن الإمبراطوريات الكبرى فى التاريخ، ابتداء بالامبراطورية الرومانية، وانتهاء بالإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية، سقطت تحت وطأة الكلفة الاقتصادية العالمية لانفاقها العسكرى، وحذر من أن الامبراطورية قد تلقى المصير نفسه[٣٤].

وفى كتابه الأخير «الاستعداد للقرن الحادى والعشرين» يتناول كينيدى مستقبل أمريكا ويؤصل لاتجاه وسط بين المحافظين المتفائلين بالنصر الأمريكى المؤزر، ونهاية التاريخ (مثل فرانسيس فوكوياما صاحب الكتاب الدعائى الشهير بعنوان «نهاية التاريخ»، والمتشائمين الراديكالين الذين يتوقعون سقوط الامبراطورية الأمريكية (مثل جورج فيدال صاحب كتاب سقوط وغروب الامبراطورية الأمريكية). ويتناول كينيدى نقاط ضعف ونقاط قوة أمريكا ومدى استعدادها لمواجهة تحديات القرن الحادى والعشرين. يقول: الولايات المتحدة لاتدانيها أمة أخرى بما فى ذلك روسيا، فى المجال التقليدى للقوة «الصلبة» أو المعتمدة على القوة العسكرية من حيث النوعية الكلية، وتعقيد المعدات والقدرة على دفع القوة إلى مناطق بعيدة، وقد كرمت الولايات المتحدة موارد ضخمة خلال الثمانينيات لتأمين ذلك. فمن الناحية الاستراتيجية، حافظت على درع وقاية متكاملة من أنظمة الصواريخ فى البحر والبر والجو لردع أى قوة أخرى من مهاجمتها أو مهاجمة حلفائها، ومن الناحية التكنولوجية، جهزت أمريكا قواتها المسلحة لتخوض حروبا «ذكية» مستخدمة كل شئ من طائرات وقاذفات الشبح إلى الحاملات وأسلحة القتال الليلية المعقدة، ووفرت لها الوسيلة الكافية لاكتشاف ما يهدف اليه الأعداء، عن طريق الأقمار الصناعية وطائرات الإنذار المبكر ونظام الإنذار المكثف عبر المحيطات، وأخيرا فإن أمريكا هى البلد الوحيد حقا الذى له يد طولى على المستوى الكونى، بأساطيل وقواعد جوية وقوات بحرية وبرية فى كل جزء

مهم استراتيجيا فى العالم، وبقدرة هائلة على دعم تلك المواقع فى حالات الطوارئ مثلما حدث بعد الغزو العراقى للكويت عام ١٩٩٠ فاستطاعت أمريكا نقل ١٥٠٠ طائرة ونصف مليون رجل إضافة إلى وحدات كثيفة التسليح إلى المملكة العربية السعوية خلال شهور، وغطت مياه البحر المتوسط والخليج والمحيط الهادى بالحاملات.

ويماثل كنيدى بين الامبراطورية الأمريكية والامبراطورية البريطانية (البائدة) على الصعيد العسكرى، بقوله: لقد استعرضت الولايات المتحدة قوة عسكرية لاتضاهى خلال السنوات الأخيرة، وربما كان الحدث المباشر فى التاريخ الحديث هو دفع بريطانيا لأكثر من ٣٠٠ ألف جندى تحميهم القيادة البحرية للأسطول الملكى، للقتال فى حرب جنوب إفريقيا فى بداية القرن العشرين[٣٥]. ويعتبر كنيدى أن القوة العسكرية تزيد من مكانة الولايات المتحدة فى الشئون الدولية، إلا أن ذلك قد لايمثل نعمة للأمريكيين. لما سببته تكاليف الدفاع من خسائر اقتصادية، كما أن قدرة أمريكا على التعامل مع التهديدات غير العسكرية (البيئة والمخدرات والمنافسة الاقتصادية) مازالت متواضعة.

فالمكانة الدولية لأمريكا بسبب قوتها العسكرية، كانت وراء تخصيص ٣٠٠ مليار دولار سنويا لنفقات الدفاع، وتحويل الموارد من رأس المال وأفراد القوات المسلحة والعلماء والمهندسين والعمالة الماهرة بعيدا عن الانتاج غير العسكرى. وفى نهاية الثمانينيات، خصصت نسبة ٦٥٪ من جهود البحث والتطوير لمجال الدفاع مقابل ٢٪ للتطوير الصناعى. وقد تسببت زيادة الإنفاق العسكرى فى إبطاء معدلات نمو الاقتصاد الأمريكى بشكل ملحوظ خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، مقارنة بالفترة ١٩٤٠-١٩٧٠ وارتبط بذلك تراجع معدل نمو الانتاجية فى الاقتصاد الأمريكى، وزيادة الديون الخارجية وعجز الميزانية والميزان التجارى وميزان المدفوعات وتراجع الاقتصاد الصناعى لمصلحة اقتصاد الخدمات.

ولايقصر بول كنيدى نقاط التراجع على «الاقتصاد الأمريكى» فيشير إلى أن ٣٧ مليون امريكى لا يتوافر لهم التأمين الصحى، وإلى تزايد اعداد الفقراء، واختلال توزيع الثروة، وانتشار المخدرات، وتفشى الجريمة والعنف، وتدهور التعليم، وابتذال الثقافة الأمريكية، بمعنى التركيز على تعظيم الاستهلاك وثقافة موسيقى البوب والرسوم المتحركة والضوضاء والاستمتاع والبعد عن التفكير الجدى.

وبرغم تلك التوجيهات المقلقة يشير كنيدى إلى تأكيد العديد من المعلقين على الملامح الايجابية، فمازالت الولايات المتحدة تمثل أكبر اقتصاد فى العالم، وهى تجذب ملايين المهاجرين سنويا، وثقافتها الشعبية تنتشر فى أرجاء العالم، وثقافتها تسود فى مجال الأعمال والعلوم والتسلية، والتزامها بالحرية والديمقراطية، كان مصدر إيحاء للشعوب

المقهورة فى كل مكان من الصين إلى تشيكوسلوفاكيا، وهى النموذج للنظام الرأسمالى الذى تحداه أعداؤها الأيديولوجيون وخسروا التحدى. وبسبب قوتها العسكرية الكبيرة وتأثيرها الدبلوماسى تتحول العيون إلى واشنطن حين تقع أزمة دولية.

ويؤكد بول كنيدى أن هناك «معضلة أمريكية» فبغض النظر عن اتجاه المتفائلين أصحاب النزعة الاقتصادية فإن استطلاعات الرأى توضح أن معظم الأمريكيين يشعرون بأن الأمور تزداد سوءا على صعيد التركيبة الاجتماعية، والعلاقات بين الأجناس والتعليم العام والأداء الاقتصادى وظروف العائلة الأمريكية العادية، وأن الظروف ستكون أسوأ لأبنائهم وأحفادهم، ولذلك طالب بعضهم بتعديل نظام الضرائب، وطالب آخرون بإصلاح المدارس أو تعديل ظروف الرعاية الصحية، أو إجراء تغييرات فى السياسة الصناعية أو هجوم شامل على الفقر أو على الجريمة.. والعديد من الأمريكيين يطالبون بكل تلك الاصلاحات غير أن الاصلاح يصطدم بطبيعة النظام السياسى الأمريكى، فالرئيس يفتقد السلطة (مثل التى يملكها رئيس الوزراء البريطانى) لتمرير التشريعات بسهولة، والنظام الحزبى يتسم بالسيولة (تقارب برامج الحزبين) ويضعف قدرته على التأثير على نوابه، بما يجعل أعضاء الكونجرس أكثر استقلالية بالإضافة إلى خضوع الكونجرس لجماعات المصالح (التمويل والتصويت).

ولذلك يعتقد كنيدى أن الاصلاح (وقف التراجع وتجديد أمريكا) لن يحدث إلا من خلال صدمة أو كارثة قومية، مثل الحرب أو انهيار البورصة أو السوق المصرفية معتبرا أن التغيرات الديموجرافية (السكانية) ستكون ذات التأثير الأكبر فى أمريكا خلال العقود المقبلة، فمن جهة سيتزايد عدد المسنين مع بداية القرن الحادى والعشرين لقفز عدد من هم فوق ٦٥ سنة إلى ٦٥,٥ مليون عام ٢٠٣٠ مقابل، ٣١ مليونا عام ١٩٩٠ وبما يعنى زيادة مخصصات التأمين الاجتماعى.

ومن جهة ثانية، ستخفض أعداد البيض مقابل زيادة أعداد السود والآسيويين والهيسبانيين إذا استمرت معدلات النمو الطبيعى للسكان والهجرة على مستوياتها الحالية، فتتحول أمريكا البيضاء إلى أمريكا رمادية/بنية اللون، ومن جهة ثالثة، تنعكس التغيرات الديموجرافية على صعيد القوة السياسية (التمثيل السياسى) والقدرة الاقتصادية (الأعمال والثروة) والعمالة(٣٧).

ويرتبط بالتحدى الديموجرافى تحدى التكيف مع عالم بلا حدود، تجرى اتصالاته وتمويل أعماله والتجارة الالكترونية والمعاملات المالية فيه على مدى أربع وعشرين ساعة يوميا. والمجتمع الأمريكى ينظر اليه على أنه رائد فى كل هذه التطورات، والاحساس العام هو أن أمريكا تتمتع بمميزات هائلة فى شكل شركات متعددة الجنسيات وبنوك عملاقة وتجارة وصناعات خدمات واستشارات، وهيمنة اللغة الانجليزية والدولار الأمريكى (برغم

تراجعه)، وثقافة (مقاولاتية) والعديد من العلماء والمهندسين والمصممين والمحامين ذوى التعليم العالى «ومحللين رمزيين» آخرين، هناك طلب دولى على مهاراتهم من ناحية أخرى فإن نقل الصناعات للخارج وتزايد فائض العمالة فى الاعمال المختلفة والمستويات التعليمية للعديد من العاملين والتى لا تكفى للتعيين فى وظائف عالية التكنولوجيا، كل ذلك يفترض أن أربعة أخماس (أو أكثر) الأمريكيين قد لا يمتعون بالفوائد المدعاة من التدويل، إذ أدت التوجهات الديموجرافية الى تراجع نسبى فى عدد الأمريكيين ذوى المهارات العلمية العالية، ويشبه بول كنيدى «كارثة أمريكا» بما حدث للامبراطورية البريطانية مع نهاية القرن التاسع عشر، فكلتاهما كانت قوة عظمى بدت قدرتها على المنافسة الاقتصادية، ووضعها الدولى العام أقل طمأنة فى نهاية القرن، مما كان عليه قبل خمسة عقود.. وفى كليهما دعا المواطنون المنزعجون إلى التغيير لتحسين المنافسة القومية (والاستعداد) للقرن القادم.. وكانت الصعوبة ان الاصلاحات المقترحة سوف تهدد العديد من المصالح الواسعة.. فأولويات الإنفاق البريطانية ونظامها التعليمى العام. وكفاءة صناعتها وعلاجها للفقر، ومستويات الاستثمار وحتى نمط اختيار المهن (قلة المهندسين وفائض من المحامين والمصرفيين) كان مطلوبا تغييرها كلها لتواكب المنافسة الدولية.

وبينما ألح المصلحون فى بريطانيا قرب نهاية القرن السابق على الحاجة لحلول ردد المتشائمون ثقافيا الأدلة على (التراجع) و(التحلل) ولم تعجب الكثيرين فكرة التغيير[٣٩]. وبينما يصارع طيف واسع من الأفراد والشركات والبنوك والمستثمريين ومراكز البحث الأمريكية للاستعداد للقرن الحادى والعشرين. فإن الولايات المتحدة ككل لا ولن يمكنها فى الواقع، أن تفعل إلا إذا أصبحت بلدا آخر، وربما تم تنفيذ برنامج إصلاحات جاد فى أعقاب صدمة كبيرة مثل انهيار مالى أو خطر تاريخى واسع. لكن كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ لا أحد يعرف كما يقول كنيدى لأنه يعتقد أنه حتى لو توافر حافز الاصلاح فلن تكون هناك استجابة منسقة من الولايات المتحدة إلا إذا أدركت القيادة السياسية- خاصة الرئيس- التهديدات الكبرى التى تواجه البلاد، وكانت لديها الشجاعة والقدرة لتعبئة الرأى العام ليقبل التغيرات التى سيجدها كثيرون غير مريحة، وهذا بالتالى يتطلب قيادة تختلف تماما عن ذلك النوع من القيادات التى تظهر فى البيت الأبيض الآن، سواء اهتمت بالعجز الداخلى أو سكان العالم أو قضايا البيئة، وتظل المسألة بالتالى هى ما إذا كانت التوجهات التقليدية ستحمل الشعب الأمريكى بنجاح إلى القرن الحادى والعشرين، أم أن الأمريكيين سيدفعون ثمنا باهظا بافتراضهم أن الأمور يمكن أن تظل على ما هى عليه فى الداخل بينما العالم فى الخارج يتغير بسرعة غير مسبوقة[٤٠].

أمريكا.. دولة عالثمالثية؟!

لئن كان نعوم شومسكى وبول كنيدى يعتبران الاختلال بين القوة العسكرية (المتعاظمة) والقوة الاقتصادية (المتباطئة) مقياس تراجع الامبراطورية الأمريكية، فهل تعكس مؤشرات الاقتصاد الأمريكى تلك الحقيقة؟!

- لقد قفزت ديون أمريكا الخارجية إلى ما يزيد على ٤.٣ تريليون دولار (التريليون ألف مليار) وبلغت الفوائد المستحقة على تلك الديون نحو ٢٠٥ مليارات دولار أى ما يزيد على ٣٣٠ مليار دولار عام ١٩٩٥، أى ما يزيد على اجمالى الناتج القومى للدول العربية مجتمعة.
- وتضاعف العجز فى الميزان التجارى مرات من ١٤ مليار دولار عام ١٩٩١ إلى ما يزيد على ١٠٠ مليار دولار عام ١٩٩٥ وبما يساوى إجمالى الناتج القومى لدولة سويسرا.
- وتدهور سعر صرف الدولار الأمريكى بنسبة ١٥٪ مقابل الين اليابانى، و١٢٪ مقابل المارك الألمانى خلال عام ١٩٩٥ وحده.

وقد ارتبط التراجع الاقتصادى بتدهور اجتماعى فهناك نحو ١٥ مليونا من الأمريكيين يعيشون فى ظروف معيشية أشبه بظروف دول العالم الثالث (دون الاستمتاع بالشمس المشرقة وحميمية الأسرة والتضامنية الاجتماعية مثل فقراء العالم الثالث). وهناك ٢٨ مليون أمريكى يعيشون فى ظروف تقترب من مستويات المعيشة فى العالم الثالث، وفى كتابه «الحلم الأمريكى المهدد» يقول ديفيد إن لوتوارك إن أمريكا يمكن أن تتحول إلى دولة من العالم الثالث مع اقتراب عام ٢٠٢٠، وأن بعض التقديرات المتفائلة تزيد ١٠ أعوام أو ١٥ عاما، أى تصبح أمريكا بحلول عام ٢٠٣٠ أو ٢٠٣٥ دولة عالمثالية، بنهاية التقدم فى متوسط نصيب الفرد من الثلج المحلى فى اليابان والذى قفز من ١٩٥٠ دولارا عام ١٩٧٠ إلى ٢٣٨٥٠ دولارا بنهاية الثمانينيات[٤١].

وبالمقاييس الاجتماعية، ففى كل ٣٠ دقيقة فى أمريكا ٥٠ صبيا يتسربون من المدارس و٨٥ يقترفون جرائم العنف و٣٧ بنتا مراهقة تبدأن الحمل منهم ١٦ خارج نطاق الزوجية.

وبنهاية كل عام، فإن مليون صبى يتسربون من المدارس و١.٣ مليون يقترفون جرائم العنف و٤٧٨ ألف مراهقة يبدأن الحمل[٤٢]. وبرغم كل ذلك، يظل تراجع أمريكا الاقتصادى بمعنى تباطؤ الآداء الاقتصادى مقارنا بما كان عليه من قبل فى اليابان أو المانيا وليس مقارنة بأمريكا، فالولايات المتحدة التى يبلغ عدد سكانها ٢٥٥ مليون نسمة يزيد ناتجها القومى على ستة آلاف مليار مليون دولار وبما يساوى ١٣ ضعفا للناتج القومى للصين (٤٥٣ مليار دولار)، فى حين أن عدد سكان الصين ١٢٨٨ مليون نسمة، بينما بلغ الناتج القومى لليابان ٣٥٠٩ مليارات دولار، كما أن انتاجية الفرد الأمريكى أعلى منها فى اليابان والمانيا ويتجاوز متوسط دخل الفرد الأمريكى نظيره اليابانى أو الألمانى.

وإلى جانب القوة الاقتصادية، فإن الولايات المتحدة تملك ٣٥ الف رأس نووية. وانفاقها العسكرى ٣٠٪ من اجمالى الانفاق العسكرى العالمى، فى حين أن القوتين الاقتصاديتين العظميين بعد أمريكا، وهما اليابان وألمانيا، لاتتمتعان بقوة عسكرية نووية أو غير نووية.

الفصل الثالث

الدين الأمريكى

هدف التعديل الأول للدستور هو إنشاء حائط فاصل بين الكنيسة والدولة.

توماس جيفرسون

المسيحية الأمريكية هى الضلع الثالث لمثلث ضلعية الآخرين: الديمقراطية، وفلسفة.. دعه يعمل دعه يمر.

ناثان أوهاتش

يسوع الأمريكى أقرب لما هو أمريكى مما هو مسيحى.

هارولد بلوم

عندما جاء المستوطنون الأوائل، اعتبروا أمريكا هى «أورشليم الجديدة» أو «كنعان الجديدة» وشبهوا أنفسهم بالعبرانيين القدماء.

ليونارد ياسن

(١) الكتاب المقدس والدستور

لم تكن مغامرة كولمبس إلا مغامرة دينية انتهت بانتصار المسيح فى أمريكا.

لقد أراد كولمبس الذهاب شرقا، بالإبحار غربا، لاكتشاف طريق جديد للهند، وفى حين أن مغامرة كريستوفر كانت شأن دولة (أسبانيا) إلا أنها قبل ذلك كانت مهمة دينية، فأسبانيا الأمة الأكثر إخلاصا للكاثوليكية فى أوروبا، كانت تعتقد بمسئولية كبرى تجاه الفاتيكان، وتجاه نقاء ايمانها الكاثوليكى. ولمدة ٨٠٠ عام، حارب الكاثوليك فى أسبانيا المسلمين حتى نجحوا فى استردادها، وطرد المسلمين إلى إفريقيا، عبر جبل طارق، وإجبار يهود اسبانيا على اعتناق الكاثوليكية أو عزلهم وطردهم.

إن اكتشاف العالم الجديد كان لأسبانيا ضمن رسالتها الدينية لهدايةِ الوثنيين من جهة وتنقية ايمانها الكاثوليكى بالحرب من جهة ثانية، واخيرا، مثلت مغامرة اكتشاف العالم الجديد لاسبانيا، امتدادا للحروب الصليبية التى استمرت لقرون بالتوسع فى الأرض واغناء مملكة الله وكنيسته.

وكان كريستوفر نفسه يحمل الرؤية الدينية على أساس أن الله هو الذى يُسيِّر التاريخ، وبكلماته، فإن الله جعله رسولا للجنة الجديدة والأرض الجديدة بعد أن حدثه بها يوحنا المقدس فى سفر الرؤيا وأراه النقطة التى يجدها عندها.

وكتب كريستوفر كولمبس عام ١٤٩٣، أنه ليس مدينا بنجاحه لجهده، وإنما لإيمانه المسيحى المقدس. وأضاف لنتوجه بالشكر إلى الله والمخلص يسوع المسيح، الذى ضمن لنا نصرا عظيما وازدهارا.. إن اكتشاف أمريكا قبل أى شئ آخر، كان نهاية حج عظيم ونهاية للبحث الروحى العظيم[١].

ومثل أسبانيا فإن فرنسا (الكاثوليكية) أرسلت ببعثات الجيزويت (الجماعات اليسوعية)، وبمستوطنيها، فى القرن الثامن عشر، إلى آلاباما ونيو أورليانز وأركنساس ولويزيانا.

وكان التدافع الكاثوليكى إلى العالم الجديد، دافع انجلترا كأمة بروتسانتية لاستعمار أمريكا. بل يمكن القول إن التنافس البحرى بين الانجليز و الأسبان كان تنافسا بروتستانتيا كاثوليكيا. حتى هزمتها أنجلترا ودمرت الأسطول البحرى الاسبانى فى معركة ارمادا عام ١٥٨٨ فقبل ذلك التاريخ بأربعة أعوام كانت السفن الانجليزية قد وصلت إلى نورث كارولينا وفرجينيا[٢].

وفى عام ١٥٨٥ نقلت ٧ سفن انجليزية ١٠٨ مستوطنين إلى ساحل نورث كارولينا، وفى عام ١٥٨٧ أقام ١٥٠ مستوطنا أول صلاة بروتستانتية فى العالم الجديد. ثم كلف الملك

جيمس الأول، فى ١٠ ابريل ١٦٠٦ شركتى لندن وبلايموث بالاستيطان فى أمريكا الشمالية وأسست شركة لندن أول مستعمرة على ساحل فرچينيا (مستعمرة فرچينيا) عام ١٦٠٧ وأقام المستوطنون وأنشأوا فيها كنيسة جيمس تاون.

وفى ٣٠ يوليو ١٦١٩ اجتمع أول فوج من المستوطنين فى كنيسة جيمس تاون لوضع قوانين ونظم مستعمرة فرچينيا وفى العام التالى ١٦٢٠ وصلت المجموعة الثانية من المستوطنين إلى شاطئ نيوانجلند، على ظهر السفينة «ماى فلاور» ووقعوا فيما بينهم «عهد ماى فاور» حددوا فيه طريقة الحياة التى يرغبونها وأسس المجتمع المثالى فى أورشليم الجديدة أو كنعان الجديدة (أمريكا).

وتؤكد قراءة عهد ماى فلاور أن أولئك المستوطنين الأوائل هاجروا من أوروبا بحثا عن الحرية الدينية ولنشر البر وتستانتية البيورتيانية (التطهرية) بعيدا عن تحكم كنيسة انجلتر الأنجلكيانية، مثلما رفضوا من قبل تحكم كنيسة روما الكاثوليكية. وفى حين أخضعت كنيسة فيرجينيا رسميا لكنيسة انجلتر عام ١٦٦٢، حاول بعض المستوظنين تحويل الكنيسة لأن تكون أكثر بروتستانتية، ومؤسسة أقرب إلى تعاليم جون كالفين، وظل آخرون بعيداً عن كنيسة الدولة لانشاء كنيسة أكثر بيورتيانية. لقد كان البيوريتانيون يأملون فى تغيير ميثاق الكنيسة وعلاقتها بالدولة، وكان أملهم فى العالم الجديد إنشاء نموذج آخر للكنيسة، يتأسس على فصلها عن الدولة وعن تحكم العائلة المالكة.

وعلى هذا الأساس، أقام البيوريتانيون مستعمرة بليموث (١٦٢٠)، ومستعمرة ماساشوتس (١٦٣٠) واستطاعوا أن يفرضوا تصورهم الأخلاقى والدينى هناك. ومن ماساشوتس، انتقل البيوريتانى روجر ويليامز إلى بوسطن ليؤسس مستعمرة رود إيلاند، على أساس الحرية الدينية، وسمح ويليامز لوجود المعمدانيين والكويكرز (الأصحاب)، وهناك أسس الاسقفيون أول كنيسة لهم. وأقام اليهود لهم معبدا. وانشأ رجل الدين الايرلندى جورج بيركلى كلية كنجز كوليج (أصبحت فيما بعد جامعة كولومبيا فى نيويورك) . وعلى نهر ديلاوير أقام السويديون مستعمرة بالقرب من مدينة ولمنجتون الحالية، وبذلك أدخلوا «اللوثرية» إلى العالم الجديد. وبعد ذلك، فى عام ١٦٦٤، استعمرت انجلترا نيونيذر لاند لتصبح نيويورك. وكتب حاكمها الانجليزى إدموند آندروز، عام ١٦٧٨: لدينا هنا أديان من كل الصنوف.. كنيسة انجليزية ومشيخيون واسقفيون وكويكرز ومعمدانيون من كل نوع، إلى جانب بعض اليهود، ولذلك تخلى الحاكم الانجليزى عن فكرة سيطرة كنيسة الوطن الأم. كما أزدهرت الانجيلية فى نيويورك، حيث تأسست أول كنيسة انجيلية بها عام ١٦٩٧، وفى أقل من ٥٠ عاما، أصبح فى نيويورك ٢٠ كنيسة انجيلية، مقابل ١٨ فى نيوجيرسى و١٤ فى ديلاوير. كما أن جامعة كنجز كوليج التى بدأت عام ١٧٥٤ انجيلية، ثم أصبحت جامعة كولمبيا عام ١٧٨٤ فتحت أبوابها بعد ذلك أمام الجميع.

وبسبب موقف الكنيسة الأنجيلية المعارض للثورة الأمريكية ضد انجلترا، ازدهرت الكنيس المشيخية فى نيوجيرسى وأسس المشيخيون هناك نيوجيرسى كوليج (أصبحت فيما بعد جامعة برنستون)، ثم انتشرت المشيخية فى كل مستعمرات الوسط الأمريكى خصوصا بعد قدوم المهاجرين من ايرلندا الشمالية.

وفى بنسلفانيا، أنشأ ويليام بين، مستعمرة للكويكرز الانجليز والايرلنديين الفارين من المحاكم والتفتيش.

أما ميريلاند، فكانت جنة الكاثوليك حيث أسسوا أول كنيسة فى مدينة سان مارى العاصمة الأولى لميريلاند، وفى الوقت ذاته، انتشرت المعمدانية بين الزنوج فى ميريلاند، ومنها إلى فرجينيا فى الجنوب وبنسلفانيا ونيويورك ونيوجيرسى فى الشمال، ولتضم ميريلاند عام ١٧٧٤ نسبة ٥٠٪ من المعمدانيين.

وبدءا من ستينيات القرن الثامن عشر، تطلع الأمريكيون فى المستعمرات إلى الحرية الدينية إلى جانب الحرية المدنية، واحتج عدد من رجال الدين بمن فيهم انجيليون، على سيطرة الكنيسة الانجليزية الانجيلية.

من ذلك، ما قاله ويليام ليفنجستون فى الكنيسة المشيخية عام ١٧٦٨، بأن محاولة انجلترا فرض سيطرة الكنيسة الانجيلية على الأمريكيين، هو تهديد للحرية والملكية والضمير.

وفى فيرجينيا معقل الكنيسة الانجيلية كتب توماس جيفرسون عام ١٧٧٧ لائحة للحرية الدينية ليتقدم بها كحاكم للمجلس التشريعى، لاقرارها بعد أن جربت فيرجينيا لمدة تزيد على قرن ونصف قرن، ارتباطا وثيقا بين الكنيسة والدولة وسيطرة الكنيسة الأنجيلية بالرغم من التعدد الدينى، واقترح باتريك هنرى، ألا تسيطر كنيسة واحدة، ولكن أن تعتبر المسيحية الدين الرسمى، وكان الاعتراض على الاقتراح بحجة أن اعتبار المسيحية الدين الرسمى يمكن أن يكون وسيلة لانجلترا لفرض مذهبها المسيحى وكنيستها، وكان جيمس مادسون عضو المجلس التشريعى وقتئذ من قام بجمع أفكار من التاريخ تعارض الاقتراح بالإضافة إلى جمع التوقيعات الرافضة له.

وكان رأى مادسون (عام ١٧٨٥) ان السلطة المدنية يجب إبعادها عن تقرير المسائل المتعلقة بالاعتقاد والعبادة، وأن أعضاء المجلس التشريعى لايملكون الحق أو افتراض الحكمة لوضع أنفسهم كقضاة للحقيقة الدينية.

وقال: إذا قبلنا، قانونيا، أن تكون المسيحية دين فيرجينيا لاستبعاد الاديان الأخرى، فما الذى يمنع مستقبلا من أن نقبل قانونيا استبعاد المذاهب الأخرى لمصلحة مذهب مسيحى معين.. إن الثورة الأمريكية قامت للتخلص من كل طغيان مدنى أو دينى، وكسب مادسون وخسر هنرى.. وكان الرابح الأول توماس جيفرسون، باقرار التشريع الذى طرحه. ومن المهم هنا، ابراز مساهمة جيفرسون فى مسألة الحرية الدينية.

لقد بدأ جيفرسون من حقيقة أولية هى «إن الله القادر خلق العقل حرا» ولذلك، فإن الانسانية يجب أن تعمل كل ما تستطيعه لتبقى العقول دون قهر أو إذعان.. ولنضع فى الاعتبار أن الله الحكيم والقادر نزه نفسه عن قهر عقول وأجسام الرجال والنساء، فكيف نقبل أن يسمح بعض الرجال لأنفسهم بالسيطرة على اعتقاد الآخرين، وقد يقول قائل.. إنه دون سلطة الدولة فإن كل أنواع الأخطاء والمعصية سوف تنتشر. ويجيب جيفرسون بأن الخطأ تمكن محاصرته بالحقيقة (الإيمان) وأن الإيمان يبقى إذا ترك وشأنه.

ويخلص جيفرسون إلى أنه لن يمارس أى ضغط على أحد لدعم أية كنيسة أو مكان عبادة أو رجل دين.. وأنه ما من أحد سيقابل معاناة بسبب آرائه الدينية، وإنه سيكون من حق الناس التعبير بحرية عن أفكارهم الدينية وأيا ما كانت تلك الآراء فإنها لن تؤثر بأية طريقة على وضع المواطنة أو على حقوقهم(٣).

وعندما اجتمعت وفود الولايات الثلاث عشرة فى فيلادليفيا عام ١٧٨٧، للنظر فى مسودة إطار الحكم الفيدرالى، تضمنت المادة السادسة من مشروع الدستور أنه لا اختبار دينيا سيكون مطلوبا لشغل أى منصب فيدرالى.. وأنه لا اشتراط لحلف اليمين.وأنه لاتحديد لمرجع دينى.

وأرسل جيمس مادسون، الذى وضع المسودة، نسخة منها إلى جيفرسون فى باريس. ولكن جيفرسون نبه إلى خلو ديباجة الدستور من الاشارة إلى ضمان الحريات الانسانية التى تبدأ بالحرية الدينية (بتعبير جيفرسون).

وخلال عملية الحصول على الموافقة على مسودة الدستور (دولة بدولة)، اكتشف مادسون أن آخرين يشاركون جيفرسون الرأى، ولذلك فإنه وعد فى حالة التصديق على الدستور، باعداد «لائحة الحقوق» لتقدم إلى الكونجرس الجديد. وقدم مادسون اللائحة للكونجرس عام ١٧٨٩، وجرت الموافقة عام ١٨٠١ على التعديلات الدستورية العشرة. وكانت العبارة الأولى فى التعديل الأول للدستور أن الكونجرس لن يصدر أى قانون بصدد ترسيخ مؤسسة للدين أو منع ممارسته بحرية(٤).

وقد كتب جيفرسون فى عام ١٨٠٢ (خلال فترة رئاسته الأولى)، رسالة إلى جماعة من رجال الدين فى إحدى كنائس ولاية كونيتكت: إن هدف التعديل الأول فى الدستور هو «انشاء حائط فاصل بين الكنيسة والدولة»(٥).

وفى الحق أن الآباء المؤسسين للجمهورية، ارسوا دعائم الحرية من الاضطهاد الدينى وضمان الحرية الدينية.

فعندما تولى جورج واشنطن، أول رئيس للولايات المتحدة، الرئاسة عام ١٧٨٩، توجهت اليه الانظار وسط مخاوف من استبداد داخلى بعد التحرر من الاستبداد الخارجى (انجلترا) فالروم الكاثوليك بعد أن صدرت بحقهم قوانين لمنع الهجرة من الدول الكاثوليكية

ومنع انتشار بعثات الجيزويت كتبوا للرئيس واشنطن عن ذلك، ورد عليهم فى ٢ مارس ١٧٩٠ بقوله، إنه يأمل أن يرى أمريكا بين الأمم مثالا للعدل والحرية، وأن الأمريكيين لن ينسوا وإسهام المواطنين الكاثوليك فى الثورة الأمريكية وتأسيس الجمهورية[٦].

وكتب يهود نيويورك إلى الرئيس عن مخاوف من أن يلاقوا فى ظل الجمهورية الوليدة ما لاقوه من قبل من اضطهاد وتعصب. وأجاب عليهم واشنطن فى ١٧ أغسطس ١٧٩٠، بقوله: لاتمييز بين الأمريكيين.. إننا لانتكلم فقط عن تسامح وإنما لأبعد من ذلك عن حقوق طبيعية أساسية.. إن حكومة الولايات المتحدة لن تدع فرصة للتعصب ولن تساعد الاضطهاد..إن احفاد ابراهيم (اليهود) مثل كل الأمريكيين لهم حق العيش والتمتع مثل باقى الأمريكيين[٧] وكتب الرئيس جون آدامز عام ١٨١٦، رسالة لابنه، مهاجما ادعاء أتباع كالفين أنهم يملكون الحقيقة الدينية المطلقة.

إن كل كنيسة تتصرف على أساس أن لديها احتكارا مطلقا للحقيقة، وأن لديها «الروح القدس» فى قارورة. كما أن كل كنيسة تعتقد أن أعضاءها فقط لديهم تذاكر مضمونة لدخول الجنة.. إننى شخصيا أرفض الاعتقاد بأن ملايين وملايين الرجال كتب عليهم أن يكونوا بؤساء وأن عددا من اتباع «الكالفينية» كتب عليهم أن يكونوا سعداء دائما[٨]. وفى حين أن الرئيس توماس جيفرسون، اتهم بالإلحاد لرفضه الاحتفال بعيد الشكر، بسبب طبيعته الدينية إلا أنه كان يعتقد أنه مسيحى حقيقى- كما قال عام ١٨٠٣- ولكنه لا يميل إلى المؤسسات الدينية لأن الايمان بالنسبة له مسألة شخصية وفردية، كما كان يعتقد أن الاخلاق والسياسة تحكمهما الاعتبارات الوضعية. بعيدا عن رجال الدين والكهنوت.

كما أن الرئيس أبراهام لنكولن، رفض الانضمام لأية كنيسة بالرغم من تأكيده أنه مسيحى. وكان الرئيس تيودور روزفلت الذى تولى الرئاسة بعد ظهور فلسفة ويليام جيمس البراجماتية يقول إن الدين هو «الأعمال الجيدة» وإن ذهابه إلى الكنيسة «شكلى» وفى رسالته إلى الكونجرس عام ١٩٤١ أكد الرئيس روزفلت أن حرية كل فرد فى عبادة الله على طريقته الخاصة، تأتى إلى جانب الحريات، التى يجب دعمها مثل حرية الكلام والتعبير والتحرر من ربقة العوز والتحرر من الخوف، ولم يخل بدعم الرؤساء الأمريكيين للحرية الدينية، أن معظمهم أبدى ميولا دينية، فالرئيس واشنطن قدم طروحات دينية خلال الثورة الأمريكية قبل أنه يصبح رئيسا، وطالب بدولة تظللها الكنيسة، ودعا الرئيس ويلسون- فى عيد الشكر عام ١٩١٧- كل الأمريكيين فى منازلهم وفى أماكن العبادة المختلفة إلى الصلاة وتقديم الشكر للرب الحاكم للأمم. وقبل وفاته، وصف فرانكلين د. روزفلت، الأمريكيين بأنهم عالقون بالعهد القديم، ويؤمنون بالوصايا العشر باعتبارها القانون الأساسى للرب، وأعتبر الرئيس داويت إيزنهاور، أن الرب هو الذى وهب الصيغة الأمريكية للحكومة، وأن الايمان الدينى هو الاعتبار الأول والأساسى لأن يكون المرء أمريكيا، وكان

الرئيس كارتر يحضر خدمات الكنيسة، ويصلي فى الأماكن العامة، ويمتنع عن تقديم الخمور فى البيت الأبيض فى مناسبات معينة.

وفى الحق أن الفصل بين الدولة والكنيسة فى التجربة الأمريكية- كما ورد فى التعديل الأول للدستور- كان جهدا لحماية الدين من الدولة، وليس حماية الدولة من الدين، فالتعديل الأول للدستور قصد به السماح بأقصى حرية لل«المتدين» لقد كان الدين هو أول موضوع لتعديل الدستور «التعديل الأول» لابعاد الدولة عن المجال الدينى، ويبدأ نص التعديل بـ«المؤسسة» (الكونجرس) لينفى تدخلها فى الدين بإنشاء مؤسسة دينية أو بمنع ممارسته بحرية.

ولذلك كان على الرؤساء الأمريكيين أن يتحركوا فى الممارسة بين شعب «متدين» ودستور «علمانى» ومن ثم كان عليهم أن يظهروا اشكالا من «التدين» أو على الأقل احترام الدين فى الحياة العامة وأن يكونوا علمانيين فى السياسة والحكم[٩].

وهكذا فإن الحائط الفاصل بين الدولة والكنيسة (بتعبير جيفرسون) قد يعلوا أو ينخفض، ويتوقف الأمر على مدى تدين الأمريكيين ومدى علمانية الدولة والسياسة، وتنعكس هذه الحقيقة بجلاء فى أحكام المحكمة العليا الأمريكية، باعتبارها حامية الدستور، فقد حكمت المحكمة العليا عامى ١٩٢٩ و١٩٤٠ بدستورية القوانين التى أجبرت أعضاء جماعة «الكويكرز» على أداء الخدمة العسكرية والاشتراك فى العمليات الحربية، وتلك التى ألزمت جماعة «شهود يهوه» بتحية العلم الأمريكى والتى قضت بفصل كل من يرفض المشاركة فى التحية الجماعية من تلاميذ المدارس. ورفضت المحكمة دفع تلك الجماعات الدينية بأن هذه القوانين تتعارض مع النص الدستورى على حرية الممارسة الدينية.

غير أن المحكمة العليا أعادت النظر فى أحكامها السابقة، فبعد حكم ١٩٢٩ بمنع الجنسية عمن لايحملون السلاح دفاعا عن الولايات المتحدة، حكمت المحكمة العليا عام ١٩٤٦ بأحقية الشخص فى التجنس بالجنسية الأمريكية برغم أنه لم يكن راغبا فى حمل السلاح دفاعا عن الولايات المتحدة، لأسباب دينية، وفى عام ١٩٤٣ تراجعت عن حكمها بالإلزام بتحية العلم الأمريكى.

أى أن المحكمة العليا استجابت للطبيعة المتدينة للشعب الأمريكى، وبالمثل فعل الرؤساء الأمريكيون فى العقدين الأخيرين، فالرئيس كارتر اعتبر نفسه أنه «مسيحى مولود ثانية»، وركز فى حملته الانتخابية عام ١٩٧٦ على القيم الدينية والتقاليد المحافظة واعادة بناء العائلة الأمريكية على هذا الأساس. أما الرئيس ريجان، فقد أقحم الدين فى السياسة أكثر من أى رئيس آخر. حتى أنه فاز على كارتر المولود ثانية مسيحيا عام ١٩٨٠ فكان - ريجان- فى حملته الانتخابية يطوف الولايات المتحدة الأمريكية حاملا الانجيل معلنا أن فيه الحلول ليس فقط فى موضوعات اقامة الصلاة فى المدارس ومنع الاجهاض وتحريم الشذوذ الجنسى بل إنه منح اعفاءات ضريبية للمدارس الدينية.

التدين فى أمريكا مقارنة بدول أخرى

لنسبة٪ إلى عدد السكان خلال ١٩٩٠ - ١٩٩٣(*)

البلــــد	يعتبرون أنفسهم متدينين ٪	يؤدون الخدمات الدينية أسبوعياً٪
الولايات المتحدة	٨٢	٤٤
المكسـيك	٧٥	٤٢
كـنـدا	٧٠	٢٨
اسـبـانيـا	٦٤	٣٠
بريطانيـا	٥٥	١٤
المانيـا	٥٤	١٨
فـرنسـا	٤٨	١٠
السـويد	٢٨	٤

(*) المصدر: World Values Studies Croup, in The National Times, Nov, 1995

الأديان فى أمريكا(*)

الأديـــان	النسبة إلى عدد السكان٪
البروتستانتية	٪٦٠
الكاثوليكية	٪١٧
الارثوذكسية الشرقية	٪١
المسيحية	٪٨٨
اليهودية	٪٢
الإسلام	٪١
ملحدون	٪٢
لادين	٪٣
أديان أخرى	٪٤

(*) المصدر: Barna Research Group, Princeton Research Canter, Galloup: Different Surveys

الدين الأمريكى(*)

الكنـــــــائس	عدد الأتباع
الكنائس المعمدانية (Baptist)	٣٩,٥٢٣٨١٥
الكنائس المنهجية (Methodist)	١٣,٤٨٣٤٨١
الكنائيس الخمسينية (Pentecostal)	١٠,١٤٣٢٨٣
الكنائس اللوثرية (Lutherian)	٨,٣٢١١١١
المورمون (latter- day Saints)	٤,٨٨٩٢٧٩
الكنائس المشيخية (Presbyterian)	٤,١٧٤٢٢٠
الكنائس المسيحية الشرقية (EastOrthodox)	٣,٣٥٣٨٢١
الكنائس الأسقفية (Episcopal)	٢,٥٣٦٥٥٠
الكنائس الاصلاحية (Reformist)	١,٧٠١٤٩١
الكنائس الكاثوليكية (الروم الارثوذكس)	٦٠,٢٠٨٤٥٤
الكنائس السبتية (Adventist)	٩٧٢٢٢١
شهود يهود (jehovah s' Witnesses)	٩٦٦٢٤٢
المنظمات اليهودية	
يهود محافظون	٢,٠٠٠٠٠٠
يهود اصلاحيون	١,٣٠٠٠٠٠
يهود ارثوذكس	١,٠٠٠٠٠٠

(*) المصدر: **1997 Yearbook of American & Canadian Churches**

المجموعات الكنسية البروتستانتية(*)

المعمدانية الجنوبية	٨٪
الكنيسة المنهجية المتحدة	٧٪
معمدانيون آخرون	١٠٪
بروتستانت آخرون	١٠٪
منهجيون	٣٪
الكنيسة المتحدة للمسيح	٣٪
الكنائس المعمدانية الأمريكية	٣٪
الأسقفيون	٢٪
اللوثريون	٢٪
الكنيسة المشيخية للولايات المتحدة	٢٪
الكنيسة اللوثرية الأمريكية	١٪
الكنيسة المشيخية المتحدة	١٪
المورمونية	١٪
الكنيسة اللوثرية لأمريكا	١٪
اللوثريون المعمدانيون لميسورى	١٪
مشيخيون آخرون	١٪
لوثريون آخرون	١٪
كنائس أخرى	٣٪
	٦٠٪

(*) المصدر: Princeton Research Center,
Galloup. Different Surveys

(٢) أمركة المسيحية

بالرغم من تأثر الأمريكيين البالغ بمبادئ «المنفعة» عن هويز، و«الانتخاب الطبيعى» عند داروين، و«موت الإله» عند نيتشه، ويليام جيمس، فإنهم ظلوا من أكثر الأمم تعلقا بالدين.

وكما أوردت شهرية ناشيونال تايمز (نوفمبر ١٩٩٥)، فإن ٩٥٪ من الأمريكيين يعتقدون بوجود الله. وأن بين كل ٥ أفراد هناك ٤ أفراد يعتقدون فى المعجزات والحياة بعد الموت وعذرية مريم، كما أن ٨٢٪ من الأمريكيين يعتبرون أنفسهم أشخاصا متدينين، مقابل ٥٥٪ فى بريطانيا، و٥٤٪ فى المانيا و٤٨٪ فى فرنسا، أما من يؤدون اسبوعيا الخدمات الدينية فى أمريكا، فنسبتهم ٤٤٪ مقابل ١٨٪ فى ألمانيا و١٤ فى بريطانيا و١٠٪ فى فرنسا.

هنا، يصدق قول جورج سنتيانا بأن الانسان الأمريكى هو انسان مثالى يعمل للمادة صحيح، أن الولايات المتحدة ابنة كالفين، كما قال جيمس هوبورن، إلا أن كالفينيه أمريكا أصبحت مادية.

لقد حمل المهاجرون الأوائل العقيدة الكالفينية، التى اضطهدوا بسبب ممارستها فى انجلترا، وقبل أن ينزل المستوطنون الأولون من سفينة (ماى فلور) وقعوا وثيقة دستورية أولية، ترسى أسس السلوك الدينى والاجتماعى بينهم، ولكن عقيدة كالفين شهدت تحولات كبرى فى أمريكا.

لقد قال كالفين إن هؤلاء الذين يصيبهم الخلاص، يصيبهم من جراء ايمانهم وليس من جراء أعمالهم فنحن ذوو قدر مكتوب ولا قيمة لأعمالنا إلا إذا شاء الله خلاصنا.

أما الكالفينية الأمريكية، فتحول الأمر إلى أنه إذا كان الايمان هو الذى ينقذنا دائما وأن تضحية المسيح هى التى ستحررنا، فإن أعمالنا ضرورية -ايضا- لخلاصنا، لأنها تشهد وحدها على رغبتنا فى عمل الخير، وعلى جهودنا ونجاحنا وفشلنا وعلى تقدمنا البطئ على الدروب المؤدية إلى الله، وعلى أننا قادرون على تحسين أحوالنا إذا كنا نريد ذلك[11].

وبذلك ستصبح الكالفينية الأمريكية «دين العمل» ففى حين أن كالفين لم يكن يؤمن بزوال الخطايا، من خلال الاعتراف والتوبة، بل من خلال الحساب عنها برمتها، تبدو الكالفينية الأمريكية عملية متفائلة.

وستتوافق الكالفينية الأمريكية مع الفردية الأمريكية فلا وسيط بين الانسان والله، ولا أكليروس أو كهانة تفسر النص المقدس، وفى كتابه «تنوع التجربة الدينية» والذى صدر عام ١٩٠٢ يؤكد فيلسوف البراجماتية الأمريكية ويليام جيمس فردية وبراجماتية التجربة الدينية فى أمريكا فالدين -ما يقول- سوف يعنى أحاسيس وأفعال وتجارب الأفراد لأقصى درجة يمكن أن يفهموا بها أنفسهم فى علاقتهم مع ما يعتقدون أنه «حقيقى».

وبتأثير الحرية والتنافسية فى المجتمع الأمريكى، ظهرت منذ وقت مبكر «سوق قومى للدين» وقبل وقت طويل لن تكون «سوقا رأسمالية» بالمعنى الاقتصادى، كما يقول البروفيسور جون بتلر من جامعة ييل، والآن، مع غياب كنيسة رسمية لأمريكا تتعدد المذاهب والكنائس مقابل التوحد الجامد فى الكنيسة الكاثوليكية.

تتعدد المذاهب بين معمدانيين بيض وسود، ومورمون، ومشيخيين، ومنهجيين وأسقفيين، وكويكرز، وسبتيين، وشهود يهوه، وعلميين مسيحيين، وتتكاثر الجماهات الدينية لتتجاوز ٣٥٠٠ جماعة من الأميش إلى الديفيديين (نسبة إلى ديفيد قورش) ولكن كل تلك المذاهب والكنائس والجماعات، تركز على «فردوس الدنيا» وليس على العالم الآخر، كما قال ماكس لرنر.

وفى الوقت نفسه، ومنذ أن لاحظ توكفيل ذلك عام ١٨٣٥، تعتبر الكنيسة قوة محركة نحو (النظام) مقابل (الانقسام) الذى تحدثه الديمقراطية. فالمنضمون للكنائس (بما فيها الكنس اليهودية) كانوا ١٧٪ من البالغين الأمريكيين لدى الاستقلال عن بريطانيا واصبحوا ٣٧٪ فى فترة الحرب الأهلية (١٨٦١ - ١٨٦٥)، وزادوا إلى ٥٠٪ فى العقد الأول من القرن العشرين، وصولا إلى ٧٠٪ فى التسعينيات.

وكما يقول البروفيسور جون ويلسون أستاذ الأديان فى جامعة برنستون، فإن «الدين الأمريكى» مثل نوعا من التضامن الاجتماعى فى مجتمع «فردى» تزايد اندماجه الاقتصادى خلال الحرب الأهلية، وزاد اندماجه الثقافى بعد الحرب العالمية الثانية، ففى حين أن الجنوب دخل التيار السياسى الأساسى (العام)، ضاقت الفوارق الإقليمية بين الأمريكيين فى نظام الحياة وطرق التصويت الانتخابى والتفكير وحتى طريقة الكلام، من خلال القنوات التليفزيونية القومية الثلاث، وأعمدة الكتاب التى تنشر فى الصحف على المستوى القومى، إلا أن الكنائس ظلت حتى بعد صراعات الحقوق المدنية فى الخمسينيات والستينيات مؤسسات للتضامن الاجتماعى، حيث لم يتجاوز عدد السود المنضمين إلى كنائس يسيطر عليها البيض أكثر من مليونين، إذ ظل الأمر أن يكون المرء مسيحيا دون تجاوز العرق والطبقة، بل إن الأفضلية كانت لجهة أن الطريق الطبيعى لنمو أية كنيسة هو نموها بين أهلها وعرقها.

فالكنيسة التى تلبى الحاجات الروحية والمجتمعية لجماعة بشرية متشابهة، تنمو بشكل أكبر، وعندما حاول المجلس الوطنى للكنائس أن يتجاوز الطبقة والعرق، واجه صعوبات كثيرة.

إذن عبرت الكنيسة -فى حالة أمريكا- عن التعددية والتضامن وكانت مجالا للأقليات وللمجموعات الدينية للتعبير والاحتجاج.

وفى هذا الإطار جاء ظهور الكنائس المرئية (المحطات والقنوات التليفزيونية الدينية) للتعبير عن الأصولية الأنجيلية فى مجتمع مادى حديث.

يقول ناثان أو هاتش فى كتابه «ديمقراطية المسيحية الأمريكية - ١٩٨٩» إن المسيحية الأمريكية هى الضلع الثالث لمثلث ضلعيه الآخرين: «الديمقراطية وفلسفة.. دعه يعمل دعه يعمر».

ويقول هارولد بلوم فى كتابه «الدين الأمريكى- ١٩٩٢» إن المسيحية الأمريكية تجربة براجماتية أمريكية، وإن «يسوع الأمريكى» أقرب لما هو أمريكى مما هو مسيحى، وذلك ما تكشف عنه تجارب كنائس المورمون، والمعمدانية الجنوبية والعلم المسيحى والسبتيين والخمسينية وشهود يهوه.

المورمــــون

أعطى المورمون معانى جديد للألوهية والخلق والانسان والقيامة والجنة لصالح الحياة المادية والإرادة الانسانية، ولذلك اعتبرت «المورمونية» مسيحية مستحدثة أو مبتدعة ومسيحية أمريكية أيضا.

والمورمون، اسم ملك يهودى عاش فى أمريكا -كما يدعى اتباعه- نحو ٦٠٠ق.م ويوضح كتاب المورمون مصير ذلك الشعب، الذى وصل إلى أمريكا فى ذلك التاريخ، وادعى مؤسس المورمونية جوزيف سميث (١٨٠٥ - ١٨٤٤) أنه لجأ ذات يوم وهو فى الخامسة عشرة من عمره إلى الرب، وسأله أن يطلعه على الحقيقة فبعث له بنور سماوى، تلاه ظهور ملاك كشف له عن كتاب الحق (كتاب المورمون) المكتوب على لوحات ذهبية بلغة مصرية قديمة، مدفونة فى تل كومورا وعلى الرغم من أن المورمون بدأوا التنظيم فى الشرق الأمريكى (فاييت نيويورك) عام ١٩٣٠ غإنهم مثل الرواد المستوطنين الأمريكيين الأوائل (الفرونتييرز) تحركوا صوب الغرب، فوجدوا لفترة فى أوهايو وميسورى وألينوى، حتى أسسوا كنيسة (قديسى اليوم الآخر) فى الغرب الأقصى، فبعد أن منعوا فى أوهايو من بناء معبدهم، هربوا عام ١٨٣٩ إلى نوفو- ألينوى، وهناك أقاموا معبدهم وأسسوا حكومة وجهزوا أنفسهم لمواجهة هجوم «الأغيار».

والأغيار بمفردات المورمون، كل من هم ليسوا من المجتمع المورمونى، ومن يرفضون المورمونية فى تعالم وسلطة مؤسس المورمونية جوزيف سميث، أى من يرفضون مبادئ المورمونية مثل الاعتزال والملكية المشاعية، وتعدد الزوجات واعتقادهم بأنهم شعب الله المختار، وفى عام ١٨٤٤ قبض على جوزيف سميث ووضع فى السجن ثم هجم رجال مسلحون على السجن واغتالوه وأخاه حيرم.

وتحت القيادة القوية لخليفته برجهام يونج (١٨٠١- ١٨٧٨) تحرك المورمون من الولايات التى لاترحب بهم، إلى حيث لاتوجد ولايات، بل ويوجد الاخوان والأخوات من المورمون.

وقد اعتبر يونج ذلك الهروب به (خروج) وقال عام ١٨٤٥، إنه خروج للأمة (المورمون).. إلى إسرائيل الحقيقية، من الولايات المتحدة إلى منظمة بعيدة فى الغرب لاتقوى عليهم فيها البغضاء والاضطهاد والتعصب وليؤسسوا عهدا جديدا فى تاريخ الكنيسة وتاريخ الأمة، وفى عام ١٨٤٧ بدأ الطريق الطويل والمؤلم من نوفو - ألينوى، إلى أوماها -نبراسكا، حتى

وصلوا إلى حوض بحيرة ««سولت ليك» واعتبر يونج تلك الأراضى القاحلة «أرض العسل» التى وردت فى كتاب المورمون و«أورشليم الجديدة»

وفى الحق أن المورمون لم يأتوا إلى ولاية يوتا من الشرق الأمريكى فقط، بل أتوا أيضا من انجلترا واسكتلندا وويلز وألمانيا ومن الدول الاسكندنافية.. فلماذا كانت هذه الجاذبية للمورمون فى الغرب.

لقد نادى المورمون بالعودة إلى نقاء كنيسة العهد الجديد، واعتبروا- بعد الاضافات التى أدخلها سميث على الكتاب المقدس- أن أمريكا هى الأرض الموعودة، وأن أورشليم الجديدة ستكون فى أمريكا (يوتا) وليس فى فلسطين، ومثلت المورمونية عقيدة جديدة بسيطة، حيث أصبح التعميد بعد الموت، وبات الخلاص يتحقق من خلال المراسم المورمونية والأعمال الحسنة بالإضافة إلى السمو الأبدى للإنسان بعد الموت. كما أن المورمونية بإجاباتها المحددة وسلطتها القوية المركزية أوجدت نوعا من التضامن داخل الجماعة المورمونية التى يمكنها أن تدافع وتحمى، وتطعم وتسكن، وتضع حاجزا بين المورمون القديسين وعالم الأغيار غير الربانى، بين مملكة إسرائيل الجديدة وعالم الأشرار.

وقد سمح المورمون بتعدد الزوجات، وكان سميث يمارس هذا التعدد مع المورمونيات، وإن توقفوا عن ذلك رسميا عام ١٨٨٩، كمقابل لانضمام «يوتا» للاتحاد الفيدرالى.

يقول هارولد بلوم فى كتابه «الدين الأمريكى ١٩٩٢، إن جوزيف سميث كصاحب رؤية، وبراجماتى، كان لديه منذ البداية الاهتمام الأمريكى بالجنة الأرضية، وإن يونج علم المورمون أن أساطير المملكة السماوية يجب أن تتحقق هنا (فى أمريكا) والآن.

وتوافقت المورمونية مع تقديس للفردية، بل تجاوزت ذلك لدرجة تأليه الإنسان وأنسنة الإله فالإله عند المورمون بدأ كإنسان وخاض صراعا فى الزمان والمكان حتى رفع إلى الجنة. كما أن الإله -عند المورمون- خلق الناس كما ننسل نحن الأولاد، بل إن يسوع المتسجد جاء من أب وأم. وأن العذراء كانت لمدة من الزمن زوجة للإله.

ويفسر سماح المورمون بتعدد الزوجات باعتقادهم بأن «الزواج سماوى» من أجل إقامة مملكة السماء على الأرض، فالإنسان-الإله على الأرض ينجب قديسين، ثم يتحول القديسون إلى آلهة، هكذا تجمع المورمونية بين الديانة المصرية القديمة (الخلود) واليهودية (مورمون نفسه يهودى) والمسيحية فى توليفة أمريكية تتوافق مع المادية -المثالية الأمريكية. وبالرغم من أن المورنية -مثل اليهودية- هى ديانة تحولت إلى شعب، فإن المورمون بعد قرن ونصف قرن سيطر ليس فقط على كل ولاية يوتا، ولكن أيضا على معظم مناطق الغرب الأمريكى على جوانب الصحراء.

المعمدانية الجنوبية..

لئن كانت المعمدانية هى القوام الرئيسى للبروتستانتية الأمريكية، فإن المعمدانية الجنوبية تمثل الفردية والبراجماتية على الطريقة الأمريكية.

فالمعمدانيون الأوائل الذين قدموا إلى نيوانجلند، ثم انتشروا فى فيرجينيا، بدءا من عام ١٧٥٤، تعرضوا للاعتقال والحبس حتى ضمن لهم ماديسون الحرية الدينية، ولذلك كانوا من المطالبين بالحرية الدينية وانضموا إلى أتباع جيفرسون فى اقتراح أن تبتعد الدولة عن الدين.

وما لبث أن انتشرت المعمدانية بين الزنوج فى ميريلاند ومنها إلى بنسلفانيا ونيويورك ونيوجيرسى، وخلال القرن التاسع عشر انتشرت المعمدانية فى الجنوب بعد انقسام الكنائس الأمريكية تجاه موضوع العبودية، التى منعت بالقانون عام ١٨٦٣- وفى عام ١٩٠٨ أصدر ادجر يونج مولنز كتابه «بدهيات الدين» ليعيد به تأسيس المعمدانية الجنوبية البرجماتية، واعتبار أن المسيحية علاقة شخصية بين الفرد وربه.

وفى الحق أن مولينز يحدد فى كتابه «بدهيات الدين الأمريكى» أسس المعمدانية الجنوبية، وهى:-

- البدهية الدينية، أن كل الأرواح لها حقوق متساوية فى تحديد طريقها إلى الله.
- البدهية الأكليركية، أن كل المؤمنين لهم حقوق متساوية فى الكنيسة.
- البدهية الأخلاقية، أنه لكى يكون المرء حرا فيجب أن يكون مسئولا.
- البدهية الاجتماعية بأن تحب لجارك ما تحب لنفسك.

إن المعمدانية منذ انضمام اتباع يوحنا المعمدانى استهدفت من العماد ايقاظ الخاطئ من الخطيئة الأصلية، وهى خطيئة آدم، التى هبطت إلى جميع الرجال والنساء، فهؤلاء الذين عمدوا فى المسيح يمكن أن يحققوا خلاص نفوسهم.

ولكن المعمدانية الأمريكية لن ترجع إلى مسألة الخطيئة الأصلية، بل ستركز على مسئولية الفرد عن أعماله أمام الله، وستركز المعمدانية الجنوبية على «القدرة الروحية للفرد» بالمعنى اللاهوتى (قدرة إلهية) والمعنى الأخلاقى (الحرية والمسئولية).

ويشرح هارشل هوبز فى كتابه الاعتقاد المعمدانى والرسالة ١٩٧١ القدرة الروحية بقوله: إننى أعرف القدرة الروحية فى حدود عملية.. عندما يقول فرد إن الكتاب المقدس يعنى كذا بالنسبة لى، فلا استطيع أن أقول له إنه على خطأ ولكن يمكن أن أقول له إن ذلك الفهم ليس له معنى بالنسبة لى.

وبذلك، يمكن أن يأخذ قول أحد رجال الكنيسة معنى عاماً، ولكن لكل فرد أن يقرر من كلمات رجل الكنيسة، ما هو مفيد له. إن القدرة الروحية تعنى ان أى شىء أفهمه من الكتاب المقدس يجعلنى أكثر قربا من الله.

هنا تبدو المعمدانية الجنوبية (الأمريكية) براجماتية فى تعاملها مع النص المقدس، فردية فى تعاملها من اللهو وشخصية فى نظرتها للخطيئة. انما الفلسفة البراجماتية الأمريكية فى جانبها الروحى.

كنيسة العلم المسيحى «كريستيان ساينس»

تأسست كنيسة، العلم المسيحى «Christian Science» فى ٢٣ أغسطس ١٨٧٩، ف بوسطن اعتمادا على افكار مارى بيكر إدى (١٨٢١ - ١٩١٠).

وقد أصدرت مارى بيكر إدى عام ١٨٧٥ كتابها (العلم والصحة)، الذى تضمن مذهب (العلم المسيحى)، وخاطبت به ولع الأمريكيين بالصحة والحياة، وتعلقهم بالمسيحية ايضا. وأكدت فيه ازدواجية الطبيعة الإنسانية بين الروح والمادة، وأن الانسان كائن روحى وجنسوى، أيضا.

وتروى إدى أنها سقطت على الجليد فى فبراير ١٨٦٦، فأصيبت بجرح لم تنفع فيه جراحة أو دواء، إلا أنها تعافت من تأثير الجرح بإيمانها المسيحى.. وتقول: كانت تلك البداية أو التفاحة (تفاحة نوتن) الساقطة، التى قادتنى لأن أكون نفسى وأن أجعل الآخرين كذلك.

وأصبحت السيدة تمارس أعمال الشفاء عن طريق الإيمان والتأثير الروحى فى المريض، وأسست كلية لنشر العلم المسيحى، كما أصدرت مجلة تحمل الاسم نفسه، مازالت تصدر حتى الآن فى شكل جريدة هى كريستيان مونيتور.

وقد توافق مذهب "العلم المسيحى" مع مبدأ تقديس الإنسان فى الحياة الأمريكية. ففى كتابها، تعتبرمارى بيكر إدى، أن الإنسان هو صورة الله، بل نجدها تتحدث عن (الإنسان الأعلى - السوبرمان) الإنسان المثالى فى صورة الله، الذى لا يختفى، ويعكس دائما بحضوره القوة السوبر مان) الإنسان المثالى فى صورة الله، الذى لا يختفى ويعكس دائماً بحضور القوة والسلام. ولذلك تنفى فكرة الثالوث المقدس بادعاء أنه اختراع وثنى وأن الثالوث المقدس هو الحياة، والحق، والمحبة.

كما تنكر عودة المسيح، بل تنكر ألوهيته أصلا، إن الموت لا يستطيع أن يدمر حياة أى منا لأن ليس هناك موت بل يقظة من رقاد طويل.

كنيسة سبتية اليوم السابع

تجد سبتية اليوم السابع جذرها فى عقيدة الميللية (المجىء الثانى للمسيح لبدء العصر الألفى السعيد). وقد بدأت الميللية الأمريكية عام ١٨٣٥، عندما ادعى القس شارلز فينى أن الألفية السعيدية ستبدأ فى أمريكا بعد ٣ سنوات، أى فى عام ١٩٣٨. ثم تنبأ ويليام ميللر بأن المسيح سيعود ثانية بين ٢١ مارس ١٨٤٣ و١٢ مارس التالى، اعتمادا على سفر

دانيال وقد اجتذبت نبوءة ميللر جمهورا من المعمدانيين والمنهجبين والمشيخيين والابراشيين، إلا أن النبوءة تحولت الى (خيبة كبرى). وبعد ذلك ظهر كريس سكوفليد (١٨٤٦ – ١٩٢١)، الذى اعتبر أن التحقيب الربانى لتاريخ العالم يتضمن سبع حقب، وأن العالم– وقتئذ – يشهد الحقبة الأخيرة، التى سيعود فيها المسيح الى أورشليم، لتبدأ الألفية السعيدة. ثم ظهر المعمدانى اسحق هالمان، خلال الحرب العالمية الأولى، الذى تنبأ بعودة المسيح ليضع نهاية للحرب.

وكما يقول هارولدبلوم، فإن الميللية (الألفية) كانت حركة احتجاج ضد الحداثة فى المجتمع الأمريكى، إلا أن عقيدة سبتية اليوم السابع، طبعتها ايلين هارمون وايت (١٨٢٧–١٩١٠) بطابع الأمريكى.

تعتبر السيدة وايت أن العالم يعيش الآن فى الدينونة التى بدأت عام ١٨٤٤ (عام الخيبة الكبرى)، وأن المسيح منذ ذلك التاريخ دخل قدس الأقداس لتطهير خطايانا، وترى أن سفك دم يسوع على الصليب لم يحقق الكفارة كاملة، ويجب دوام زمن الكفارة مادام يوجد وقت للامتحان والتجربة. ويحرم السبتيون الكحول والتبغ والمخدرات والقهوة والشاى واللحوم فى معظمها، ويحفظون يومى السبت والأحد، ويعتقدون أن المسيح لدى عودته سيكمل الكفارة بالقضاء على كل الشياطين والكفار، وأن الخلاص يشمل ١٤٤ ألفا وهؤلاء من السبتيين وبالرغم من السمات اليهودية لعقيدة سبتية اليوم السابع، فإنها توافقت مع الأمريكيين فى ربط الخلاص بالأعمال فى الدنيا، وفى تأكيدها المعنى الدينى للصحة.

كنيسة الخمسينية

ومثل المورمونية والمعمدانية الجنوبية، تعتبر الخمسينية Pentecostalism، واحدة من أصول الديانة الأمريكية، وتعود الخمسينية الى عيد الخمسين أو العنصرة عند المسيحيين، وهو عيد الحصاد عند اليهود، ويحتفل به فى يوم الخميس التالى لعيد الفصح، وعندما أخذ المسيحيون يوم الخمسين عند اليهود كان ذلك لأن «الروح القدس» ظهر لحواريى المسيح كألسنة منقسمة من نار، واستقرت على كل واحد منهم فامتلأوا جميعا من الروح القدس، وبدأوا يتكلمون بألسنة أخرى (اعمال الرسل ٢:١–١). وقد بدأت الخمسينية فى أمريكا على يد شارلز فوكس بارهام، فى توبيكا بولاية نبراسكا عام ١٩٠١، ثم مالبث ان اصطحب معه ويليام سيمور الى لوس انجلوس عام ١٩٠٦ (عام زلزال سان فرانسيسكو) حيث كان تأسيس الكنيسة الخمسينية عام ١٩١٤، التى كونت جمعيات الرب واستقطبت الزونج.

ولا تعتقد الخمسينية فى عقيدة التثليث، بل تعتقد فى وحدانية الإله، وفى أن الروح القدس هى يسوع المسيح، الذى يمكن أن يملأ ارواح أتباعه منها وينعم عليهم بالنعم وبالتكلم بألسنة اخرى.

واعتبر القس الخمسينى واين إلزى، أن بعض الممارسات مثل الشراب والقمار مقدس، أى من قبيل العلاج والتطهر بالخطيئة.

غير أن الخمسينية الأصولية على يد القس جيمى سواجرت، تعتبر صخرة ضد الإلحاد والإجهاض ونظرية دارون والشيوعية والليبرالية والشذوذ الجنسى. باعتبارها خطايا.

إلا أن الخمسينية تتخطى التابو، باعتقاد أن الخمسينى الحقيقى، الذى هو قبس من الروح القدس، يمكن أن يحيى الموتى، إذا وصل الى درجة ما من العرفان.

شهود يهوه

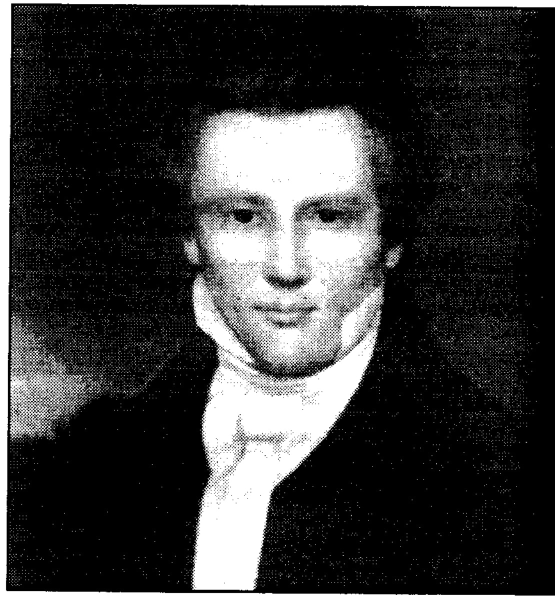
بيد أن عقيدة شهود يهوه ظهرت فى الولايات المتحدة باعتبارها الانشقاق الأكثر تطرفا فى حركة المللينية (سبتية اليوم السابع) أو بشكل ما الخمسينية المتطرفة.

وقد بدأت عقيدة شهود يهوه مع شارلز تاز رصل (١٨٥٢ - ١٩١٦) فى ولاية بنسلفانيا. ونشر رصل عام ١٨٨٦ كتابه «العوالم الثلاثة أو مخطط الفداء» وقال فيه، إن نهاية العالم ستكون فى عام ١٩١٤، ففيه تنتهى أزمنة الأمم، ويرتفع غضب الله عن اليهود، ويصبح لزاما عليهم أن يعودوا الى فلسطين لإنشاء دولة يهودية، إذ لا سبيل الى قيام مملكة الله دون عودة شعب يهوه الى وطنه.

وبعكس ما تنبأ به رصل، فإن العالم لم ينته عام ١٩١٤، بل إن الحرب العالمية الأولى بدأت فى ذلك العام. ولما توفى عام ١٩١٦، تولى الحركة تابعه جوزيف رذر فورد فى الفترة ١٩١٧ - ١٩٣٨، وأطلق عليها اسم «شهود يهوه». واشتق الاسم من العبارة (أنتم شهودى يقول يهوه) الواردة فى سفر أشعيا. ثم تلاه فى قيادة الحركة ناثان هرمر كنور عام ١٩٤٢.

ويعتبر شهود يهوه أن يهوه (الإله اليهودى) أوقد مشعل الحقيقة على يد رصل، الذى ائتمن هو جماعته على رسالة البر بيهوه، لنشرها بين البشر الأشرار. وينكر الشهود لاهوت المسيح وعقيدة التثليت وقيامة المسيح بالجسد، بل يعتقدون أن يسوع هو ابن يهوه، وأن رسالته ليست تطهير البشر وإنما الاحتفاء بقوة يهوه، وأن سالته ليست تطهير البشر وانما الاحتفاء بقوة يهوه وتأكيد سلطته، وأن موت المسيح هو أبدى نهائى.

ويعتقد الشهود أن نهاية الدينونة بدأت عام ١٩١٤، بعد استكمال الوجود الإنسانى ٦ آلاف عام، وأن العالم- الآن- فى انتظار مجىء المسيح الذى ليس هو المسيح بن مريم، وإنما مسيحهم المنتظر ليقيم حكمه فى أورشليم. وينبنى ذلك الاعتقاد على ما ورد فى سفر دانيال حول الزمن، الذى كتب فيه على الشعب وأورشليم ختم الخطيئة والمعصية، وخروج الأمر من لدن يهوه الى المسيح المنتظر لإعادة بناء أورشليم ثم خلاص أتباع يهوه.



جوزيف سميث: مؤسس كنيسة قديسى اليوم الآخر «المورمون»



مارى بيكر إدى: مؤسسة كنيسة العلم المسيحى «كريستيان ساينس»

العقائد المسيحية الأمريكية

	الأصـــل	النص المقدس	التعاليم الدينية
المعمدانية	حركة إصلاح جذرية، ضد تعميد الأطفال، ومع فصل الكنيسة عن الدولة، انشقاق قادة جون سميث فى انجلترا عام ١٦٠٩.	الكتاب المقدس بعهديه، خصوصا فى الجنوب الأمريكى فى الالتزام الحرفى.	تعارض شرب الكحول والتدخين، وتتوجه نحو الكمال الأخلاقى.
كنيسة المسيح	بين الأنجيليين المشيخيين منذ ١٨٣٢.	"تتكلم عندما تتكلم النصوص ونصمت عندما تصمت"	الاهتمام بالنواحى الاجتماعية والكمال الأخلاقى.
الأسقفية	انفصال الملك هنرى الثامن عن كنيسة روما عام ١٥٣٤. تأسست فى أمريكا عام ١٧٨٩.	العهد القديم ٣٩ سفرا وليس ٤٦ سفرا كما يعتقد الروم الكاثوليك.	التسامح، العمل، الاجتماعى.
شهود يهوه	أسسها عام ١٨٧٠ تشارلز تاز رصل.	الكتاب المقدس بعهديه.	نظام اخلاقى متشدد، قيم العائلة، تجنب التدخين وتحية العلم ونقل الدم.
المورمونية	أسسها جوزيف سميث فى العشرينيات من القرن التاسع عشر.	الكتاب المقدس بعهديه وكتاب المورمون.	التشدد الأخلاقى، تعدد الزوجات قبل إلغائه، الذاتية.
اللوثرية	بدأها مارتن لوثر فى ألمانيا عام ١٥١٧، كانشقاق على الكاثوليكية.	التفسير الفردى- اللوثرى للنصوص.	مذهب مملكتى الأرض والسماء، الفردية الدينية.
المنهجية	بدأت فى كنيسة انجلترا بحركة جون وزلى عام ١٧٣٨، وتأسست فى أمريكا عام ١٧٨٤.	تفسير النصوص بالعقل والتجربة.	الاهتمام بالأخلاقيات والعمل الاجتماعى.
الأرثوذكسية	انفصال عن كنيسة روما عام ١٠٥٤.	تعاليم المجمعات المسكونية حتى المجمع السابع.	قيامة المسيح.
الخمسينية	حركة فى الغرب الأمريكى أوائل القرن العشرين.	تعاليم الروح المقدس.	الفردية الدينية، التسامح.
المشيخية	كالفينية بدأت فى القرن الـ ١٦.	النص المقدس.	الفردية الدينية، التسامح.
الروم الكاثوليك	المسيح، ثم بطرس الرسول.	تعاليم بابا الفاتيكان.	المحافظة، عدم السماح بالطلاق- والزواج ثانية.
الكنيسة المتحدة للمسيح	تمثل اللوثرية والكالفينية.	النص المقدس.	التسامح- العمل الاجتماعى.

(٣) تهويد المسيحية

عندما دخل المهاجرون البروتستانت الأوائل، أولى المستعمرات نيو انجلند- اعتبروا أمريكا هى (أورشليم الجديدة) أو (كنعان الجديدة)، وشبهوا أنفسهم بالعبرانيين القدماء حين فراوا من ظلم فرعون (الملك الانجليزى جيمس الأول) وهربوا من أرض مصر (انجلترا) بحثا عن أرض الميعاد الجديدة.

وبالمشابهة، أصبحت مطاردة المهاجرين الأوروبيين البروتستانت للهنود الحمر فى العالم الجديد (الأمريكى)، مثل مطاردة العبرانيين القدماء للكنعانيين فى فلسطين.

وكان المهاجرون البروتستانت البيوريتانيون (التطهريون) يلهجون باللغة العبرية فى صلواتهم، ويطلقون على أبنائهم أسماء يهودية من قصص التوراة ميل سارة وألعازار وإبراهام وداود.. كما أطلقوا أسماء عبرية على مدن كثيرة فى المستوطنات الأولى، مثل، سالم (شالوم) وهبرون وكنعان..[٢٢].

وهذه الصبغة العبرانية- اليهودية، التى اصطبغت بها البروتستانتية البيوريتانية، مع قدوم المهاجرين الأوائل الى أمريكا، يردها الباحث اليهودى هنرى فاينجولد الى يهود المارانو، مع طرد المسلمين واليهود من شبه جزيرة أيبيريا خلال فترة الاسترداد المسيحى.

ويروى فاينجولد فى كتابه "صهيون فى أمريكا" الذى صدر فى نيويورك عام ١٩٧٤، أن كريستوفر كولمبس، عندما فشل فى اقناع ملك البرتغال يوحنا الثانى، بإمكان تنفيذ مشروعه الخاص بالإبحار غربا للوصول الى الشرق، اتجه الى ديجو دى ديجا أسقف سلامنكا، الذ ى كان من يهود المارانو، فأقنع الأخير يهود المارانو الذين كانوا يشغلون مراتب عليا فى الادارة والتجار فى أسبانيا، وتبنوا مشروع كولمبس ودعمه بالخرائط والتمويل اللازم. حتى أن السلطات الأسبانية شكت فى أن يكون كولمبس يهوديا، وذلك ما يعلق عليه فاينجولد، بقوله انه اذا كان بوسع المرء أن يتشكك فى نسب يهودى لكولمبس، فلاشك فى الدور الذى لعبه يهود المارانو فى جعل بدء رحلاته أمرا ممكنا وهو دور لا سبيل الى المجادلة فيه[٢٤].

ويدلنا آرثر هرتزبرج فى كتابه "اليهود فى امريكا" الصادر، فى نيويورك ١٩٩٠، على أول تيار للهجرة اليهودية الى الولايات المتحدة.. ففى عام ١٥٢٨ أحرق فى المكسيك يهودى تحول إلى المسيحية، وبعده أقام الأسبان محاكم تفتيش لليهود المتسترين وراء اعتناق المسيحية، والفارين من أسبانيا الى المكسيك، بعد انكشاف نشاطهم فى (تهويد المسيحية) وفى تلك الظروف كانت هجرة يهود المارانو إلى جنوب غرب الولايات المتحدة عبر المكسيك.

أما التيار الثانى للهجرة اليهودية، فقد بدأ مع وصول أول مجموعة يهودية أوروبية الى نيوامستردام (نيويورك الحالية) عام ١٦٥٤، وكانوا يؤدون صلواتهم فى البيوت (بسبب الاضطهاد

الدينى)، حتى أسس أول كنيس لهم فى نيويورك (وأمريكا كلها) عام ١٧٢٩ وقد كان أولئك اليهود الأوروبيون، من بين مؤسسى الولايات الثلاث عشرة الأولى التى تألف منها الاتحاد[٢٦].

بيد أن هجرة المارانو وغيرهم من يهود أوروبا، ضمن المستوطنين الأوائل فى أمريكا لا تقدم تفسيرا كافيا لتهويد المسيحية فى أمريكا. فعدد اليهود لم يزد على ١٥٠٠ يهودى من اجمالى عدد السكان الذى ناهز أربعة ملايين فى تعداد ١٧٩٠.

وكما يقول هرتزبرج، فان معظم ذلك العدد الضئيل من اليهود الأوائل فى الولايات المتحدة كان من الباعة والسماسرة وأصحاب الحرف الصغيرة، أى من أناس لم يكن لهم كبير وزن.

إن تهويد المسيحية الأمريكية، يرجع فى الاصل الى حركة الاصلاح الدينى فى أوروبا فى القرن السادس عشر. وتوصف هذه الحركة بأنها بعث (عبرى) أو (يهودى) تولدت عن وجهة نظر جديدة عن الماضى والحاضر اليهودى، وعن مستقبله بشكل خاص. فلم تكن أوروبا قبل عهد الاصلاح الدينى، والحاضر تعتبر اليهود الشعب المختار، إلا للعنة بل تعتبرهم مارقين، قتلة المسيح.

وتشير المؤرخة اليهودية باربراتوخمان، فى كتابها (الكتاب المقدس والسيف)، الصادر عن جامعة نيويورك عام ١٩٦٥، إلى العداء الشائع لليهود فى أوروبا الذى بلغ أشده إبان الحملات الصليبية. ويشير مؤرخون آخرون الى أن المحاربين الصليبيين المسيحيين هم أول من بدأ المذابح اليهودية وهم فى طريقهم إلى فلسطين.

وكانت الكنيسة الكاثوليكية تتمسك باعتقادها بأن ما يسمى الأمة اليهودية قد انتهى، وأن الله طرد اليهود من فلسطين الى بابل عقابا على صلب المسيح، وكانت الكنيسة تعتقد أيضا، أن النبوءات الدينية التى تتحدث عن العودة تشير إلى العودة إلى بابل، وأن هذه العودة قد تمت بالفعل على يد الإمبراطور الفارسى قروش. وذلك الاعتقاد كان فيلسوفه القديس أو غسطين، الذى اعتبر أن القدس مدينة العهد الجديد وأن فلسطين هى إرث المسيح للمسيحيين. غير أن حركة الاصلاح البروتستانتى تنكرت لهذا الاعتقاد الكاثوليكى، وروجت لفكرة أن اليهود أمة مختارة مفضلة، وأصبح العهد القديم المرجع للاعتقاد البروتستانتى، ومصدر المسيحية النقية الثابت، وجزءاً من طقوس العبادات والصلوات فى الكنائس، وكتاب للتاريخ عن الأراضى المقدسة والأنبياء، والنبوءات بنهاية الزمان والعصر الألفى السعيد مع المجىء الثانى للمسيح[٢٦].

ويعتبر مارتن لوثر، كمؤسس وزعيم لحركة الإصلاح البروتستانتى، مسئولا إلى حد بعيد عن ظهور مناخ القرن السادس عشر الروحى والدينى، الذى أوجد أرضا خصبة لانتشار المسيحية اليهودية.

لقد كتب لوثر، عام ١٥٢٣، كتابه "المسيح ولد يهوديا، الذى أعيد طبعه سبع مرات فى العام نفسه، وقد شرح فى هذا الكتاب المواقف المؤيدة لليهودية، وأدان اضطهاد الكنيسة

لكاثوليكية لليهود محتجا بأن المسيحيين واليهود ينحدرون من أصل واحد. وقال فيه: "إن لروح القدس شاءت أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم. إن ليهود هم أبناء الله ونحن الضيوف والغرباء، وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التى تأكل ما يتساقط من فتات مائدة اسيادها، تماما كالمرأة الكنعانية"[٢٧].

وكان لوثر، يؤمن بأن نبوءة التوراة حول انقاذ كل اسرائيل كأمة ستحقق، وكان يلوم لبابوية لتحريفها المسيحية وصدها بذلك اليهود عن اعتناقها.

لقد كان هدف لوثر النهائى هو تحويل اليهود الى البروتستانتية، ولكنهم بدلا من أن يرتدوا ى المسيحية كانوا يجمعون الأنصار لتهديد المسيحية. ولذلك نجده يعبر عن كرهه لليهود، فى كتابه "ما يتعلق باليهود وأكاذيبهم" الذى ألفه عام ١٥٤٤، وطالب فيه بطردهم من انجلترا بقوله: من الذى يحول دون اليهود وعودتهم إلى أرضهم فى يهودا.. لا أحد. إنا سنزودهم بكل ما يحتاجون لرحلتهم، لا لشىء إلا لنتخلص منهم، إنهم عبء ثقيل علينا وهم بلاء وجودنا)[٢٨].

وبرغم ذلك فإن حركة الاصلاح الدينى التى أطلقها لوثر، مثلت ثورة على الاعتقاد لكاثوليكى، وبشرت بعهد جديد من التسامح المسيحى- اليهودى. وبعد انفصال الملك هنرى الثامن عن روما، اقتحمت حركة الإصلاح الدينى بريطانيا وتمركزت فيها بالأمر لملكى، الذى اصدره عام ١٥٣٨ إلى كل كنائس انجلترا، وليوجد بذلك البيئة الملائمة لانتشار المسيحية اليهودية. وتقول باربرا توخمان فى كتابها، إن ملك انجلترا حنيما أمر عام ١٥٣٨، بترجمة التوراة للغة الانجليزية ونشرها واتاحتها للقراءة من قبل العامة، كان ذلك يضع اليهودية تاريخا وعادات وقوانين، لتكون جزءا من الثقافة الانجليزية، ولتصبح ذات تأثير هائل فى هذه الثقافة على مدى القرون الثلاثة التالية. وصار يطلق على التوراة لترجمة التوراة الوطنية لانجلترا، والتى أصبح لها من التأثير على روح الحياة الانجليزية أكثر من أى كتاب آخر، وذلك ما جعل قصص التاريخ اليهودية المادة الرئيسية فى الثقافة لانجليزية والمعرفة التاريخية للانجليز.

وتستنتج توخمان فى كتابها "الكتاب المقدس والسيف" أن حكايات العهد القديم صبحت زادا يوميا للعقل البروتستانتى، حتى بات المؤمنون من تكرار قراءتهم لها يحفظونها عن ظهر قلب، وحتى أن المسيح (يسوع الناصرى) لم يعد المسيح بن مريم بل مجرد نبى آخر من عديد الأنبياء. وتصف المؤرخة اليهودية ذلك بأنه (غزو عبرانى) كما تسميه مسمى لوثة العهد القديم[٢٩].

غير أن الغزو العبرانى للمسيحية، وصل ذروته فى عهد الثورة البيوريتانية فى انجلترا فى القرن السابع عشر، فالبيوريتانية مثلت أشد أشكال البروتستانتية تطرفاً باعتبارها كلفينية، ولذلك غالت فى إجلال الكتاب المقدس مع إعطاء الأولوية للعهد القديم سيرا على تعاليم جون كالفين. وقد وجد البيوريتانيون فى العهد القديم "مثالا سماويا للحكومة

الوطنية ودلالة واضحة للقوانين التى يجب على البشر اتباعها، واذا عصوها فالعقوبة ماثلة للعيان وآنية. ولذلك طالبت مجموعة (اللفلرز) البيوريتانية المتطرفة، الحكومة بأن تعلن التوراة دستورا للقانون الانجليزى. واستعاض البيوريتانيون بالعادات اليهودية عن المبادىء المسيحية، بل إن بعضهم كان يعتبر العبرية اللغة الوحيدة للصلاة وتلاوة الكتاب المقدس. وجرى تعميد الأطفال فى الكنائس بأسماء عبرية بدلا من أسماء القديسين المسيحيين. كما تغير يوم الاحتفال الدينى بقيامة المسيح إلى يوم السبت اليهودى(٣٠).

ذلك اللاهوت البرتستانتى، انتقل فى أوائل السابع عشر، مع المهاجرين الانجليز الأوائل إلى العالم الجديد (أمريكا)، خاصة أن دافع الانجليز كأمة بروتستانتية لاستعمار أمريكا، كان وقف تقدم الأمم الكاثوليكية أى البرتغاليين والأسبان والفرنسيين إلى العالم الجديد. ويذكر أدوين سكوت جوستاد فى كتابه "التاريخ الدينى لأمريكا" الصادر عام ١٩٩٠، أن القس ريتشارد هاكلايت قال للملكة إليزابيث الأولى إنه إذا كان من كنيسة حقيقية ومخلصة ينبغى أن تكون فى شمال أمريكا، فهى البروتستانتية الانجليزية وليس الكنيسة الكاثوليكية الاسبانية، وأن الرب ينادى انجلترا لهذه المهمة كما نادى يوحنا المقدس.

ولم يكن الحظ محالفا للملكة اليزابيث الأولى لتشاهد المستعمرات الانجليزية الأولى فى العالم الجديد، بل كان من نصيب الملك جيمس الأول (الأول فى سلالة ستيوارت)، ففى عام ١٦٠٧، أسست شركة لندن أول مستعمرة على ساحل فيرجينيا، وحملت أول مستوطنة بها اسم الملك وطلق عليها (جيمس تاون)، وأقيمت بها أول ابرشية حاملة اسم القس هاكلايت. وفى سبعينيات القرن السابع عشر، وصل عدد الأبراشيات إلى ٣٠ أبراشية، وتضاعف العدد بنهاية القرن حتى أصبحت فيرجينيا معقل الأنجيلية(٣١).

وكان المهاجرون الأوائل من البروتستانت، الذين حملوا معهم التقاليد والقناعات التوراتية وتفسيرات العهد القديم التى انتشرت فى انجلترا وأوروبا فى القرن السادس عشر. وكان بينهم البيوريتانيون الذى هاجروا من انجلترا بعد الحرب الأهلية، التى نشبت فى انجلترا نتيجة تمرد كرومويل، والذى وقف إلى جانبه البيورتيانيون، وانتهت بعودة النظام الملكى واضطهاد الملكيين للبيوريتانيين.

ووصل البيوريتانيون إلى فيرجينيا، وأسسوا جامعة هارفارد عام ١٦٣٦، بتبرع من الممول جون هارفارد بقيمة ١٨٠٠ جنيه استرلينى وبمكتبة، ثم أسسوا جامعة نيوهامبشير فى القرن الثامن عشر. وخلال ذلك، فر أحد البيوريتانيون وهو روجز ويليامز ليؤسس مستعمرة رود آيلاند ١٦٣٣.

وقد حمل البيورتيانيون معهم الى شمال أمريكا اللغة العبرية، وكان أول كتب ينشر فى العالم الجديد هو ترجمة سفر المزامير. كما أن جامعة هارفارد التى أنشأها البيريتانيون جعلت أحد شروط القبول فيها القدرة على ترجمة النص العبرى الأصلى للتوراة إلى

اللاتينية. واعتبر البيورتيانيون أنفسهم العبرانيين الحقيقيين. وكما يقول فاينجولد، فإن المستوطنين البيوريتانيين أصبحوا النموذج الأوحد للعهد القديم العبرى، وقد اسموا أنفسهم "أبناء اسرائيل فى طريقهم إلى أرض الميعاد واحتفوا بيوم السبت كيوم راحة لهم."وخلال القرن الثامن عشر، أصبح الاعتقاد بالبعث اليهودى، يشكل جانبا مهما من اللاهوت البروتستانتى الأمريكى، حيث احتلت معتقدات المسيح المنتظر والعصر الألفى السعيد مكانا بارزا[٣٢].

وهكذا، ويقول سيليج ألدر، إنه منذ فجر التاريخ الأمريكى كان هناك ميل مسيحى قوى للاعتقاد بأن مجىء المسيح المنتظر، لا حق لعودة الدولة اليهودية. وإن ذلك الاعتقاد كان يشكل جزءا من مصفوفة التاريخ الفكرى الأمريكى، التى كانت تتضمن دائما خيطا من العصر الألفى السعيد فى الفكر الأمريكى المسيحى[٣٣].

ويشير لويس جاسبر إلى أن ذلك التيار المحافظ فى البروتستانتية الأمريكية استهوى البيورتيانيين، وكان أتباع هذا المذهب الذى يؤمن بالتفسير الحرفى للنبوءات التوراتية وبالإحياء القومى للشعب اليهودى يشكلون نسبة كبيرة من البروتستانتيين الأمريكيين مع نهاية\ القرن التاسع عشر. غير أن هذا الاعتقاد البروتستانتى الأمريكى بالإحياء القومى لليهود وقيام مملكة اسرائيل قبل المجىء الثانى المسيح، تحول إلى حركة سياسية مسيحية يهودية سبقت الحركة الصهيونية فى الدعوة إلى قيام وطن لليهود فى فلسطين[٣٤]. فالمؤتمر الصهيونى فى بازل عام ١٨٩٧، سبقه صدور كتاب "يسوع أت" للممول والمبشر الأمريكى ويليام بلاكستون عام ١٩٧٨، والذى دعا فيه لعودة اليهود إلى فلسطين، فى إطار الإيمان بالعصر الألفى السعيد بعد المجىء الثانى للمسيح، وكانت لدعوة بلاكستون بالغ الأثر فى أعضاء من الكونجرس والرأسماليين الكبار مثل جون روكفلر وويليام روكفلر والصحافة والثقافة وانتهاء بالرئيس الأمريكى هاريسون.

تلك الحركة السياسية المسيحية اليهودية، حولت المؤسسة والجمهورية فى أمريكا إلى ما يسميه الباحث المصرى شفيق مقار بمسمى (عباءة اسرائيل) أو إلى مسيحية – صهيونية فأصبح الرأى العام الأمريكى مجندا بأغلبية ساحقة لانشاء وطنى قومى لليهود فى فلسطين،. أما فى صفوف اعضاء مجلس الكونجرس، فكانت المشاعر الصهيونية هى الغالبة. وتورد ويجينا الشريف فى كتابها" الصهيونية غير اليهودية" شهادة أمام الكونجرس جاء فيها أن انتصار الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى واستردادهم (يهودا) من أيدى التركى البشع يماثل قيادة موسى لبنى اسرائيل وإخراجهم من العبودية.. وأن حكومة الولايات المتحدة يجب أن تستخدم كل ما لديها من نفوذ فى العمل على انشاء الدولة اليهودية كى تشع منها على العالم تعاليم الدين اليهودى ومبادئه السامية.

وتستنتج مؤلفة "الصهيونية غير اليهودية"، أن الانتماء الصهيونى سرى فى طريقة الحياة الأمريكية وتخلل نسيجها قبل عقود من ظهور ما بات يعرف باسم (اللوبى

الصيهونى)[٣٦]. ويفصح عن مدى ذلك التغلغل. ما أظهره الجمهور الأمريكى العريض من تحمس بالغ للانتداب البريطانى على فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى، ثم إدانته عالية الصوت لسياسة بريطانيا فى فترة ما بين الحربين، تجاه فلسطين، كلما بدا أن تلك السياسة خرجت على خط بلفور. بل ان الواقع على الصعيدين الحكومى والتشريعى، أى الادارة والكونجرس، أن الانتماء الصهيونى بات مرادفاً فى أذهان كثيرة لكون المرء أمريكيا، بل وأمريكيا كما ينبغى أن يكون الأمريكى.

وقد نشطت الحركة المسيحية- الصهيونية فى إنشاء منظمات ولجان مسيحية تستخدم اسم فلسطين، وتهدف إلى تعبئة الرأى العام وممارسة الضغط على الادارة والكونجرس لمصلحة الصهيونية السياسية. وشارك فى عضويتها، بشكل «أساسى، قيادات دينية برتستانتية، بالإضافة الى مسئولين حكوميين وسياسيين ورجال أعمال وصحفيين وبالتنسيق مع المنظمات اليهودية الصهيونية.

وكانت من أوائل تلك المنظمات واللجان (منظمة فيدرالية أمريكا الموالية لفلسطين) التى أسسها القس شارلز رصل عام ١٩٣٠، للدفاع عن الوطن القومى اليهودى[٣٧].

وتبنت المنظمة مؤتمرا سمته (المؤتمر المسيحى الأمريكى)، عقد بمدينة نيويورك فى ١٥ ديسمبر ١٩٣٦، وحضره أكثر من ٢٠٠ شخصية من المسئولين الحكوميين ومن رجال الدين. وأصدر المؤتمر اعلانا يطالب (المجتمعات المتحضرة بمساعدة اللاجئين اليهود الفارين من ألمانيا وأوروبا الشرقية لدخول فلسطين ملاذهم الطبيعى، ولعل أبرز تلك المنظمات المسيحية الصهيونية (اللجنة الفلسطينية الأمريكية)، التى تأسست عام ١٩٣٢ لحشد المؤيدين للصهيونية من غير اليهود. وقد ترأس اللجنة عام ١٩٤٢، السيناتور روبرت واجنر ومعه زعيم الأقلية تشارلز ماكمارى، وضمت فى عضويتها ٦٨ من أعضاء مجلسى الشيوخ عام ١٩٤٢ سميت (المجلس المسيحى لفلسطين) وكان معظم أعضائها من القساوسة البرتستنتانت.

ثم اندمجت اللجنة الفلسطينية الأمريكية مع المجلس المسيحى عام ١٩٤٦، فى منظمة جديدة عرفت باسم (لجنة فلسطين المسيحية الأمريكية).

أما الكنائس البروتستانتية الأصولية فقد شكلت منظماتها الخاصة بها منذ ١٩٤٢ مثل (الرابطة الوطنية للأنجيليين). وقد لعبت تلك المنظمات المسيحية الصهيونية، دورا فعالا فى تكتل الادارة والكونجرس والرأى العام لاقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين تحقيقاً للنبوءات التوراتية. وبعد قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ انصبت جهود المسيحية الصهيونية على تأكيد شرعية اسرائيل وحقها فى الضفة وغزة (أرض اسرائيل التوراتية)، بالإضافة إلى تأكيد دعم أمريكا لليهود، لأن الرب يبارك من يباركهم ويلعن من يلعنهم، حسبما ورد فى سفر التكوين، وستتكفل بتلك الجهود منظمات مسيحية صهيونية أخرى مثل شبان المسيح، والأغلبية الأخلاقية والائتلاف المسيحى فى ربط الدين والسياسة، عندما تنفذ إلى داخل الحزب الجمهورى وتسيطر به على الكونجرس. وهذا مقال نعود إليه فى مقام لاحق.

(٤) الأصولية المسيحية تتقدم

فى أثناء المؤتمر القومى للحزب الجمهورى عام ١٩٩٢ فى هيوستن- تكساس، ظهر المرشح الجمهورى للرئاسة باتريك بوكنان والواعظ التليفزيونى والمرشح الرئاسى السابق باتريك روبرتسون، ونائب الرئيس داك كويل، وسط ملصقات وصيحات عن الحرب الثقافية فى أمريكا. وافتتح بوكنان المؤتمر بصيحة تحذير من الحرب الدينية التى ستقسم أمريكا من الداخل، قائلاً: انها حرب ثقافية فى خطورة الحرب الباردة، لأنها تحدد أى أمريكا ستكون فى المستقبل، فهى حرب على روح أمريكا[٣٩]. وكان المعنى أن الائتلاف المسيحى الأصولى، الذى أفسح له الحزب الجمهورى الطريق داخله منذ ١٩٧٦، يتقدم إلى المنافسة على الرئاسة والسيطرة على الكونجرس.

لقد قامت أمريكا للحضارة الغربية خبرة بين الكنيسة والدولة، منذ إقرار اللائحة الدستورية لولاية فيرجينيا، عام ١٧٧٧ (قبل الثورة الفرنسية بعقدين)، والتى لم تحدد كنيسة رسمية أو دينا رسميا للولايات. وكان التعديل الأول للدستور الأمريكى عام١٨٠١، يستهدف -كما قال الرئيس توماس جيفرسون- "إنشاء حائط فاصل بين الكنيسة والدولة". بيد أن الفصل بين الدين والدولة فى التجربة الأمريكية، لم يتحول يوما الى فصل بين الدين والمجتمع (الحياة). فأكثر من ٩٠ ٪ من الأمريكيين يعتقدون فى الله. وجمعت "المسيحية الأمريكية" بين الخلاص الفردى والمادى والدينى أيضا. وبرغم أن الكونجرس يفرض حائطاً بين الكنيسة والدولة فإن ذلك لم يحل دون استخدام الحكومة للرموز والطقوس الدينية. فنقرأ على الدولار عبارة "فى الله نثق" وكانت تحية العلم خلال الحرب الباردة تتضمن عبارة "بأمر الله". وللقوات المسلحة "قسس" برتب عسكرية تدفع أجورهم الحكومة وليس الكنيسة، وبكل مجلس من مجلسى الكونجرس مكتب قس. كما تلعب الكنائس دورا مهما فى الجنازات الرسمية. وتضىء شجرة عيدالميلاد خلف البيت الأبيض كل عام. وبين آخر ٨ رؤساء للولايات المتحدة كان هناك ثلاثة منهم اعتبروا متدينين، واثنان اعتبرا نفسيهما مسحيين ولدا ولادة ثانية.

وعادة ما يظهر الرؤساء الأمريكيون بمظهر من لا يتحدون الشعور الدينى لدى الأمريكيين مثل تجنب تقديم الخمور فى المناسبات الدينية، وحضور الصلوات فى الكنائس[٤٠].

وهكذا، فإن المسيحية فى الحياة اليومية فى أمريكا، توافقت مع الفردية والديمقراطية والبراجماتية لتصبح ما أطلق عليه "الدين المدنى".

غير أن الفهم المدنى للدين لم يمنع ظهور "الأصولية الدينية" فى أمريكا ونعنى هنا بـ "الأصولية" التيار الذى يعتقد فى "عصمة الكتاب المقدس" أى الأخذ بالمعنى الحرفى للانجيل والعهد القديم(٤١). وقد أطلق على هذا التيار لدى ظهوره فى سبعينيات القرن التاسع عشر تيار "اللا أدرية" أو "من لا يدرون" حتى ظهر تعبير "الأصولية" فى الصحافة الأمريكية فى عشرينيات القرن الحالى، بمناسبة انقسام الكنائس حول نظرية دارون. واستطاع الأصوليون الانجيليون أن يشغلوا الرأى العام بقضية جون سكوبز أحد مدرسى ولاية تنيسى الذى اخترق المنع الحكومى بتدريس نظرية دارون حول نشوء الإنسان، إلا أن الأصولية الانجيلية ظلت غير ذات سمعة لأنها كانت توصف بأنها ضد الحداثة وضد الانتلجينسيا وبالتعصب.

برغم استفادتها من ظروف الكساد العظيم (١٩٢٩)، فإن الأصولية الإنجيلية وجدت فرصتها التاريخية خلال الأربعينيات، فقد هاجم الأصوليون السياسات الاجتماعية التى اعتمدها الرئيس روزفلت لمواجهة الكساد تحت مسمى "الصفقة الجديدة" إلا أن معاداة الشيوعية هى البيئة التى جعلت من الحركة الأصولية الانجيلية حركة شعبية. فقد نشطت الجمعية الوطنية للانجيليين، التى شكلت عام ١٩٤٢، لتضم ٢٢ مجموعة كنيسة و ١٠٠ كنيسة، ودخلت فى مواجهة مع المجلس الأمريكى للكنائس المسيحية(٤٢).

وبعد الحرب العالمية الثانية. اهتمت الجمعية الوطنية للانجيليين بثلاث قضايا شملها برنامج الاتحاد الانجيلى وهى :

[١] معارضة العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة والفاتيكان.

[٢] التلطيف من معاداة الكاثوليكية والهجوم على مبدأ الفصل بين الكنيسة والدولة.

[٣] الضغط لمنع موافقة مجلس الشيوخ على منح المدارس العامة ثلاثة ملايين دولار. على أساس أن ذلك سيؤدى إلى سيطرة واشنطن على العملية التعليمية وتعليم الأجيال الصاعدة على أسس ليبرالية وعلمانية.

واتخذت الجمعية الوطنية للإنجيليين خطأ أيبولوجيا يتفق مع الإجماع القومى على معاداة الشيوعية. ولذلك اعتبرت الحركة الإنجيلية المبكرة "موالية للنظام" كما سعت للحصول على تأييد الحكومة فى الحصول على موجات بث إذاعى دينى مستقل. وكونت الجمعية الوطنية للانجيليين ما سمى "اتحاد المذيعين الدينيين" والذى ضم ١٥٠ من الوعاظ الإذاعيين، وبدأ المؤتمر السنوى فى واشنطن عام ١٩٥٦ ثم أصبح يعقد صلوات إفطار مع الكونجرس وأحيانًا ما كان الرئيس الأمريكى بنفسه يحضر المؤتمر السنوى. ونجح الإنجيليون فى الضغط على لجنة الاتصالات الفيدرالية والتى أعلنت عن تغيير فى سياستها عام ١٩٦٠، وبموجب ذلك التغيير أصبح للإذاعات الدينية حق شراء أى وقت من البث الإذاعى بدلاً من نظام الحصة السابق. وبذلك تمكن اتحاد المذيعين الدينيين من شراء

اوقات البث على الشبكات المحلية ثم اتجه المذيعون الانجليون إلى برامج استعراض الكلام TALK Show التى بدأتها شبكة بات روبرتسون مع بداية الستينيات.

وإلى جانب البث الإذاعى والتليفزيون، أسس الانجيليون إرساليات للتبشير مثل منظمة "شبان المسيح" للتبشير بين شباب أمريكا الشمالية، ولتدريب جيل تال من الإذاعيين للعمل على الموجات القصيرة وراء البحار.

وكان أحد "شبان المسيح" القس بيلى جراهام، الذى جذبت شعبيته الملايين فى المدن الرئيسية من لوس أنجلوس إلى نيويورك، حتى أن مجلة "تايم" خصصت له غلاف عدد ٢٥ أكتوبر ١٩٥٤ باعتباره "الإنجيلى الجديد".

وكان ضمن مصادر قوة الحركة الإنجيلية الصحافة الإنجيلية مثل مجلة الاقتصادات المسيحية (كريستيان ايكونوميكس Christian Economics)، التى تأسست عام ١٩٥٠، للدعوة للحرية الاقتصادية والرأسمالية. كما تأسست عام ١٩٥٦ مجلة المسيحية اليوم (كريستيانتى تودى Christianity Today)، وكتب مؤسسها بيلى جراهام فى أول افتتاحية، أن رسالة المسيحية اليوم هى تطبيق وحى الكتاب المقدس فى كل المسائل الاجتماعية المعاصرة، واستحضار معانى الرسالة الإنجيلية الأصولية حركة شعبية. ونظمت الجمعية الوطنية للإنجيليين برامج لمعادة الشيوعية فى الكنائس الأعضاء بالجمعية، التى أصبحت تضم ٤١ مجموعة كنيسة وتخدم ١٠ ملايين من البرتستانت وقتئذ. وبتركيز الإنجيلية الأصولية على معادة الشيوعية وحركة الحقوق المدنية كان التضامن بين اليمين المسيحى واليمين السياسى (الحزب الجمهورى). كما ظهرت- على استيحاء- فى الحملة الانتخابية الرئاسية للمرشح بارى جولد ووتر عام ١٩٦٤، إلا أن أجندة اليمين المسيحى ركزت حتى منتصف السبعينيات على مسائل قيم العائلة ومعارضة الإجهاض والشذوذ الجنسى.

لقد كانت برامج ومحطات البث التليفزيونى التى أطلق عليها "الكنائس المرئية" وسيلة حشد للجمهور وأداة لتوفير التمويل، من خلال اتحاد الوعاظ الدينيين وبعد أن كانت منظمة "شبان المسيح" للتبشير، فإن برامج المذيعين الوعاظ الإنجيليين أمدت الحركة بزعامات جديدة. فظهر جيرى فالويل فى برنامج (نادى السبعمائة)، وجيمس روبنسون (حديث جيمس روبنسون)، وبول كراوتش (لنمجد الرب). وأسست الزعامات الجديدة تنظيمات أصولية إنجيلية مثل "الأغلبية الأخلاقية" و "رعوية المغامرة الكبرى"، و "منظمة مايك إيفانز"، و"التجمع المحافظ" و"السفارة المسيحية الدولية"، "والكونجرس المسيحى الوطنى"..[٤٣].

وكشفت استطلاعات جالوب عن أن نحو ٧٠ مليونا من الأمريكيين يشاهدون الشبكات التليفزيونية الإنجيلية (الكنائس المرئية) التى بلغ عددها ١٠٤ محطات تليفزيونية، بالإضافة

إلى ١٠٠٦ قناة تليفزيونية بنظام الشفرة (الكابل)[٤٤]. وفى اطار الإحياء الإنجيلى تزايد عدد دور النشر المسيحية إلى ١٣٠٠ دار نشر متخصصة فى العناوين المسيحية، اضافة إلى ٧ آلاف مكتبة لتوزيع الكتب المسيحية، وتقدر مبيعاتها بنحو ٣ مليارات دولار سنوياً[٤٥]. ونشأت صناعة للموسيقى المسيحية تشمل موسيقى البوب والروك والراب والميتال، وتقدر مبيعاتها بنحو مليار دولار سنوياً. كما انتشرت الدوريات الإنجيلية مثل أسبوعية "المسيحية اليوم" و"أسبوعية العالم"، و"شهرية الوعاظ" بالإضافة إلى "الأشياء الجديدة" و"الأبوية المسيحية" و"التاريخ المسيحى "إلى جانب دوريات للرياضة والموسيقى ورعاية الكلاب على الطريقة الأنجيلية. ومع الإحياء الإنجيلى أصبحت هناك ٢٠ مدرسة مسيحية ابتدائية وثانوية وألف كلية للتعليم بعد الثانوى. ودخل الإحياء الإنجيلى الى «السوق» بمنتجات «مسيحية» مثل قمصان الـ«تى شيرت»، والقبعات وأدوات المطبخ ولوازم الرحلات وبرمجيات الكمبيوتر.. واستفادت الأصولية من الثورة التكنولوچية، حيث نشهد الآن على الانترنت "المسيحية على الخط". كما أصبحت الكنائس المختلفة لها خطوط على الشبكة الدولية[٤٦].

وبهذا الزخم، قرر الأصوليون الانجيلون دخول «الحلبة السياسية» بعد أن جربوا ذلك فى الانتخابات الرئاسية عام ١٩٦٤. ويعتبر عام ١٩٧٦، عام الانجيليين بدخولهم «السياسية التصويتية». بدعم المرشح الرئاسى الديمقراطى جيمى كارتر الذى اعتبر نفسه «مسيحياً ولد ثانية»[٤٧].

وبعد معارضة كارتر لصدور تشريع لمنع الاجهاض، نشط اليمين الانجيلى على المستوى المحلى بدلاً من المستوى القومى لدعم المرشحين للكونجرس ومقاعد حكام الولايات المتحدة. وتكونت شبكة قومية تحت مسمى «الأغلبية الأخلاقية» عام ١٩٧٩ لحشد ٣ ملايين ناخب لانتخابات عام ١٩٨٠. وبالفعل أصبح الانجيليون قوة تصويتية مؤثرة فى فوز الرئيس ريجان وبعض أعضاء مجلس الشيوخ مثل جيسى هيلمز وأورى هاتش فى انتخابات عام ١٩٨٠. واختار ريجان عددا من النشطاء من الانجيلتين لمراكز بهمة فى الادارة، كما دعم بعض أعضاء الكونجرس أجندة الانجيلتين التشريعية على الكونجرس لمنع الإجهاض والسماح بالصلاة فى المدارس.، إلا أن سيطرة الديمقراطية على الكونجرس، حالت دون مرور تلك التشريعات. ولذلك اتخذ اليمين الأنجيلى تكتيكات جديدة مثل الاستخدام المتزايد للمظاهرات واللجوء للعنف تجاه عيادات الإجهاض إلى جانب الاستمرار فى زيادة قدرته التصويتية لدعم مرشحى الرئاسة والكونجرس[٤٨]. وعندما فشل فى دفع القس بات روبرتسو للفوز بترشيح الحزب الجمهورى تحول اليمين الإنجيلى إلى دعم المرشح جورج بوش فى الانتخابات الرئاسية عام ١٩٨٨، حيث صوت ٨٠ ٪ من الإنجيلتين لبوش[٤٩].

ومع بداية التسعينيات أصبح الائتلاف المسيحى بزعامة روبرتسون، قلب اليمين المسيحى، ودخل فى تحالف مباشر مع الحزب الجمهورى، وليكون ما سمى الائتلاف اليمينى المسيحى.

لقد شهدت السياسة الأمريكية مع انتخابات عام ١٩٩٢، ما أصبح يعرف بمسمى «حزب الله». وهو تعبير أطلقته مجلة «كريستيان سنشرى». على الإنجيلتين والجمهوريين اليمينيين، فالاصوليون ومن اعتبروا أنفسهم ولدوا ثانية شكلوا ١٧ ٪ من القاعدة التصويتية و ٢٥ ٪ من القاعدة المؤيدة للرئيس بوش. غير أن بفوز المرشح الديمقراطى بيل كلينتون بالرئاسة فى انتخابات ١٩٩٢، تحولت حركة اليمين المسيحى للسيطرة على الكونجرس. وكشف استطلاع شمل اللجنة القومية للحزب الجمهورى عام ١٩٩٣، عن سيطرة أجندة اليمين المسيحى على أعضائها حيث أيد ٩٢ ٪ الصلاة فى المدارس، عارض ٩٣ ٪ الشذوذ الجنسى ورفض ٨٤ ٪ استخدام الاموال الفيدرالية فى المدارس[٥١]. وفى انتخابات التجديد النصفى للكونجرس عام ١٩٩٤، سيطر الجمهوريون على مجلس الكونجرس للمرة الأولى، منذ ما يزيد عن ٤٠ عاماً. وأصبح الإنجيليون حكام ولايات وأعضاء فى مجلس النواب ومجلس الشيوخ، وذلك ما تكرر فى انتخابات التجديد النصفى للكونجرس وحكام الولايات عام ١٩٩٦.

هكذا، أصبحت الأصولية الإنجيلية قوة محركة فى النظام السياسى الأمريكى، وبما أهلها لدور مؤثر فى السياسة الخارجية والدفاعية الأمريكية.

إن الإنجيلية الأصولية، انطلاقا من مبدأ عصمة الكتاب المقدس، تحولت لأن تصبح «مسيحية صهيونية » تعتقد فى النبؤات التوراتية حول نهاية العالم وإحلال مملكة جديدة بعد العودة الثانية للمسيح (معركة هرمجدون)، وضرورة تجميع اليهود فى الأرض المقدسة قبل عودة المسيح، ولذلك اعتبر الانجيليون الأصوليون أن قيام اسرائيل عام ١٩٤٨، واحتلالها القدس عام ١٩٦٧، تجسيدا لصحة نبوءات التوراة والاعتقاد بقرب المجىء الثانى للمسيح الذى سيحكم العالم من القدس.

وبدلاً من تنصير الإسرائيليين كما يعتقد الانجيليون تمهيداً لقدوم المسيح، فقد أجلت الحركة الأصولية الانجيلية هذا الموضوع إلى حين اكتمال نبوءات التوراة بقيام مملكة الألف عام السعيدة، وصارت أكثر التزاما بتوفير جهودها لتحقيق شرعية الدولة اليهودية، وحقها فى أرض اسرائيل التوراتية بما فيها الضفة الغربية. وفى هذا الاطار تشكلت المنظمات الإنجيلية الاصولية (الصهيونية) الممالئة لاسرائيل، وفى مقدمة تلك المنظمات، الاغلبية الأخلاقية. ويعتبر رئيسها القس جيرى فالويل.. أن الوقوف ضد اسرائيل هو اعتراض على الله.. وأن دعم أمريكا لاسرائيل يمنح أمريكا مباركة الرب.. وأعلن عن

صـهـويـيـتـه بقـوله: (إننـى صـهـيـونى وإيمـانى بـأن أرض فلسطين والأردن هـى للشـعب الاسرائيلى)(٥٢).

استهلاك الإعلام المسيحى فى أمريكا(*)

خلال الشهر الماضى	نعم
هل قرأت مجلة مسيحية	٣٧٪
هل قرأت كتابا مسيحيًا غير الكتاب المقدس	٣٤٪
هل استمعت لموعظة مسحية فى الإذاعة	٣٩٪
هل استمعت لمحطة إذاعية كانت تذيع موسيقى مسيحية	٤٥٪
هل شاهدت برنامجًا تليفزيونيا دينيا	٤٩٪

(*) المصدر: Barna Research, 1992

الدوريات المسيحية(*)

المسيحية اليوم	Christianity Today
العالم	World
المقيمون	Sojourners
الأشياء الأولى	First Thing
تاريخ المسيحية	Christian History
الأبوة المسيحية	Christian Parentage
حياة الطلاب	Campus Life
المختار الكاثوليكى	Catholic Digest
قوة الصغار	Tean Power
الأكليروس	Clergy Journal
أطياف الرياضة	Sports Spectrum

(*) المصدر: Barna Research

برامج الكنائس المرئية حسب عدد المشاهدين(*)

البرنامج	مقدمه	عدد المشاهدين شهريًا بالمليون
نادى السبعمائة	بات روبرتسون	١٦,٣
الحملة الصليبية الأسبوعية	جيمى سواجرت	٩,٥٥
ساعة من القوة	روبرت شيللر	٧,٦٤٢
مجِّدوا الرب	جيم باكير	٥,٧٧٤
توقّع معجزة	أورال روبرتس	٥,٧٧٤
ساعة من إنجيل زمان	جيرى فالويل	٥,٦٠٤
كينيث كوبلاند	كينيث كوبلاند	٤,٩٢٥
دراسة فى الكلمة	جيمى سواجرت	٤,٥٨٥

(*) المصدر :

David W. Clark ,Religious Television Audience, The Scientific Study Of Religion

وتقود المنظمة حملات لدفع السياسيين الأمريكيين لمناصرة اسرائيل، مثل السيناتور جيسى هيلمز والرئيس ريجان، بالإضافة الى تنظيم رحلات لإسرائيل. ودافعت المنظمة عن إسرائيل بعد ضرب المفاعل النووى العراقى ١٩٨١، ومجازر صبرا وشاتيلا ١٩٨٢، كما قادت (الأغلبية الاخلاقية) المنظمات الإنجيلية الأصولية الأخرى ضد شراء المملكة العربية السعودية أسلحة أمريكية عام ١٩٨١، ولاجتذاب تأييد الرأى العام والكونجرس لنقل سفارة الولايات المتحدة من تل أبيب إلى القدس(٥٣).

أما القس بات روبرتسون، مؤسس (الائتلاف المسيحى) فقد أعرب عن صهيونية بقوله: نعرف نحن المسيحيين من حميم قلوبنا ان الله يقف بجانب اسرائيل وليس بجانب العرب الارهابيين. وقد أيد روبرتسون، غزو بيروت ١٩٨٢، وضرب ليبيا١٩٨٦ والعراق ١٩٩١، وشارك فى عملية تهجير يهود إثيوبيا (الفلاشا) الى اسرائيل.

ومن تلك المنظمات الانجيلية أيضاً، (مؤسسة جبل المعبد)، التى تركز هدفها على بناء المعبد الاسرائيلى، فخلال الحرب الباردة سعى الأصوليون الإنجيليون إلى عسكرة الصراع مع الشيوعية، وعارضوا التجميد النووى خلال حكم الرئيس ريجان، وحشدت منظمة الأغلبية الأخلاقية، اليمين المسيحى، تحت لافتة (الحملة الصليبية ضد التجميد النووى). ووزع فالويل رئيس المنظمة نشرة تحت عنوان : الحرب النووية وعودة المسيح، تربط الحرب النووية مع الاتحاد السوفيتى بالمجىء الثانى للمسيح. كما ساندت الأصولية الإنجيلية انقلاب ريوس مونت فى جواتيمالا (بعد اعتناقه البروتستانتية)، وشاركت فى فضيحة

إيران- كونترا، واسقاط حكومة ساندينستا. وفى السلفادور قادت المنظمات الإنجيلية الأمريكية تظاهرات وحملات دعائية لتأييد النظام الحاكم. وفى الفلبين نظمت تلك المنظمات بعثات تبشيرية بعد انتخاب كورازون أكينو. وفى جنوب افريقيا، شارك الإنجيليون الأمريكيون نظراءهم هناك فى حملات دعاية مضادة للمؤتمر الوطنى الأفريقى. ويبث الإنجيليون القناة التبشيرية المسماة (نجمة الأمل) من المنطقة، التى سيطر عليها الرائد سعد حداد، ومن بعده أنطوان لحد، المتعاونان مع اسرائيل فى جنوب لبنان.

والآن تقود الأصولية الإنجيلية حملة صليبية عالمية، تحت ستار حماية المسيحيين المضطدين فى روسيا والصين والدول الإسلامية، وتهدد بصدام الحضارات.



الرئيس نيكسون مع القس بيلى جراهام فى حملة انتخابية.. القس بات روبرتسون مؤسس الائتلاف المسيحى والخلفية صورة متخيلة للبيت الأبيض مزدانا بالصليب، بعد سيطرة اليمين المسيحى على الكونجرس

الفصل الرابع

الجنس فى أمريكا

يا مارتن لوثر ومالكولم إكس: حرية التعبير رائعة مثل الجنس.

مادونا

الجنس هو أقصى تعبير عن الحلم الأمريكى فى الحرية والتحرر والحراك.. ويرى الأمريكيون فى الجنس إمكانية كبرى للانعتاق الفردى وموردا لا ينضب للمتعة والتجدد فى المجتمع

المسح الوطنى للصحة والحياة الاجتماعية ١٩٩٤

حرية الجنس فعل تمرد ضد المجتمع الذى يوظف لذة الجنس.. ولكن الرأسمالية حولت الجنس إلى بضاعة.

هربرت ماركيوز

(أ) الجنس والديمقراطية والرأسمالية

يقول أندريه بيجين إن الديمقراطية الجنسوية هى الحالة التى يتسم بها مجتمع بين غيره من المجتمعات بالسمات التالية:

أولاً: حكم العقل: أى أن الاتجاهات الذهنية والعادات ينبغى أن تكون محكومة بالعقل، وبالتالى فإن العلاقات الجنسوية يجب أن تكون محسوبة أو مخططة، فالتكلفة والعائد فى العلاقة الجنسية، لابد أن يكونا محسوبين، بالأخذ فى الاعتبار الحساب- التخطيط، قبل الإنجاب، دون ترك الأمور لتفرضها الظروف أو العادات أو اللاوعى.

ثانياً: تسييس الجنس من خلال الرأى العام فى علاقته بالخصوصية، فالحياة الخاصة هى نتاج نظام عقلانى، يشكل -جزئيا- ما يطلق عليها «سياسة الجنس»، ولذلك فإن الحياة الخاصة للأفراد، تتحول لأن تكون أكثر خصوصية وأكثر عمومية وموضوعا لرأى عام مستنير بقدر ما هى خاصة جداً، فالتعرض لضغوط الدولة والكنيسة، وكذلك لضغوط الآباء والأبناء والجيران، يجعل من العلاقات الخاصة موضوعا عاما ينتقل إلى حيز أوسع فى المجتمع ليصبح (موضوعاً سياسياً) فى إطار (تسييس الجنس).

ثالثاً: المساواة فى الحقوق، بمعنى التساوى فى حقوق الرجال والنساء فى الجنس.. وفى ذلك تطبيق للمادة الأولى من وثيقة إعلان الحقوق فى أمريكا، التى تنص على أن الرجال والنساء يخلقون أحرارا ويظلون متساوين فى الحقوق الطبيعية المقدمة وغير المنقوصة، ويصبح الحق هنا هو «السعادة الجنسية للجميع».

رابعاً: الإمكانية القصوى لحرية التعبير، ويمثل الأمر هنا حرية التعبير فى المسائل الجنسوية، وفى ذلك تطبيق للمادة الحادية عشرة، من (إعلان الحقوق) التى تنص على حق التعبير بالقول، وهنا يصبح الحق هو حق التعبير الجنسوى كأحد أهم الحقوق الطبيعية.

خامساً: حرية الممارسة فى ظل اعتبارات العقلانية والسياسية، أى الحق فى أقصى إمكانية للممارسة الجنسوية، اتفاقا مع المادة الرابعة من اعلان الحقوق التى تسمح بأى فعل لا يؤذى الآخرين.

سادساً: التسامح الجنسوى، بمعنى قبول فكرة أن الآخرين من حقهم أن يكونوا أحرارا فى ممارسة الحرية المسموح لهم بها، فى مجال التفكير والفعل فيما يخص الجنس.

غير أن عملية الديمقراطية الجنسوية لا تخلو من التناقضات، ففى حين أن الديمقراطية الجنسوية تطور تكنولوچيا فردية لممارسة أقصى حد من الحرية والمساواة فى الجنس، إلا أنها تطور -أيضًا- تكنولوچيا السلطة من منطلقات المحافظة على الصحة العامة (خصوصًا بعد ظهور مرض الايدز) أو ضبط النسل.. والسلطة هنا ليست مجرد جهاز الدولة، أو المؤسسات والقوانين الرسمية فقط، أو الطبقة المسيطرة دون غيرها، وإنما هى علاقات القوى فى المجتمع، التى تعكس كل تلك الظواهر.

وكما يقول الفيلسوف الفرنسى ميشيل فوكو، فإن السلطة فى تنظيمها لعلاقات القوى فى المجتمع، لعبت دورًا كبيرًا فى خلق سياسات وتكنولوچيا لتنظيم عمليات الجسم واستثمارها بطريقة موضوعية كجزء من القوى الانتاجية الضرورية لبناء المجتمع العقلانى الحديث، كما أن السلطة فى تنظيمها للعلاقات الجنسوية، أنتجت (معرفة جنسوية) تميز بها الغرب عن الشرق الذى لم يعرف غير فنون للجنس، وإن كانت (المعرفة الجنسوية) فى الغرب قد ولدت فنا للجنس مرتبطا بها يعرفه فوكو بأنه «لذة معرفة الحقائق الخاصة باللذة والجنس»، ومما يتعارض مع فكرة النظرة القمعية التى تقوم على منظور طبيعى خاطئ، ألا وهو اعتقاد دعاتها أن دفعات الجنس ليست إلا نوعا من الطاقة الغريزية الوحشية الصاعدة دوما من أسفل، ويعد طقس الاعتراف إحدى التكنولوچيات المهمة التى وفرها الدين المسيحى لتنظيمات الدولة ومؤسساتها لرسم سياسة خاصة بالسكان والصحة، والانحراف والشذوذ.

وابتداء من القرن السابع عشر، بعد حركة الإصلاح البروتستانتى، انفصل طقس الاعتراف عن التوبة، ليصبح وسيلة من وسائل انتاج المعرفة الجنسوية عن طرائق الجنس ومظاهر الانحراف والشذوذ.. وقد طور المجتمع الرأسمالى (الحديث) أنواعا شتى من التكنولوچيات لاستقصاء حقيقة الجنس، وتنظيمه، حتى أصبح (الجنس) المحدد للذات الغربية، كما يقول فوكو.

إن فوكو يربط السلطة بالجنس، باعتبار أن الجنس مجال تنفذ منه السلطة للتأثير على حركة المجتمع والفرد، بالإضافة إلى العلاقة بين الجنس والأخلاق، وهى العلاقة التى دفعت كثيرًا من المجتمعات القديمة إلى إضفاء القدسية على ممارسة الجنس لتصبح علاقة بين الفرد والمجتمع.

وبمعنى آخر، فإن الجنس -عند فوكو- مجال تمارس فيه تكنولوچيا السلطة للسيطرة على الأجسام وعلى الطاقات والأحاسيس المتولدة عنها، كما تمارس فيه التكنولوچيا الذاتية، التى يتعرف الأفراد فى الغرب من خلالها على أنفسهم ككنوات جنسوية، بما يرسمه الجنس من أفق خيالى ينتج المعانى والدلالات التى تشكل ذاتية الفرد الغربى، لدرجة أنه (الفرد الغربى) لم يعد يرى حقيقته فى خلاص روحه ونجاتها، وإنما فى معمعة الغريزة.

فيلاحظ فوكو، فى تتبعه لما يمكن تسميته تاريخ الجنس، نوعا من التشدد الدينى والروحى الظاهر فى قلب المجتمع الكاثوليكى، إذ لجأت الكنيسة الكاثوليكية فى مواجهة المد البروتستانتى، إلى إحياء كثير من التحريمات والنواهى الأساسية فى الدين والمرتبطة بالجنس، وكانت طقوس شعائر التوبة والغفران بالإضافة إلى طقس الاعتراف، الذى أصبح يشمل الرعية إلى جانب رجال الدين بمثابة تكنولوجيا ضابطة للسلوك الأخلاقى وقمعية للانحراف الجنسوى، إلا أنها أنتجت معارف جنسوية عن النفس البشرية، وما تتعرض له من فنون الغواية والرغبة والشهوة. وفى القرن الثامن عشر، أصبحت للسلطة تكنولوجياتها الجنسوية، ليس من منظور الخطيئة، وإنما من منظور الاقتصاد السياسى، باعتبار السكان والصحة والحياة الجنسية قضايا عامة تخص الثروة القومية وقوة المجتمع والدولة.

ومقابل بتكنولوجيا السلطة التى تفرض على الفرد لتشكيله وتحدد طرق الذات وفق معايير السوية. كما يراها المجتمع - تظل للفرد (تكنولوجيات الذات)، من أجل الحرية التى تتحقق من خلالها عملية التنوع أو التفرد الإنسانى.

ويعنى فوكو بتنكولوجيا السلطة، المباشرة منها التى تستخدم لتطويع الجسم واخضاعه لضرورات العمل والإنتاج. بالإضافة إلى التكنولوجيات غير المباشرة (التعليمية والتربوية أو الأيديولوجية). التى تعمل بطريق غير مباشر. ومن خلال مؤسسات خاضعة لاستراتيجية السلطة تعمل على تطويع دخيلة الفرد وعلى صبها فى قنوات واتجاهات تتلاءم ولا تتصادم مع المصالح السائدة، وفى مجال بين ضغط تنكولوجيا السلطة ومقاومة تكنولوجيات الذات، تصبح الحرية الجنسوية حقيقية يسعى إليها الإنسان (الغربى)، دوما تحقيقا لذاته وتأكيدا لكيانه فى المجتمع الرأسمالى (الحديث).

ولكن المجتمع الرأسمالى (الحديث)، وكما يقول هربرت ماركيوز، سيجعل من الحرية الجنسوية قيمة بضاعية وعرفا اجتماعيا.

فالجسد، أصبح يعرض صفاته الجنسوية، فى الوقت الذى هو فيه أداة عمل أيضا. فالملابس الجذابة وأدوات التجميل والصحة العامة أصبحت فى متناول الجميع وصناعة الدعاية والإعلان تعرضها على الجميع.

ويضيف ماركيوز: أن موظفات المكاتب الحسناوات والبائعات الفاتنات والمدراء الشبان، والذكوريين، هم بضائع لها قيمة تجارية كبيرة. أما صحبة عشيقة ظريفة محببة، وهى الصحبة التى كانت وقفاً على الملوك والأمراء واللوردات، فإنها تسهل التقدم فى عالم الأعمال.

وهكذا فإن الجنس قد اندمج بالعلاقات العامة والعمل.

ولكن تحول الجنس إلى بضاعة ارتبط فى المجتمع الرأسمالى بترويض الليبدو (الطاقة الشهوانية الجنسية)،لحماية النظام، لينتهى إلى (جنس وضيع)، أو (جنس وظيفى).

وفى الحق أن ماركيوز، أقرب فى تحليله إلى تحليل ماركس، الذى رأى أن الرأسمالية عندما تحرر عمالها، فإن تحررهم من أجل استغلالهم فى أشكال جديدة.

فعند ماركيوز أن الرأسمالية وسعت حدود الحرية الجنسوية، لتجعل من الجنس قيمة (بضاعية)، مع ترويض(الليبدو)، فى إطار (الثقافة الاستهلاكية)، المسيطرة على المجتمع الرأسمالى المتأخر.

ومقابل المجتمع الرأسمالى (الاستهلاكى). يتحدث الفيلسوفان جيل دولوز وفيلكس جوتارى عن المجتمع الرأسمالى (الحديث).

فالرأسمالية قد فككت كل الجماعات والتحالفات ما قبل الحديثة، وحطمت كل القيود أمام التوسع الاقتصادى بلا حدود. إذ حطمت النظام الاقطاعى من أجل حرية التبادل والإنتاج، وأحلت محل الملكيات الاقطاعية الملكية الخاصة، كما وسعت الرأسمالية علاقات السوق فى كل مكان وخلقت تقسيما للعمل نتجت عنه ذاتية فردية وتشطٍ اجتماعى إنسانى.

وبمعنى آخر، فإن الرأسمالية تطيح بكل النظم والقيم والهياكل التقليدية، التى تعوق الإنتاج والتبادل والرغبة، لكنها تعيد تشكيلها، فى إطار قيمة التبادل وتعددها فى إطار الدولة والعائلة والمنطق البضاعى والنظام المصرفى والقيمة الاستهلاكية. كما تعيد تصريف الرغبة والحاجات فى قنوات فردية واجتماعية، ويمكن من خلالها السيطرة عليها بفاعلية أكبر مما هى عليه فى المجتمعات ما قبل الحديثة.

وبالنسبة لدولوز وجوتارى، فإن المجتمع الرأسمالى الحديث مجتمع (أوديبى)، نسبة إلى أوديب ملك طيبة، الذى قتل أباه من أجل أن يتزوج بأمه، أى مجتمع لديه (عقدة أوديب)، بمفهوم فرويد.مجتمع فصامى يطلق الرغبة الفردية (نحو الأم). ويضع قيودا نظامية أمامها (وجود الأب). وهذه الفصامية (الشيزوفرينيا)، هى موضوع النقد ما بعد الحداثى والثورة ضد الأوديبية ANTI OEDIpus أى ضد الرأسمالية والشيزوفرينيا[٤].

(٢) مس أمريكا.. ولذة الجماع

لذة الجماع مقياس للتعافى، ولذلك فإنها من المصادر المهمة للسعادة. وفى مجتمع يتطلع لسعادة كل أفراده يصبح للفرد فيه حق السعادة. والحق فى أن يصبح الفرد سعيدا .هو بالتالى حق فى لذة الجماع. وهو حق تحوطه قيود الموت ـ الدين، والسلطة والطرف الآخر فى الجماع.

وإذا كانت لذة الجماع مرتبطة بالانجاب فى أخلاقيات الكنيسة ولدى السلطة ـ الدولة، فإن هربرت ماركيوز سيطرح الحرية الجنسوية فى إطار التمرد على الكنيسة والدولة.

فالكنيسة والدولة فى المجتمع الرأسمالى تخضعان لذة الجماع لوظيفة اقتصادية، أى الانجاب لتوفير قوة العمل اللازمة للتوسع الرأسمالى.

إن ماركيوز يجعل من الحرية الجنسوية تمردا ضد المجتمع، الذى يوظف لذة الجنس من أجل هدف نافع، فى حين أنها هدف فى حد ذاتها.

غير أن الرأسمالية ستتكيف مع الحرية الجنسوية. كما قال ماركيوز، بتحويل الجنس إلى سلعة، فالإعلانات «الايروسية» والثقافة الشعبية خلقت من الجنس معطى استهلاكيا إلى جانب سلع وخدمات الترفيه(٥).

إلا أن تتجير الجنس (أى تحوله إلى تجارة)، فى ظل التوسع الرأسمالى، كما قال ماركيوز، أدى إلى (ابتذال)، الحب الجنسوى، بترويج صور وأنماط مصطنعة غير حقيقية من أجل الاستهلاك الجماهيرى. مثلما يحدث فى الفن التشكيلى، عندما يجرى ترويج النسخ المصطنعة، من أعمال فان جوخ أو بيكاسو أو دافنشى فتفقد احساسها وروعتها(٦).

ومثل ماركيوز، كتب أستاذ الأدب نورمان أو براون، عن الحاجة العاجلة لإحياء الجسد من أجل تجاوز المجتمع الذى يدمر ذاته بأعباء القهرالجنسوى والقمع الخارج عن السيطرة. وقال فى كتابه «الحياة ضد الموت» إن«إحياء الجسد» مشروع اجتماعى يقع على عاتق الإنسانية، وسوف يصبح قضية سياسية واقعية، عندما يدعو الحكام فى العالم إلى نشر السعادة بدلا من السلطة، وعندما يصبح الاقتصاد السياسى علم القيمة الاستعمالية وليس القيم المتبادلة. علم «التمتع» وليس علم التراكم(٧). لقد كان ماركيوز وبراون ومعهما رايت مليز عالم الاجتماع وفيلسوف الفوضوية بول جودمان فى طليعة الثورة الجنسوية التى اجتاحت أمريكا فى الستينيات. تلك الثورة االجنسوية تزامنت مع حركة الحقوق المدنية بقيادة مارتن لوثر كينج ومعارضة حرب فيتنام، وارتبطت بموسيقى البوب والروك، والسياسة والمخدرات. وفى تلك الأثناء قاد أستاذ هارفارد السابق ثيموتى ليرى، حركة

أطلق عليها اسم «تحت الأرض»، ضمت الكُتاب والفنانين وحرضت مطبوعاتها ضد النفاق. وسلطة الدولة وتحرشات البوليس والحروب والأسلحة واحتفلت بالجنس والمخدرات، والموسيقى والسياسة والإبداع، وانتجت تلك الحركة ثقافة احتجاجية (مضادة)، من خلال معارض الفن التشكيلي وحفلات الموسيقى والحملات فى المناطق الريفية والحضرية، واتحادات العمال والمتاجر. ومثلت الحركة ملاذا للاحتجاج على العائلة والعمل والوظائف وقهر السلطة، وفى حين أن ماركيوز، لم يكن يرضيه هو ومثقفو اليسار الجديد أن تكون حركة "تحت الأرض" أصبحت فيما بعد الهيبز. فردية ثقافية. فقط ولكن اليسار الجديد، رضاه من حركة «الهيبيز»، أنها أطلقت العنان للحرية الذهنية والجنسوية، ومثلت إشباعا للشباب فى مجالات الحب والجسد والشبقية، وشجعت على الاهتمام بالذاتية إلى جانب التمرد والغضب و تهديد القيم المحافظة، مثلما قال آلان جينسبرج. بل إن ريتشارد نيفيل، اعتبر أن (هزة الجماع)، فى حد ذاتها أمر طيب، وكلما كثرت كان الأمر أحسن. كما قال[٨] ووعد قيادى آخر فى حركة (تحت الأرض)، هو ديفيد كوبر بالعودة بالحالة الجنسوية إلى عصر البرارى[٩]، أما مارجريت درابل. فقد اعتبرت أن المرأة وقتئذ (١٩٦٩)، وصلت إلى درجة من الحرية لم تبلغها من قبل. وكان درس الستينيات للتيار العام، الثقافى والسياسى،أن الجنس قوة فاعلة لها قدرة كبرى على إعادة تشكيل العلاقات الإنسانية فى المجتمع، وذلك ما أثبتته الحركة التحررية الجنسوية. بيد أنه مع بداية السبعينيات جرى وصف الحركة التحررية الجنسوية فى الستينيات، بأنها كانت حركة ذكورية، حتى وصف عقد الستينيات بأنه كان عقد الرجال، مثلما قالت جانيس، إحدى قيادات الحركة النسوية، غير أن تأثير الحركة التحررية الجنسوية على النساء كان كبيرا، ـ تدربن على التنظيم والنظام والحركة وفى السبعينيات، أصبحن يقولون للرجال: لا، وبدعن التفكير فى (الذاتية النسوية)، وفى (لذة الجماع)، ليرفضن سيطرة الرجل ولترفض بعضهن (الجماع مع الرجل).

وفى المؤتمر الوطنى الأول لتحرير المرأة، تطلق آن كودت، مقولة «اسطورة لذة الجماع»، وتناقش عضوات المؤتمر، تقنيات أخرى للوصول إلى اللذة، دون الجماع أى لذة النظر ولذة السحاق. وكان الهدف رفض اسطورة الاعتماد على الرجل.

وبمعنى آخر، فإن الحركة النسوية الأمريكية (الردايكالية)، فى السبعينيات، استبدلت (لذة الجماع)، بما يسمى (اللذة الأنثوية)، كما استبدلت (حب الرجال)،بحب النساء لذواتهن. وفى الحقيقة أن تكنولوجيات (تقنيات)، الذات التى ابتكرتها الحركة النسوية فى مواجهة الرجال، انعكست بالايجاب على علاقة المرأة بالرجل، وبالتالى فى (لذة الجماع)، فالمرأة أصبحت أكثر ثقة بنفسها، وأعلى قدرة على التواصل مع الرجل، والانفتاح له، بما عبر تكنولوجيات (لذة الجماع).

وبينما دفعت الحركة النسوية إلى «تسييس»، كل ما يرتبط بالجنس والانجاب، فإن (جنسوية) المرأة ظلت قضية إشكالية. لقد أصبح (الشخصى) فى علاقة المرأة بالرجل سياسيا، من خلال الرأى العام والنظام السياسى، وتحول (الخاص)، فى تلك العلاقة إلى (العمومية)، لأن كل ما تفعله أوتحسه المرأة أصبح عملا من أجل تحرير المرأة.

فخلال السبعينيات، كتبت مقالات وقصائد شعر وروايات، فى إطارمعركة المرأة مع الرجل من أجل حريتها ، وفى عام ١٩٨٧ ، كتبت تيناريد تقول:

إنه يعتقد أنه يجامعنى فعلا، وأننا نتحدث كلانا للآخر

ولكنه لا يمكنه أن يصغى إلى جسدى كما أنه لا يسمعنى

إنه يعتقد أنه يقدرنى ولكنه لا ينظر إلىّ

إنه يتحسسنى ولكنه لا يستطيع أن يحس بشىء.

لقد أعتبرت الحركة النسوية أن الحرية من الرجل هى حرية ضد الرجل، وأن التحول من (لذة الجماع)، إلى (اللذة النظرية)، أى اللذة الأنثوية، تحول من أجل ذاتية المرأة واستقلالها.

ولكن ماذا عن الحب للمرأة كذات مستقلة؟

الجواب أن عددا من الناشطات فى الحركة النسوية، اعتبر الحب عقبة فى طريق ما تعتبره المرأة مثالا للحرية والمساواة والذاتية النسوية، وأنه فخ لإبقاء المرأة تابعة للرجل. وتقييد المرأة بغرائز مدمرة مثل التملك والغيرة. ولذلك كان (مانفستو)، الحركة النسوية الجديدة فى أمريكا يعلن أننا يجب أن ندمر الحب.. لماذا؟ لأن الحب يزيد القابلية للاختراق والهشاشية والتبعية والتملك والألم، ويمنع التطور الكامل للمرأة بتوجيه كل طاقاتها لمصلحة الآخر.

وفى الحقيقة، أن فريقا من الحركة النسوية الجديدة قدر عليه أن يعيش تناقضا بين المثال والواقع،أى بين مثال الحركة فى تدمير الحب، وبالتالى الرجل، وواقع حب الرجل، و(لذة الجماع).

فها هى سوكوبر، قد اختارت أن تكون الأم دون زوج، وتطلق طاقتها الجنسوية فى علاقات عابرة مع الرجال، أو كما قالت إن تعبر عن حريتها فى الدخول مع الشباب حسب شروطها هى[١٢].

أما أليس سمبسون، فقد اعترفت بأنها خلال ١٥ عاما داخل الحركة النسوية، عاشت منها ٦ أشهر فقط كامرأة مستقلة، وفى أثناء بقية تلك السنوات دخلت فى أربع علاقات حب طويلة مع أربعة رجال إلى جانب علاقة أخرى عابرة.

وكان الفريق الثالث فى الحركة النسوية (الأكثر جذرية)، هو فريق الماكداوركنية، الذى ظهر فى أواخر السبعينيات، على يد قيادتين من الحركة النسوية هما كاترين ماكنون وأندريا داوركن ويعتبر فريق ماكنون - داوركن (الماكداوركنية)، أن العلاقة الجنسية (لذة الجماع)، هى استمرار للحرب بين الرجل والمرأة لكن بوسائل أخرى، فما يجمع بين الرجل والمرأة علاقة حب ولا علاقة رغبة بل علاقة عداء متبادل واستبعاد للآخر، كما أن كل فعل جنسوى. هو اغتصاب، وكل رجل هو مغتصب على أهبة الاستعداد والجماع هو طريق الذكر إلى استعمال الأنثى، كما تقول أندريا دوركن إحدى رموز النسوية الأمريكية الجديدة. وفى كتابها (الحرب ضد المرأة)، تتحدث مارلين فرنش عن «حرب ثقافية ضد النساء»، وتعتبر أن الفنانين هم أكثر الرجال كراهية للمرأة بل أكثر عداءً، لأنهم من خلال اللوحة يتملكون جسد المرأة ثم يعرضونه للبيع، وتضيف أن هناك (حلفا غير مقدس)، جمع بين بيكاسو ورينوار ودوجا فى التعامل مع جسد المرأة بين كراهية بيكاسو، السافرة، وعاطفية رينوار الكاذبة، وترفع دوجا الوهمى.

وتقول سوزان ماكلارى - أستاذ فن الموسيقى فى جامعة مينسوتا - إن السيمفونية التاسعة لبيتهوفن، هى مشهد صوتى مكثف لعملية عدوان ذكورى وأصم ضد الجسد الرمزى للمرأة.

وفى كتابها عن «الرجال و النساء والاغتصاب»، تروى سوزان برونميللر إحدى رائدات النسوية الأمريكية الجديدة، كيف أنها تلقت تدريبات لتتعلم كيف تقاتل وتخيف الرجال.

وتقول كاترين ماكنون فى كتابها «البورنوجرافيا: رجال يتملكون النساء» إن عضو الذكر يسبب الآلام، ولكن الألم يثير المتعة.. والجماع مع الرجل يصبح عملا ساديا، لأن عضو الرجل أداة للألم والمتعة.

وتشبه كاترين ماكنون الجماع مع الرجل بعملية اغتصاب للمرأة، والفارق الوحيد أن الجماع يحدث دوما دون أن تستطيع المرأة أن تأتى بأحد ليشهد بأنه اغتصاب.

وفى هذا السياق تقول آدريا داوركن:

«العنف هو الرجل، والرجل هو عضوه الذكرى، وما يفعله العضو الذكرى يفعله بالعنف، لكى يبدو للرجل أنه رجل».

وتقول فى كتابها (رسائل من منطقة الحرب).

«من أجل المتعة فإن الرجال يغتصبوننا أو يستقدمون رجالا آخرين وحيوانات أحيانا لاغتصابنا وتصوير المغتصبات وعرضهن فى أفلام وفى مجلات».

بيد أن الفريق الذى انشق على الحركة النسوية الأمريكية فى السبعينيات، ودخل فى مواجهة معها هو فريق الليزبيانية Lesbianism (السحاقية)، حيث لم يعد الأمر، بعد التعديل الدستورى الذى اطلق عليه تعديل الحقوق المتساوية، هو تساوى المرأة بالرجل وتمتعها بحق الاجهاض ومنع الحمل. كما أن قضية هذا الفريق لم تعد حب الرجل ولذة الجماع، ولكن أصبحت الرسالة حب المرأة للمرأة، ولذة المرأة بالمرأة.

وفى البيان العام لفريق الليزبيانية عام ١٩٧٠، الذى افتتح به العمل العام ورد:«أن المرأة هى مفتاح المرأة، وأن الليزبيانية تعطى المرأة ذاتيتها المستقلة»، وسرعان ما أصبح لليزبيانية متحدثها الرسمى الروائية ريتاى ماى، التى قالت: إن المرأة عندما تحب وتدعم الرجل قبل أن تعطى الحب والدعم للمرأة فإنها تؤيد ثقافة سيطرة الرجل.

غير أنه فى غمار الحركة السياسية من أجل ذاتية المرأة، كانت الليزبيانية للمرأة اكتشافا جديدا لجسدها، ولتميز اللذة الأنثوية عن لذة الجماع، فحب المرأة ولذة المرأة، كان معناهما - بالمقارنة مع لذة الجماع بين المرأة والرجل - اختفاء حب التملك والسيطرة والغيرة والعنف وإعلان قيمة التساوى والتشارك.

وفى وصف لمشهد مع رفيقتها، وأختها، تقول الروائية الأمريكية أليكس كاتز شولمان. «أخذتنى بين ذراعيها.. وعندما تواصلت قبلاتنا، نسيت أشياء كثيرة. نسيت السيطرة والخضوع..الجنى والفقدان..التكتم والانكشاف.. الحماية والتضحية.. وأغرقت نفسى فى جسد معشوق وثير أشعل ما بداخلى، وتمرغنا معا».

(٣) حالة الجنس فى أمريكا

خلال فترة المستعمرات الأمريكية، قبل الاتحاد الفيدرالى، كان المجتمع الأمريكى أكثر محافظة من إنجلترا، إلا أنه فى الوقت ذاته كان أقل ميلا للتجريم، والعقاب فيما يخص السلوك والجنس إذ إنه بخلاف إنجلترا، لم تكن المستعمرات الأمريكية، خلال القرن الثامن عشر تعرف عقوبة الإعدام ضد ممارسى (اللواط)، بل كانت توقع بهم عقوبة الغرامة المالية، ونادرا ما كانت تنفذ العقوبات بحق ممارسى الخيانة الزوجية والبغاء والشذوذ الجنسى.

وبالرغم من تواضع عدد النساء، مقارنة بعدد الرجال خلال فترة استعمار أمريكا، لم يعرف المجتمع الأمريكى وقتئذ شيوع ظاهرة البغاء والشذوذ الجنسى[١٨].

وقد فسرت «المحافظة»، فى السلوك الجنسى فى المستعمرات الأمريكية، حتى أوائل القرن التاسع عشر، بالالتزام الدينى للمستوطنين الأوائل من البيوريتان (المتطهرين)، وبأن التحررية فى السلوك الجنسى مرتبطة بانتقال المجتمع إلى مرحلة الحضرية (الانتقال إلى المدن)، والتصنيع، وهى المرحلة التى كان المجتمع الأمريكى مازال فى بدايتها. ولذلك، عندما تزايدت التحررية فى السلوك الجنسى، بعد الحرب الأهلية فى ستينيات القرن التاسع عشر، ظهرت حملة دينية تطهرية لمحاربة فنون (العرى)، والاجهاض ومنع الحمل، والبغاء. وأدت تلك الحملة إلى صدور قوانين على المستوى الفيدرالى ومستوى الولايات،مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، لتحريم الاجهاض ومنع الحمل والبغاء، إلا أن تلك الفترة ارتبطت أيضا بالشرارة الأولى للثورة الجنسوية مع ظهور وسائل منع الحمل[١٩].

ومنذ تلك المرحلة، استمر التنازع داخل المجتمع الأمريكى بين (التطهرية)، و(الجنسوية) أو بين (المحافظة)، و (التحرر الجنسوية)، ومع انجاز أمريكا للتحول إلى (المجتمع الصناعى)، أو (المجتمع الحضرى)، ظل التنازع بين المحافظة والتحرر الجنسوى، ودعم تيار التحرر الجنسوية، التعدد الاثنى والثقافى فى الولايات المتحدة، بما طور معارف وتقنيات وكيمياء جنسوية شكلت تحت هيمنة الثقافة الأنجلو أمريكية للبيض المسيطرين، جنسوية متعدية للأعراق والثقافات التى تعيش فى أمريكا، وهى «الجنسوية الأمريكية».

وساعد على تشكيل هذه «الجنسوية الأمريكية»، غياب كنيسة رسمية للدولة كاثوليكية أو بروتستانتية وغياب مذهب دينى محدد لدولة يخضع له الأفراد فى أخلاقياتهم وسلوكياتهم، بما أدى إلى ظهور دين أمريكى (بروتسنانتى - كاثوليكى - يهودى)، أقرب إلى روح أمريكا منه إلى اللاهوت، حتى أنه بات يعرف باسم «الدين المدنى»، ولذلك بدت (الجنسوية الأمريكية)، جنسوية متسامحة مع الجنس قبل الزواج، وخارج مؤسسة الزوجية، ومع

الإجهاض، ومع الجنس دون انجاب ومع الشذوذ الجنسى بل والزواج المثلى (بين ذكرين أو بين أنثيين).

وفى الوقت ذاته ومنذ الحرب الأهلية الأمريكية، استمرت الحملات الدينية التى ضمت الإنجيليين الأصوليين والكاثوليك واليهود والأرثوذكس، من أجل (الجنسوية المحافظة) ومع العفة قبل الزواج وضد الخيانة الزوجية وضد الاجهاض وتحديد النسل والشذوذ، وانضم إلى تلك الحملات، فيما بعد، اليمين السياسى المحافظ بدعوى الحفاظ على قيم العائلة الأمريكية، كما تأثر المجتمع الأمريكى خلال تلك الفترة بمؤثرات «العصر الفيكتورى»، فى بريطانيا والذى اتسم بالضبط الجنسوى والتحريم والنظر إلى معظم الأفعال الجنسوية باعتبارها (تابو).

إلا أنه بعد الحرب الأهلية، وبالرغم من تأثيرات الحملات الدينية، والمؤثرات الفيكتورية، ظهر واضحا أن المجتمع الأمريكى، فى توجهه العام يتجه نحو التحررية الجنسوية. وعلى سبيل المثال، فإن المجلس التشريعى لمدينة سانت لويس، لما شرع إباحة البغاء قانونيا عام ١٨٧٠، سرعان ما انتقل التشريع إلى الولايات المتحدة الأخرى، وشهدت تلك الفترة ظهور الكتابات الشهوانية (الإيرونسية) وانتشارها فى الخفاء.

وكان ظهور كتاب شارلز داروين، «أصل الإنسان»، عام ١٨٧١، فاتحة للدراسات البيولوجية والسيكولوجية الجنسوية، فكتب كرافت ابينج كتابه (السيكوباتية)، عام ١٨٨٦، وركز فيه على الأفعال الجنسوية التى اعتبرها غير عادية، مثل السادو ماشوسية، أى الفعل الجنسوى المرتبط بحصول اللذة من إيلام الطرف الآخر)، والشذوذ والفيتشية، أى تحصيل الإثارة الجنسوية من خلال الأشياء وليس الأشخاص، والممارسة الجنسوية مع الحيوانات ولذلك، اعتبر ايبنج مؤسس «علم الجنس».

وجاء سيجموند فرويد (١٨٥٦ ـ ١٩٣٩)، باعتباره عالم سيكولوجيا الجنس، من ناحية إعطاء «الجنسوية»، دورا مركزيا فى الوجود الإنسانى، فهو اعتبر «الجنس» القوة المحركة الأولى للسلوك الإنسانى، والسبب الرئيسى لكل حالات «العصاب»، ووصف الحالة الجنسوية للرضع والأطفال، وطور من ذلك نظرية عن التطور الجنسوى والسيكولوجى للإنسان. كما ابتدع مفاهيم ومواقف جديدة مرتبطة بالجنس، من أشهرها «عقدة أوديب»، بوصف الانجذاب الجنسوى للطفل تجاه أمه، والمرتبط بمشاعر مختلفة مثل الحب والكره والخوف تجاه والده. وكذلك مفهوم «الخوف من الخصاء»، لدى الأولاد، ومفهوم «اختفاء عضو الذكورة»، لدى البنات.. واعتبر فرويد أن تلك المواقف تعمل أولا فى العقل الباطن، وتنعكس فى السلوك الإنسانى.

وظهر بعد فرويد، العالِم البريطانى هافلوك إيليس (١٨٥٩ ـ ١٩١٠)، صاحب كتاب «دراسات فى سيكولوجيا الجَنس»، ليركز على الاختلاف الإنسانى فى الطبيعة الجنسوية.

وعبرت كتابات فرويد وإيليس الجنسوية، المحيط الأطلنطى إلى أمريكا، لتسهم فى التشكيل الجنسوى للمجتمع الأمريكى، فى ظل التغيرات الاجتماعية التى أعقبت الحرب العالمية الأولى.

فمع اتساع مجال حرية المرأة، اجتماعيا واقتصاديا، وشيوع استخدام السيارات، وعصر موسيقى «الجاز»، وانتشار التقاليع الجديدة فى الأزياء والرقص والأدب، تسارع الاتجاه التحررى الجنسوى، وانخرطت المرأة الأمريكية فى هذا الاتجاه. ونشرت كاترين ديفز استطلاعا عن الجنس فى حياة ٢٢٠٠ امرأة على حلقات فى الفترة ٢٢ ـ ١٩٢٧، ثم فى كتاب بعد ذلك وكتبت مارى ستوبس كتابها «دليل الأزواج»، كما كتب ثيو دور فإن دى فلد كتابه «الزواج المثالى»، لشرح تقنيات للجنس بين الزوجين، وعرض ممارسات جنسوية لتحصيل اللذة دون جماع.

وأصبحت هوليوود، التى لم تكن بعد قد تعدت صباها، قوة متعاظمة التأثير فى التحرر الجنسوى، فأصبح الأمريكيون يشاهدون ملكات جمال هوليوود يتعاملن مع الجنس بحرية ويتحولن إلى رموز للجاذبية الجنسوية.

ومن خلال. السوق أصبحت لوازم المرأة متوافرة خلال سنوات العشرينيات، من حمالات الصدر، إلى مناشق الحيض، إلى العطور ومستلزمات التجميل ووسائل منع الحمل، ومع التوسع الرأسمالى، دخلت المرأة سوق العمل والتى كانت تستوعب الصغيرات وغير المتزوجات الفقيرات، وكانت الثورة الجنسوية عندئذ ـ على بعد خطوة ـ لولا الكساد الكبير فى الثلاثينيات ثم اندلاع الحرب العالمية الثانية.

غير أنه بنهاية الحرب عام ١٩٤٥، عاد الرجال من ميادين الحرب إلى العمل و«البيزنس»، كما عادت المرأة من المصنع والسوق إلى البيت.. وشهدت أمريكا «طفرة الانجاب»، التى غيرت العادات الجنسوية للأمريكيين والأمريكيات.

فعندما نشر الفريد كينزى (١٨٩٤ ـ ١٩٥٦)، أبحاثه عن السلوكيات الجنسوية، لآلاف من الأمريكيين والأمريكيات البيض، بنهاية الأربعينيات وأوائل الخمسينيات، صدمت أمريكا سلوكياتهم الجنسوية. فبين الذكور أجاب ٨٣٪ منهم بأنهم عرفوا الجنس قبل الزواج و٥٠٪ من المتزوجين كانت لهم علاقات جنسوية خارج مؤسسة الزوجية، وأكثر من الثلث كانت لهم تجاربهم فى الشذوذ الجنسوى.

وبين النساء كانت نسبة ٥٠٪ منهن جربن الجنس قبل الزواج و ٢٥٪ كانت لهن علاقات جنسوية خارج مؤسسة الزوجية.

ولأن كينزى صدم أمريكا بحقيقتها الجنسوية، فقد تعرض للانتقاد والهجوم، إذا اعتبرت صحيفة «نيويورك تايمز»، (٣١ مارس ١٩٤٨)، أن كينزى تعامل مع الجنس على أساس أنه فعل غير شخصى وبلا معنى، واتهم رجال الدين كينزى بأنه لاأخلاقى وضد العائلة، ويميل إلى الشيوعية، كما طعن علماء فى منهجية أبحاثه وتشككوا فى نتائجها.

وأيا كانت درجة صحة الحقائق التى توصل إليها كينزى، فإنها كشفت المسكوت عنه، أى جوانب السلوكيات الجنسوية، التى لم يكن يفصح عنها الأمريكيون لاعتبارات أخلاقية. ولذلك اعتبرت مساهمة كينزى فى «الجنس» مثل مساهمة كولومبس فى «الجغرافيا»، لأنها اكتشفت المجهول فى «أرض الجنس»، كما أكدت الأخلاق الأمريكية اسطورة، كما قال صامويل وسينثيا جينس.

تقرير الحالة الجنسوية..

أى زائر للولايات المتحدة عندما يشاهد الأفلام السينمائية ويتصفح صحفها ومجلاتها، أو يتحول إلى برامج التليفزيون، أو يتجول فى الشوارع بين المكتبات ومحلات أشرطة الفيديو والأغانى، لابد أن يخرج بانطباع أن أمريكا يتملكها «حواذ الجنس».

يقول مؤلفو كتاب «الجنس فى أمريكا»، إن الجنس هو أقصى تعبير عن الحلم الأمريكى فى الحرية والتحرر والحراك، وأن الأمريكيين يتعاملون مع الجنس فى الحياة على أنه ما يؤخذ منها دون نقاش، ويسعون وراءه حتى لا يفوتهم، وينفتحون له حتى يمتلئوا به. ويرى الأمريكيون فى الجنس إمكانية كبرى للانعتاق الفردى ومورداً للمتعة والتجدد فى المجتمع.

وفى المخيال الجماعى للأمريكيين، فإن الجنس طاقة حيوية لا تحدها إلا قدرة الفرد، بل وكما تقول رو زان أرنولد، فإن الإنسان «كائن جنسوى»، ويعتقد الأمريكيون - كما يصور فيلم «امرأة جميلة»، - أن كل شىء ممكن مع الحب. وفى أغنيتها الشهيرة «الحب يمكن أن يحرك الجبال»، تقول سيلين ديون:

أى شىء نريده يمكن أن نفعله

لا شىء يعوق طريقنا

لا شىء يمنعنا من الإقلاع

من أن نكون فى قلب الليل

فى قلب الضوء

الحب يمكنه أن يحرك الجبال

ولأن الحب بجانبنا

فإنه يمكننا أن نطير ونلمس السماء

يمكننا عمل أى شىء والنفاذ لأى شىء

إن الحب يمكنه أن يحرك الجبال

ويعتقد الأمريكيون أن الزواج يمكن أن يكون ضروريا كمؤسسة اجتماعية، ولكنه يخمد الجنس. وأنك إذا كنت تريد الجنس فابتعد عن الزواج. ويقول الأمريكيون لأنفسهم إنهم يمارسون الجنس كثيرا، وإن من لا يمكنهم عمل ذلك محبطون أو تعساء.

وفى خيال الأمريكيين، أنهم يتميزون بالتنوع فى تجارب خارج مؤسسة الزوجية، وإن ١٠٠٪ منهم يمارسون الشذوذ الجنسى، حسبما قال كينزى فى كتابيه.

ولكن هل تغيرت صورة وسلوكيات الجنس فى أمريكا؟.

مع نهاية الخمسينيات وخلال الستينيات، عاش المجتمع الأمريكى ثورة فى السلوكيات الجنسوية، ارتبطت بانتشار أقراص منع الحمل، وحركة الاحتجاج بين الشباب والحركة النسوية، التحررية، وإشاعة حرية التعبير الجنسوى، فتناول الملايين من النساء أقراص منع الحمل، جعل الفصل بين الجنس والانجاب ممكنا وأزال المخاوف من ممارسة الجنس قبل الزواج، وسهل «الرفقة»، دون زواج (أى أن يعيش الرجل والمرأة معا دون زواج)، ومع التحرر الشبابى والنسوى فى ظل حرية التعبير، انتشرت المطبوعات والأفلام الجنسوية والمراقص، ونوادى التعرى (الاستربيتز)، والعروض الجنسوية (حتى فى مسارح برودى)، ودخلت القاموس الأمريكى تعبيرات جنسوية مثل، الزواج المفتوح (زواج مع الحرية)، والجنس الشفهى، والجنس باللسان، نادى الشواذ، نادى العزاب، رفيق أو رفيقة نهاية الأسبوع.

وفى تلك الأجواء، أصبح الجنس مطلوبا لذاته، أى، الجنس للجنس.. فالأمريكيون أصبحوا يمارسون الجنس لأنه «ممتع»، أو من الممكن أن يكون كذلك، ولأنه فن فيمكن الاستمتاع به ليلا بدلا من الفيلم والمسرحية.. وظهرت فى تلك الأثناء دراسة ماسترز آند جونسون، عن طرائق الجنس، كما يمارسه الأمريكيون بيولوجيا وسيكولوجيا، ثم كان صدور كتاب بهجة الجنس goy ofsex عام ١٩٧٢- والذى مازال يطبع حتى الآن - عن أوضاع اللقاء.

وشهدت السبعينيات صعود التحررية فى سلوكيات الجنس فى أمريكا، بفعل تأثيرات عديدة، منها انتشار المعاشرة دون زواج(بوى فريند وجيرل فريند)، وحكم المحكمة العليا عام ١٩٧٣، بإباحة الإجهاض، والتسامح مع الشذوذ الجنسى، بعد أن كان يعتبر

اضطرابا ذهنيا، وظهر اختراع أطفال الأنابيب عام ١٩٧٨، والذى أوجد فكرة «الأم البديلة»، وخلال الثمانينيات، تواصلت ثورة الجنس فى أمريكا، حتى صدمت الأنباء عن مرض «الإيدز»، ملايين الأمريكيين عام ١٩٨٤، ومع ندرة المعرفة، عن «الإيدز»، انتشرت التنبوءات المخيفة، وتضاربت التقديرات، إلا أن الإجماع انعقد على أن الشواذ جنسيا فى خطر، ولأن الاصابة بمرض «الإيدز»، تعنى ـ فى النهاية ـ الموت، شهد المجتمع الأمريكى تحولاً من التحررية الجنسوية إلى المحافظة الجنسوية، لدى قطاعات اعتبرت «الإيدز»، جزاءً للانحلال وعقابا إليها. ولكن المجتمع الأمريكى،لاعتقاده فى الجنس كرمز للحرية والسعادة الإنسانية، طور تقنيات جديدة من أجل «جنس»، صحى و«جنس آمن»، مثل استخدام الواقى الذكرى، وتحصيل اللذة الجنسوية بطرائق مختلفة غير الجماع مثل الجنس الشفهى واللسانى.

بل إن «الإيدز»، أوجد حركة سياسية،خصوصا بين الشواذ جنسيا، لإقناع الحكومة بزيادة التمويل المخصص للرعاية الصحية والبحث العلمى والتوعية العلاجية لمواجهة الإيدز.

ولكن ما الحالة الجنسوية فى أمريكا الآن؟.

بعد مرور ٤٠ عاما من صدور كتاب كينزى الثانى، أصدر صامويل وسينثيا جينس كتابهما «تقرير جينس عن السلوك الجنسوى»، (١٩٩٣)، والذى اعتبر أهم بحث عن الجنس فى أمريكا خلال تلك الفترة[٢٠].

لقد أجرى صامويل وسينثياجينس، بحثهما على ٢٧٦٥ من الأمريكيين كعينة ممثلة للأمريكيين، من حيث الأعمار، والحالة الزوجية، والتعليم والدين. وعكست نتائج البحث تناقضات الميال الأمريكى للجنس فى أمريكا فنحو ٩٠٪ اعتبروا أن العائلة هى المؤسسة الأكثر أهمية فى المجتمع الأمريكى، ولدى الإجابة على السؤال هل يجب أن تتزوج لكى تفى بكل متطلباتك. لم يوافق إلا ٢٠٪ من الرجال و ١٣٪ من النساء.

واعتبر ٦٥٪ من الرجال و ٥٢٪ من النساء أن ممارسة الجنس ذات أهمية للرجل قبل الزواج، فى حين كانت النسبة ٤٢٪ بين الرجال والنساء فى الموافقة على ممارسة المرأة للجنس قبل الزواج.

واعترف ٢٢٪ من الرجال و ١٧٪ من النساء بممارسة الشذوذ واعتبر ٤٪ من الرجال أنفسهم شاذين جنسيا، وانخفضت النسبة إلى ٢٪ بين النساء.

وبين الرجال لم تزد نسبة من لم تتعدد علاقاتهم الجنسية على ١٪ وبين النساء ٣٪ وعن طرائق الحصول على هزة الجنس، فإن ٨٢٪ من الرجال و ٦٩٪ من النساء كانوا يفضلون

لجماع و ٥٪ من الرجال و ٨٪ من النساء يحصلونها بالاستمناء و ١٠٪ من الرجال و١٨٪ من النساء بالجنس الشفهمي.

وأظهر ٨٦٪ من الرجال و ٨٢٪ من النساء اهتماما بانتقال الأمراض الجنسية.

وعن التنوع في ممارسة السادو ماسوشيه (s/m)،أي حصول اللذة بالألم والإيلام. ومارس ١١٪ من الرجال والنساء دومينانس بوندج (D/B)، أي حصول اللذة بلعب دوري لسيطرة والعبودية، كما مارس ٦٪ من الرجال و ٣ ٪ من النساء ممارسة تبادل الملابس (لبس ملابس الجنس الآخر)، ووافق ١١٪ من الرجال و ٦٪ من النساء على أن «الفتشية»، تثيرهم جنسيا، بمعنى أن تحصل الإثارة الجنسية من مواد معينة، مثل قطع محدودة من ملابس الجنس الآخر، أو بعض الأقمشة مثل الحرير أو مواد بلاستيكية.

أما عن تكرارية ممارسة الجنس (النشاط الجنسوى)، فقد اختلفت بين غير المتزوجين والمتزوجين، بين غير المتزوجين ٩٪ من الرجال و ٢ ٪ من النساء يمارسون الجنس يوميا، ١١٪ من الرجال و ١٢٪ من النساء، عدة مرات في الأسبوع و ٢٢ ٪ من الرجال و ١٤٪ من النساء أسبوعيا. وبين المتزوجين٥٪ من الرجال و ١٪ من النساء يمارسون الجنس كل يوم و ١٧٪ من الرجال و ٥٪ من النساء عدة مرات في الأسبوع و٢٢٪ من الرجال و ١٠٪ من النساء أسبوعيا.

وبين المطلقين ٨٪ من الرجال و ٤٪ من النساء يوميا و ٢٩٪ من ان لرجال و ١٥٪ من لنساء عدة مرات في الأسبوع و ٣١٪ بين الرجال و ١٨٪ من النساء مرة أسبوعيا. وبالرغم من أن ٧٣٪ من الرجال و ٥٦٪ من النساء، يقبلون فكرة ممارسة الجنس خارج مؤسسة الزوجية، فإن نسبة ممن دخل في علاقات جنسية خارج مؤسسة الزواج فعلا، ٣٪ بين الرجال و ٢٦٪ بين النساء.

وأخيرا يظهر تقرير جينس، أن الفروق ليس كبيرة بين البروتستانت والكاثوليك في سلوكيات الجنس، فنسبة ٣٢٪ من نساء العينة من البروتستانتيات أجرين عمليات إجهاض، وكانت النسبة بين الكاثوليكيات ٢٩٪ وكانت نسبة المستخدمات لوسائل منع الحمل ٦٣٪ من البروتسانتيات و٦٩٪ بين الكاثوليكيات، بينما كانت نسبة الرجال الذين يستخدمون وسائل منع الحمل ٦٤٪ في المذهبين، وحظيت ممارسة المرأة للجنس قبل الزواج، بقبول ٤١٪ من البروتستانيتات و ٤٢٪ من الكاثوليكيات.

تقرير جينس عن سلوكيات الجنس (١٩٩٣)

	الرجـال	النسـاء
قبول فكرة ممارسة الرجل للجنس قبل الزواج	٥٦٪	٥٢٪
قبول فكرة ممارسة المرأة للجنس قبل الزواج	٤٦٪	٤٦٪
قبول ممارسة الشذوذ الجنسوى	٢٢٪	١٧٪
من يعتبرون أنفسهم شواذا	٤٪	٢٪
قبل ممارسة الجنس مع الجنسين	٥٪	٣٪
قبول ممارسة الجنس خارج مؤسسة الزواج	٧٣٪	٥٦٪
من يحصلون هزة الجماع بالجماع	٨٢٪	٦٩٪
من يحصلون هزة الجنس بالاستمناء	٥٪	٨٪
من يحصلون هزة الجنس بالجنس الشفهى	١٠٪	١٨٪
من مروا بتجرية التحرش الجنسى فى العمل	١٩٪	٤٥٪

لقد لقد هوجم تقرير جينس، بأنه أظهر «حواذ الجنس»، فى أمريكا، كما أظهر الأمريكى على أنه كائن جنسوى وغير وفى.

ولذلك، ظهر بعد عام واحد من تقرير جينس، المسح الوطنى للصحة والحياة الاجتماعية، والذى صدر فى كتاب (الجنس فى أمريكا)[٢١].

وأظهر المسح الذى أجرى على ٣١٥٩ من الأمريكيين، موزعين على الأعمار والأديان والأعراض والمناطق والحالات الاجتماعية، عدة مؤشرات تعكس قيمتى الاعتدال والوفاء فى سلوكيات الجنس فى أمريكا، فقد انخفضت نسبة من يعتبرون أنفسهم شواذا جنسيا إلى ٢,٨٪ بين الرجال، و ١,٤٪ بين النساء، كما انخفضت نسبة من يمارسون الجنس خارج المؤسسات الزوجية إلى ٢٣٪ بين الرجال، و ١٢٪ بين النساء.

وأورد مسح (الجنس فى أمريكا)، أن أكثر من نصف الأمريكيين والأمريكيات لاتتعدى العلاقات الجنسوية للفرد بينهم ٣ علاقات طيلة حياته (بالزواج وبغيره).

وبالرغم من تنوع طرائق ممارسة الجنس، فقد ذكر المسيح أن أغلبية الأمريكيين تفضل الجماع بين الرجل والمرأة.

وعن النشاط الجنسوى، أوضح المسح أن الأمريكى يمارس الجنس بين ٦ و ٧ مرات شهريا، دون فروق واضحة بين البيض والسود، والمتعلمين والأقل تعليما، والبروتستانت والكاثوليك، وإن كان الزنوج أنشط، وكذلك النساء البروتستانيات أكثر حظاً فى مرات هزات الجماع.

ولا يفسر اختلاف نتائج تقارير كينزى وماسترز أند جوسون وجينس والمسح الوطنى، إلا، أن (الجنس)، أصبح مجالا للحرب الثقافية فى أمريكا بين الرجال و النساء والسود والبيض، والبروتستانت والكاثوليك. فكل فريق يحاول إثبات أنه الأكثر نشاطا أو الأكثر محافظة، لمسيطر أو المسيطر عليه، ويبقى أن التعلق بالجنس فى أمريكا هو تعلق بالحلم الأمريكى.

المسح الوطنى للصحة والحياة الاجتماعية (١٩٩٤)

الجنس قبل الزواج ليس خطأ	٨٠,٣٪
الجنس خارج مؤسسة الزوجية ليس خطأ	٢٣,٣٪
الجنس المثلى ليس خطأ	٣٥,٢٪
الحاجة لتشريعات تمنع بيع المواد الجنسية	٣٣,٦٪
لا أمارس الجنس إلا مع شخص أحبه	٦٥,٧٪
الدين يحدد سلوكياتى فى الجنس	٥٢,٣٪
الإجهاض حق غير مشروط المرأة.	٥٢,٤٪

المسح الوطنى للصحة والحياة الاجتماعية (١٩٩٤)

	الرجال	النساء
قبول الجنس قبل الزواج	–	–
ممارسة الجنس خارج مؤسسة الزوجية	٢٣٪	١٢٪
من يمارسون الشذوذ خلال حياتهم	٩٪	٤٪
من يعتبرون أنفسهم شواذا جنسيا	٢,٨٪	١,٤٪
من يمارسون الجنس من الجنسين	١٪	٥٪
من يحصلون على هزة الجنس بالجماع	٧٨٪	٨٢٪
من مارسوا الجنس الشفهى خلال حياتهم	٢٦٪	٢٠٪
من يحصلون على هزة الجنس بالاستمناء.	٢٨٪	٨٪

(٤) الجنس فى السوق: صدام الحرية والمساواة

عندما فككت الرأسمالية الأمريكية، جماعات القرابة والسكنى والدين والثقافة، فإنها تحولت تلك الجماعات إلى (أفراد) فى المصنع والسوق.

وبعد أن كان انتساب الفرد لجماعة أو مشترك إنسانى، يحدد قيمته وسلوكياته بخصوص الجنس، فإن الرأسمالية حولت الجنس إلى موضوع فردى، أى أن القيم والسلوكيات وطرق اشباع الجنسوية أصبحت فردية، وأصبح وجود إلى جانب نظام المصاهرة ما يسمى (النظام الجنسوى).

فنظام المصاهرة، كان يتلاءم مع المجتمع قبل الرأسمالى (قبل الحديث)، حيث يشكل الزواج دعامة رئيسية لتماسك جماعات القرابة وللإنجاب الشرعى والحفاظ على نظام الإرث، وبصعود الرأسمالية فى القرن الثامن عشر، وجود إلى جانب نظام المصاهرة، النظام الجنسوى، كنظام أكثر ارتباطا بالعواطف والمشاعر واللذة ومفاتن جسد المرأة وتنوع العلاقات والأفعال، التى يتعرف (الأفراد)، من خلالها على أنفسهم كذوات للتجربة الجنسوية.

ومع التوسع الرأسمالى فى القرن التاسع عشر، وانتشار ظاهرة الحضرنة (سكنى المدن الكبرى)، أصبح للجسد وظيفتان: أولاهما إنتاجية، والأخرى استعمالية، الوظيفة الإنتاجية هى التكاثر والعمل فى ظل نظام الزواج، والوظيفة الاستعمالية هى الاستعمال الجنسوى للجسد فى ظل النظام الجنسوى، وبظهور التحررية الجنسوية فى أوائل القرن العشرين توسع النظام الجنسوى، وبالتالى توسعت الوظيفة الاستعمالية للجسد، حتى بلغت أبعد مدى مع ثورة الجنس فى الستينيات، إلا أن الرأسمالية حولت القيمة الاستعمالية إلى قيمة (بضاعية)، بتعبير هربرت ماركيوز، أى عرض الجسد فى السوق.

وتعددت أشكال عرض الجسد فى السوق بين صور وكتابات العرى، (البورنو)، والتعرى (الاسترنتيز)، والبغاء، فى أى ألوان شتى.

التعبير الجنسوى: البورنوجرافيا والاستربتيز

البورنو، كما يحدده قاموس وبستر انترناشيونال، هو وصف (بالكتابة أو الرسم)، لسلوك ايروسى يسبب الإثارة الجنسوية، وبمعنى آخر فإن (البورنو)، هو التعبير الجنسوى، الذى يقصد به الإثارة الجنسوية أو إثارة الرغبة، أو الاستعراض الجنسوى بالكتابة أو الرسم.

وتشمل سوق البورنو مطبوعات ومجلات مثل (بلاى بوى)، وأشرطة للعرض فى السينما والفيديو وروايات وقصص وشعر وكتب توضيحية للجنس، ولوح زيتية وتماثيل، وأشكال تعبير عديدة بالصوت والصورة والكتابة والرسم.

أما الاستربتيز فهو عرض لجسد المرأة وكذلك جسد الرجل، من خلال رقص التعرى. وبعد أن وظف أوسكار وايلد قصة (سالومى)، فى مسرحية رقصة المحجبات السبع، تحول الاستربتيز إلى فن يقدم من خلال مسارح بوردوى وأفلام هوليوود وعروض الأوبرا على نحو ما حدث فى مسرحية «دامن يانكيز» ـ اللعنة على الأمريكيين.

وبعد أن كان ينتهى عرض الاستربتيز بأن تبقى الراقصة قطعتين على جسدها مثل لباس البحر،أصبح العرض ينتهى بالعرى التام.

والاستربتيز، ليس مجرد التعرى، ولكنه رقص التعرى، فالراقصة وهى تتعرى تعبر بإشارات وحركات جنسوية، بغرض إثارة الرغبة لدى مشاهديها، أى أنه عرى تعبيرى أو بمعنى آخر تعبير جنسوى.

ويعرض (الاستربتيز)، فى دور عرض سينمائية، تعرض أفلام (البورنو)، أو فى غرف خاصة بتلك الدور. وهنا عروض (البيب)، حيث يفصل حاجز زجاجى بين الراقصة والمشاهد ينفرج عندما يلقى المشاهد بعملة معدنية فى مكان مخصص لها، ثم هناك عروض (الجوجو)، التى تجرى فى مراقص الاستربتيز.

وقد كان التعبير الجنسوى فى أشكال (البورنوجرافيا)، و (الاستربتيز)، محل جدل واسع فى أمريكا، حتى داخل الحركة النسائية، فالاتجاه الليبرالى فى تأييده حقوق المرأة والمطالبة بالتوسع فى الحريات الفردية، وبالحد من التدخل الحكومى فى فضاء الجنس، طالب بألا تتدخل الدولة بالقانون فى تقييد العلاقات الجنسوية بين البالغين، أو تقييد إنتاج كل وسائل التعبير الجنسوى من كتب وصور وأفلام.

أما الاتجاه المحافظ، فقد طالب بتقييد السلوكيات الجنسوية والتعبير الجنسوى (البورنو)، وتحالف الاتجاه المحافظ فى الحركة النسائية مع اليمين الدينى واليمين السياسى خلال حكم ريجان، فى إصدار تقرير لجنة ميسى عام ١٩٨٦، والذى على أساسه فرضت قيود قانونية على مواد (البورنو).

وفى الحق أن الاتجاه المضاد للبورنو الذى ظهر منذ أواخر السبعينيات، على يد كاترين ماكنون وأندريا داوركن، وهو الاتجاه المعروف باسم الماكداوركنية، استهدف الهجوم على (البورنو)، لأنه نوع من التمييز والعنف ضد المرأة.

وكما تقول داوركن إنه من الصعوبة النظر إلى صورة لجسد امرأة دون إدراك أن جسدها أصبح موضوع استغلال. وتقول ماكنون إن البورنو من وجهة نظر نسوية هو شكل من أشكال الجنس بالإكراه ومؤسسة للتمييز بين الرجال والمرأة.

أما الاتجاه المدافع عن البورنو، حتى داخل الحركة النسوية الأمريكية، فقد بنى دفاعه على التعديل الأول للدستور الأمريكى حول (حق التعبير)، وما يندرج تحته من التعبير الجنسوى، وهى كتابها «دفاعا عن البورنوجرافيا»، تعتبر نادين ستروسين، رئيسة الاتحاد الأمريكى للحريات المدنية، أن الهجوم على البورنو، هو هجوم على التعديل الأول للدستور، والتعبير الحر، وأن الاتجاه المعادى للتعبير الجنسوى فى الحركة النسوية، وداخل اليمين الدينى والسياسى، لا يعادى فقط حقوق الإنسان بشكل عام، وإنما يعادى خاصة حقوق المرأة. فذلك الاتجاه لا تتوقف حملته عند الفن والأدب، بل تشمل أيضا المواد التعبيرية عن الإجهاض وتنظيم النسل والإيدز لتصبح الحملة فى النهاية ضد الجنس نفسه.

وفى أقوال داوركن وماكنون يمكن الربط بين رفض التعبير الجنسوى ورفض الجماع مع الرجل.

تقول داوركن: إن الجماع مع الرجال، كما نعرفهم، تتعاظم استحالته، فالجماع يتطلب إسقاط القدرة الابداعية للمرأة وقوتها، ورفض مسئوليتها وحريتها، إنه يعنى أن تظل المرأة ضحية للأبد بأن يكون دورها أنثويا وأن تكون ماسوشية خانعة[٢٥].

وهكذا، يبدو السوق والمجتمع فى أمريكا بين حدى: حرية التعبير بما فيها التعبير الجنسوى (البورنو)، والمساواة بين المرأة والرجل، فاتجاه الدفاع عن البورنو يستند إلى التعديل الأول للدستور، واتجاه مناهضة البورنو يستند إلى مناهضة التمييز بين الرجل والمرأة، بدعوى أن المرأة هى موضوع التعبير الجنسوى. وعبرت عن ذلك ثيلما ماكوماكسى بقولها: «من وجهة نظر نسوية مستقبلية يجب ألا يكون الاختيار بين المساواة وحرية التعبير لأنهما قيمتان تمثلان وجهى العملة. ولا يمكن أن نلعب بواحدة ضد الأخرى إلا بقدر ما نستطيع أن نفصل العقل عن الجسد»[٢٦].

وتقول نادين ستروسين فى دفاعها عن التعبير الجنسوى «إنه لا ينبغى أن نفرض نحن النساء على أنفسنا الاختيار، بين المساواة والحرية، وبين الكرامة والجنسوية، بين الأمان وحريتنا فى أن نقرأ ونتحدث ونغنى ونكتب ونرسم ونرقص ونحلم ونمارس التعبير الجنسوى والتصوير السينمائى والفانتازيا كما نتمى»[٢٧].

البغاء: خدمات الاسكورت

بالرغم من أن البغاء محرم قانونا فى معظم ولايات أمريكا، فإنه يمارس بشكل غير قانونى لتساهل البوليس والمحاكم، أو تحت مظلة خدمات الرفقة (Escort Seryices).

وخدمات الاسكورت، تقوم بها بيوت تنشر إعلاناتها فى الصحف الصفراء، وتشمل تلك الخدمات الساونا والمساج والعلاج الجنسوى، وتقديم فتيات الرفقة داخل تلك البيوت أو إلى

منازل ومكاتب الزبائن.. بطلبات تليفونية من الزبائن.. وتحت ستار خدمات الاسكورت يمارس البغاء.

ويضم سوق البغاء أكثر من مليون امرأة بنسبة ١٪ من عدد النساء الأمريكيات. وتشكل بغايا الشوارع نسبة أقل من ٢٠٪ فى حين تضم خدمات الاسكورت النسبة الغالبة من البغايا.

وتمارس البغى من أجل المال، إلا أنهن قد يضطررن إلى دفع ما يكسبن من مال للقواد أو (المدام)، وقد يفقدن أبناءهن لترعاهم مؤسسات رعاية الأطفال. ومع ذلك يواصلن حياة البغاء لأنه ليس هناك سقف لكسب المال، حتى أن بعض الدراسات أشارت إلى أن البغاء إمان مثل دراسة جينس وبيس.

وأوردت تلك الدراسة أن ٨٥٪ من البغايا تعرضن للاغتصاب فى سنين الطفولة، وفى معظم الحالات كان الاغتصاب قبل سن العاشرة.

كما أن البغايا اكثر النساء عرضة للاغتصاب بنسبة ٦٠٪ من الزبائن و ٢٠ ٪ من البوليس و ٢٠ ٪ من العلاقات الخاصة.

وتنتظم البغايا فى مجموعات صغيرة محمية إلا أن نسبة ضئيلة منهن يعملن بالاعتماد على أنفسهن. وكل مجموعة لها قواد أو مدام، وعادة ما يحصل القواد على ما تكسبه البغى ليعطيها ما يكفى لملابسها، ومصروفها ويوفر لها السكن مع آخريات. أما البغايا اللاتى يعملن مع (مدام)، فإنها تقتسم معها ما تكسبه بنسبة ٥٠٪ - ٥٠٪ أو بنسبة ٦٠٪ - ٤٠٪ مقابل أن توفر لها المكان.

وبيت البغايا يعكس هيراركية محددة. فهناك السيدة الأولى المفضلة لدى القواد، ثم سيدات المرتبة الثانية، ثم سيدات قاعدة الهرم، وعادة ما يطلق على البغى اسم (جين)، أما الزبتون فيعرف باسم (جون).

وتتركز جهود شرطة مكافحة الرذيلة فى المدن الأمريكية الكبرى، على السيطرة على البغاء فى الشوارع إذ أن ٩٠٪ من البغايا اللائى يقبض عليهن. هن من بغايا الشوارع. وعادة ما يفرج عنهن بدفع غرامة، وفى حالات كثيرة لا تملك البغى قيمة الغرامة، فيعتبرها القاضى غرامة مؤجلة ويفرج عنها، فتعود للبغاء لكسب قيمة الغرامة وتسديدها.

وقليلا ما تدهم شرطة مكافحة الرذيلة بيوت خدمات الاسكورت، التى انتشرت فى العقد الأخير. وكما يقول ويليام مكارثى رئيس فرقة مكافحة الرذيلة فى نيويورك إن إعلانات بيوت الاسكورت، تضاعفت بين عامى ١٩٩٢ و ١٩٩٣ بنسبة ٤٠٠٪، كما توسعت فى خدماتها إلى جانب البغاء لتشمل البورنوجرافيا والمخدرات وممارسات جنسوية انحرافية مثل السادوماسوشية (s/m) والسيطرة العبودية (D/B).

وتعتبر البغايا أن البغاء عمل، تشاركهن فى ذلك نشيطات فى الحركة النسوية تدافعن عن البغاء ويسمين البغايا عاملات جنسsex workers. ولا تطالب البغايا والنشيطات فى الدفاع عن البغايا بالاعتراف بالبغاء قانونيا، لأن ذلك يعنى أن تدفع البغايا ضرائب عما يكسبن وبالمقابل يطالبن بإلغاء تجريم البغاء حيث لا تصبح البغايا مجرمات.

ويرتبط البغاء بإدمان المخدرات، فنسبة مابين ٨٤٪ و ٩٠٪ من بغايا نيويورك مدمنات للهيروين ونحو ٥٠٪ ممن يدخلن سوق البغاء من المدمنات.

وبالنسبة لـ (جون)، أى زبون بيوت البغاء، فإن النسبة الغالبة من الزبائن، هم من البيض من أبناء الطبقة الوسطى، ومتوسطى الأعمار ورجال الأعمال المتزوجين، وكانت دراسة كينزى قد كشفت عن أن ٧٠٪ من الرجال الأمريكيين مارسوا الجنس مع البغايا مرة على الأقل.

ولكن ماذا تبيع البغايا فى السوق، هل الجسد الأنثوى هو المعروض للبيع؟ تقول «e»، التى تعمل بغيا فى نيويورك، إنها تصطحب زبائنها إلى منزلها، وتحرص أن يكون هناك غطاء سرير مخصص للزبون، «إنه لا يمكن أن يرقد على ملاءة سريرى. إنها ملكيتى وشخصيتى التى أشم فيها رائحتى الخاصة، قد تقول إنه يلمس جسدى وأن جلدى أقرب له من ملاءة سريرى ولكنى أغسل جلدى مرات، إننى أنظف دوما جسدى منه، إننى أعرض جسدى للدعارة ولكننى أجنب نفسى الدعارة. قد يبدو ذلك الكلام متناقضا، فمعنى أن أعرض نفسى للدعارة وهو أن أعرض شيئا ذا قيمة مقابل مال، أى أن أعرض شيئا لا يمكن أن يسلبنى أفكارى أو عقلى أو روحى أو فمى.. ولا يمكن أبدا أن يسلبنى نفسى الحقيقية».

والبغايا يعملن فى إطار نظام معقد لحماية النفس الحقيقية من أن يغزوها أو يسلبها الزبائن، هذا النظام المعقد للحماية يعتمد على وسيلتين:أولاهما ألا يلمس الزبون أجزاء محددة من الجسد، وألا يقترب من أشياء وتفاصيل خاصة بها، والثانية ألا تشارك فى أحاسيس الجنس.

إن البغى تفصل بين (النفس الحقيقية)، الخاصة بها، والنفس العامة التى تعرضها للبغاء.

وتتعد ميكانزمات الدفاع عن النفس لدى البغى، من تغيير غطاء السريرالخاص بها، إلى تجنب الاندماج مع الزبون،بالنظر إلى أعلى مرمى البصر. وبخصوص جسدها،فإنها تتجنب التقبيل ولمس أجزاء محددة منه، وتطلب من الزبون وضع الواقى الذكرى.

ولقتل الوقت مع الزبون، فإنها تسرع، وتتجنب أن تنظر إليه على أنه جذاب جنسويا، ولا تتنفس بقلق، ولا تصل إلى نقطة هزة الجنس.

ولاخفاء نفسها، فإن البغى لا تتحدث عن حياتها الخاصة، وتستخدم اسما مستعارا وتغير ملابسها.

وحتى لا تقع فى الحب، فإنها تتجنب الزبائن من الشباب والزبائن الدائمين. وتبتعد عن الزبون الذى يثير إعجابها، وهكذا، يبدو البغاء عملا له أصوله وليس بيعا للجسد فى السوق - كما ترى البغايا والمدافعات عن البغاء - وبما يبرر من وجهة نظرهن حملات المطالبة بالغاء تجريمه.

إلا أن الاتجاه الجذرى فى الحركة النسوية (اتجاه الماكداوركنية»، يرى فى البغاء مثل البورنوجرافيا، تمييزا ضد المرأة من أجل سيطرة ولذة الرجل. فتقول ماكنون إن البورنوجرافيا والاغتصاب والبغاء تؤسس لتفوق جنس/نوع الرجل.

ولئن كان التعبير الجنسوى (البورنوجرافيا والاستربتيز)، إلى جانب البغاء يمثلان مجالا لصدام الحرية والمساواة وللحرب الجنسوية بين المرأة والرجل،. فإنهما يعكسان - فى النهاية - اتساع وسيطرة سوق الجنس فى أمريكا فى شبكة أقرب إلى المافيا على المستوى القومى، تصل قيمة الأموال الدائرة فيها إلى ١,٥ تريليون دولار (التريليون ألف مليار)، حسبما ذكرت ناعومى وولف فى كتابها (اسطورة الرجل).

الفصل الخامس

فى الثقافة الشعبية الأمريكية

لقد وصلنا إلى النقطة التى أصبحت عندها الثقافة الشعبية تحمل تهديداً بالقضاء على ..

الأمة الأمريكية.

بوب دول

لقد ضحكنا من أنفسنا بعد سقوط سايجون وفضيحة ووتر جيت، والآن جاء رامبو ليعلن أن ..

كل شئ قد تغير.

مجلة بيبول

إن الذين يُعتبرون خارج (النحن) الأمريكية يُستبعدون بأبوية واحتقار..

مايكل هانت

(١) هوليوود والعنف والجنس

هوليوود ذات الوجهين، ينقسم إنتاجها إلى أعمال تحابى قيم العائلة، وأعمال مثل كوابيس الفسق والرذيلة. ذلك ما قاله السيناتور بوب دول المرشح الجمهورى لانتخابات الرئاسة الأمريكية عام ١٩٩٦، أمام جمع من مؤيديه فى لوس انجلوس. وسرعان ما رد نجوم ومخرجو هوليوود على هجوم دول، فاتهموه بأنه يروج لمكارثية جديدة ضد حرية التعبير، وبأن نقده ليس إلا مزايدة انتخابية سعيا وراء أصوات الجمهوريين المحافظين.

ولكن لماذا صب السيناتور دول جام غضبه على هوليوود؟

قال دول:

«لقد وصلنا إلى النقطة التى أصبحت عندها الثقافة الشعبية تحمل تهديدا بالقضاء على شخصية الأمة الأمريكية. إن صناعة التسلية (السينما والتسجيلات) مستودع للأفلام والشرائط، التى تمزق نسيج الأمة وأفلام هوليوود بما تتضمنه من مشاهد العنف والجنس تنشر كوابيس الرذيلة. إننا يجب أن نحّمل هوليوود وصناعة التسلية مسئولية وضع الربح والتجارة قبل الآداب العامة».

وتبادلت هوليوود الهجوم مع دول بأشد منه. فقال توماس بولوك رئيس مجموعة (موشان بيكتشرز): «إننا لا ننتج الأفلام لكى تعجب الكونجرس، بل ننتج ما يريد أن يشاهده الجمهور، وحمل عليه المخرج الكبير أوليفر ستون الذى أخرج فيلم (قتلة بالفطرة) معتبرا أن تعليقات السيناتور دول تأخذ شكل مكارثية جديدة فى هذه الأيام، ووصف ستون السيناتور دول بالنفاق السياسى لأنه هاجم هوليوود، بدعوى أنها تروج للعنف، فى حين أنه يدعو لإلغاء حظر استخدام السلاح. وقال: إن هوليوود يجب ألا تلام على العنف المنتشر فى المجتمع لأن مشكلة العنف فى أمريكا ليست من صنع هوليوود.

والذى دفع ستون للرد على دول، أن الأخير اعتبر فيلم (قتلة بالفطرة) أحد فيلمين مثالين على ترويج كوابيس الرذيلة.

ويروى فيلم قتلة بالفطرة، قصة الشاب ناثان مارتينيز الذى قتل والديه، وبالرغم من أن الفيلم اعتبر نقطة تحول فى تاريخ هوليوود وحقق ايرادات ضخمة، إلا أنه ووجه بانتقادات حادة من الصحافة الأمريكية والبريطانية لمستوى العنف المرتفع وغير المنطقى فى مشاهده.. فقد اعتبرته «ديلى اكسبريس» فيلم قتل فوق العادة.

وقالت «ميل» إن رسالة الفيلم هى الدعوة للقتل والتخلى عن الأخلاق، وكان وصف «الاندبندنت» للفيلم بأنه غير منطقى، وانتقدته مجلة «بيبول» بأنه يخدر العقول.

أما الفيلم الثانى، الذى كان محل انتقاد السيناتور دول، فهو فيلم «عاطفة حقيقية»، الذى يروى قصة زوجين تمر حياتهما فى أمريكا المليارديرات والفساد من فشل إلى فشل، ولا يجدان شيئا حقيقيا فى تلك الحياة إلا الرغبة المتبادلة بينهما فى نوع من الجنس دون حب.

واعتبر كونتين ترانتينو مؤلف «عاطفة حقيقية» أن نظرة السيناتور دول هى النظرة التقليدية، التى ترجع أى مشكلة فى المجتمع إلى المؤلفين والمخرجين.. وقال إن نقد السيناتور دول «كلام رخيص» لأنه لا يشاهد الأفلام التى انتقدها.. ولا يمكن أن نأخذ مأخذ الجد نقده لأعمال فنية لم يشاهدها.

وضمن النماذج التى اختارها السيناتور دول للأفلام، التى تحابى قيم العائلة، كان فيلم «أكاذيب حقيقية».. بالرغم من أنه من أفضل أفلام العنف والجنس التى حمل عليها!

ويتناول أكاذيب حقيقية قصة رجل (أرنولد شوار زينجر) يعمل بمكافحة التجسس، تقوم المخابرات المركزية الأمريكية بتكليف زوجته (جيمى لى) بإغواء عدد من الإرهابيين (العرب طبعا). وتحرك مشاهد الفيلم وسط عنف وقتل بالمئات ودمار فى البر والبحر والجو لا يصدق، ولكن الفيلم يبرر بمهمة شوارزينجر ولى وهى منع العرب الإرهابيين من تفجير مفاعل نووى فى فلوريدا.

فهل قصد دول أن يميز بين عنف وعنف؟

إن الإجابات تتعدد على هذا السؤال

فقد صدرت تلميحات فى هوليوود، بأن السيناتور دول جامل عنف أرنولد شوار زينجر، وتجنب التعرض لعنف سيلفستر ستالونى، وبروس ويليز، باعتبار أن الثلاثة من مؤيدى مرشحى الحزب الجمهورى، ولكن مجلة «تايم» نفت أن يكون ذلك هو السبب، على أساس أن العنف الذى تتضمنه أفلام المخرج بروس ويليز منذ فيلم «العدو المشترك» إلى فيلم بالب فيكشن (لب الخيال) الذى قام ببطولته سيلفستر ستالونى هو عنف أخلاقى.

والمعنى نفسه تقريبا - فسرت به جريدة «ڤيليج فويس» مجاملة السيناتور دول لعنف أكاذيب حقيقية». فهو عنف - كما يراه دول - من أجل الله والوطن والمسلمين الإرهابيين، ولمنع عمل إرهابى يستهدف الوطن، وأنه ما كان من الممكن للمرشح الرئاسى دول أن يهاجم الفيلم ليدافع عن العرب، بل كان لابد أن يثبت العكس، خصوصا أنه المتهم - من آخرين - بأنه كان أحد المشرعين القلائل فى واشنطن الذين يسمعون وجهة النظر العربية.

لقد وصلت هوليوود فى ترويج العنف والجنس إلى أبعد الحدود، وبعد أن ظلت تتعامل على استحياء مع العنف المرتبط بالجنس، أصبح «كليشيه» هوليوود خلال العقد بين منتصف الثمانينيات ومنتصف التسعينيات هو العنف الجنسوى.

ففى فيلم «جون بيلندا» ١٩٤٨ عرض مشهد الاغتصاب، على استحياء بتصوير الشخص المغتصب وترك العنان لخيال المشاهد تصور عملية الاغتصاب. وفى فيلم«عربة اسمها الرغبة» عام ١٩٥١، والمأخوذ عن مسرحية تنيسى ويليامز، جرى تصوير مشهد الاغتصاب من الخلف، ومن خلال مرآة عاكسة، وطيلة عقد الستينيات اختفت أفلام العنف الجنسوى، وبدأت السبعينيات بأفلام التحريرية الجنسوية، التى تصور حياة الهيبيز وثورة الشباب مثل «ستروبرى ستيتمنت» و «ليل جاك» و «جو» ثم عادت أفلام العنف الجنسوى التى تتعرض لاغتصاب المرأة مثل «كلوك أونج» و «سترو دوجز».

وكان عقد الثمانينيات حافلا بأفلام «العنف الجنسوى» مثل «متأنق للقتل» عام ١٩٨٠ ، و «حرارة الجسد» و «ساعى البريد يدق مرتين» عام ١٩٨١ ، ثم «الثوب الضيق» الذى قام بطولته كلينت ايستود عام ١٩٨٤، وقد مثلت تلك الأفلام «ذكورية انتقامية» عرضت حالة انتقامية للرجل الأمريكى من هزيمته فى فيتنام، ومن النجاحات التى حققتها المرأة الأمريكية من خلال الحركة النسوية، فانصرفت الذكورة لاغتصاب المرأة، واستعمال العنف ضد المرأة والرجل. إلا أنه فى النصف الثانى من الثمانينيات، أخذ «العنف الجنسوى» اتجاها معاكسا فأخرجت «هوليوود» أفلاما تعرض لانتقام المرأة من الرجل. وليصبح الجنس وسيلة للايقاع بالرجل قبل أن يلقى حتفه، مثل «فاتال اتراكشن» و «بيزيك انستنكت» الفيلمين اللذين أدى البطولة فيهما مايكل دوجلاس.

بيد أن حصول جودى فوستر على جائزة الأوسكار لأحسن ممثلة عام ١٩٨٨، عن فيلمها «ذى أكيوزد» دفع باتجاه العنف الجنسوى فى هوليوود إلى أبعد الحدود، ففى الفيلم تعرض فتاة «جودى فوستر» للاغتصاب من مجموعة من الرجال داخل بار، ثم تحاول الفتاة ملاحقة المغتصبين من خلال القضاء، وفى ذات الاتجاه أنتجت هوليوود فيلم «مغادرة لاس فيجاس»، الذى يعرض لاغتصاب مجموعة من الصبية إحدى فتيات الليل، وفيلم «ذاديدمان ووكنج» وفيلم «سترينج دينز» وفيلم «شوجيرلز» وكلها تدور حول الاغتصاب. ودفعت سيطرة اتجاه العنف الجنسوى على هوليوود النقاد الليبراليين الأمريكيين للمطالبة بالحد من هذا الاتجاه.

وكما قال كينيث توران ـ الناقد فى صحيفة «لوس أنجلوس تايمز» ـ إنه ما من أحد شاهد الأفلام الأخيرة لهوليوود إلا ولمس أن مستوى العنف والاغتصاب أصبح محبطا وغير إنسانى.

إن ما عبر عنه السيناتور بوب دول، يعكس اهتماما متزايدا فى الشارع الأمريكى حول قضايا الجنس والعنف فى الأفلام والشرائط الصوتية التى تنتج فى هوليوود، وفى معامل خارجها. وقد نبه الرئيس كلينتون نفسه إلى العنف المتفشى فى أغانى الراب الزنجية.

وعقب حادث انفجار المبنى الفيدرالى فى «أوكلاهوما» توجهت أنظار الجمهوريين - وكذلك - الرئيس كلينتون إلى محتوى العنف فى «الميديا» الأمريكية من إذاعة وتليفزيون وسينما وتسجيلات غنائية.

وفى استطلاع للرأى أجرته مجلة «تايم» تبين أن نسبة ٧٧٪ من أفراد العينة يبدون اهتماما بمستوى العنف والجنس فى «الميديا» الأمريكية.

وأجاب ٧١٪ من أفراد العينة أن «أفلام العنف» تعنى للناس أن العنف ممتع ومقبول. وكما هو متبع فى أمريكا دوما، فإن محتوى العنف والجنس فى «الميديا» يظل محل جدل ضخم ومبتذل أحيانا بين طرفين، الطرف الأول يشمل السياسيين، خصوصا من المحافظين، والجامعيين وعلماء النفس والآباء. ويمثل الطرف الثانى أقطاب «الميديا» من مخرجين وفنانين ونقاد وصحفيين.. وكل ما فعله السيناتور دول أنه رمى بحجر وقال كلاما يرضى الكثيرين.

(٢) مادونا وجاكسون: البوب وتجاوز الموضة والجنس

مادونا وجاكسون يتجاوزان «الموضة» و «الجنسوية»، ويؤكدان رسالة مضمونها، أنك يمكن أن تفعل ويمكن أن تكون، ما تريد.

إن هوية الشخص يبدأ تكوينها بملبسه وبمنظره، ولذلك فالشخص يمكن أن يلبس أى شيء باعتبار أن كل شيء ممكن، ويمكن أن يشكل منظره ليعكس ثقافته.

مادونا وجاكسون، يتجاوزان «الموضة» من حيث هى لباس ومنظر الآخرين (العاديين)، والذين يخضعون لخطوطها وقيودها، ومن حيث يكون التجاوز ابتداع لباس ومنظر يجب أن يكون عليهما الشخص.

ولا يقتصر «التجاوز» عندما مادونا وجاكسون، على الموضة، بل يتعديانها إلى«السلوك» غير العادى، الذى يتجاوز سلوك العاديين ويجتذبهم فى آن معا، ويصبح حقل «الجنسوية» مجالا للتجاوز، أى تجاوز الأنوثة والذكورة إلى جنس ثالث، يمكن أن يكون ما بعد الأنوثة، ويمكن أن يكون ما بعد الذكورة، ليصبح العاديون فى مجال «ارتباك جنسوى».

مايكل جاكسون، هو الابن السابع بين ٩ أبناء وبنات لأسرة زنجية، كانت تمضى نحو ٢٠٠ يوم فى العام متنقلة بين مدينة وأخرى، تقدم عروضها الغنائية الراقصة، تحت قيادة أب متسلط ومنذ أن دخل جاكسون السنة الخامسة من عمره، أصبح يمثل مصدر رزق لأسرته. وشارك مع أخوته فى فريق باسم «الأخوة جاكسون الخمسة» ثم «الاخوة جاكسون»، والذى اشتهر بأغانى «البوب»، إلا أن أعراض الغناء الفردى بدأت تظهر على مايكل جاكسون منذ عام ١٩٧٢، إلى أن تصدر قائمة قمة «البوب» بألبومه «ثريلر» الذى تجاوزت مبيعاته ٤٧ مليون نسخة، محققا أعلى رقم فى التوزيع سجله العام. ووزع ألبومه «باد» ثلاثين مليون نسخة حول العالم. وأصبح أبرز نجوم غناء «البوب» خلال عقد الثمانينيات، حتى أن الرئيس جورج بوش سماه «فنان السنوات العشر»، خلال احتفال أقيم فى البيت الأبيض.ثم اجتذب جاكسون عشرات الملايين حول العالم، بألبومه «دينجرس» ثم ألبوم «هيستورى» خلال التسعينيات[١].

فن البوب الجاكسونى، أدخل أنماطا ومؤثرات جديدة فى الفن الاستعراضى الغنائى، بأن جمع بين البوب وموسيقى الجاز والراقصات الصعبة، والتأثير التكنولوجى فى الصوت والصورة والحركة، وصوت مايكل جاكسون الجميل.

بيد أن النجاح الكبير لظاهرتى جاكسون ومادونا، اعتمد على الصورة التى شكلها لنفسه كل منهما وقدمها للجمهور.

مادونا، كما قالت، أمضت ١٢ عاما فى مدرسة كاثوليكية، واضطرت لارتداء الزى الموحد للمدرسة، إلا أنها بعد ٨ أعوام قررت التمرد بعدة طرق بسيطة مثل. ألا ترتدى رباط العنق. أو تغير شكل ياقة القميص للاحساس ببعض الحرية والتمرد على نظام المدرسة والملبس.

وفى أول حوار صحفى معها، قالت إنها كانت تضع حمالات الصدر وهى فى التاسعة من عمرها، وتضيق أقمصتها، وتحمل أحمر الشفاة، وهى تعتقد أن أبويها لا يرضيهما ذلك.

هكذا، بدت مادونا متمردة على نظام الملبس «الموضة»، وعلى «الجنسوية»، منذ طفولتها وصباها، ومنذ أصدرت مادونا أول ألبوم عام ١٩٨٣ باسم «مادونا» قدمت نفسها على أنها متجاوزة للموضة والجنسوية. وفى أغنية «لاكى ستار» ١٩٨٣ جسدت حضورها كموضوع للجنس وراقصة مفعمة بالحيوية ونموذج متفرد فى الأزياء.

وفى عام ١٩٨٥،حققت مبيعات ألبومات وأغنيات مادونا ١٥ مليون نسخة، وصعدت إلى قمة «البوب» بأغنيتى: لايك أفيرجين (مثل عذراء)، وكريزى فوريو (مجنونة من أجلك)، ولم تكن سنها قد تجاوزت السادسة والعشرين. وبعد نحو ١٧ شهرا فقط من ظهورها، احتلت مادونا رأس قائمة العشرين أغنية ٧ مرات، وهو رقم لم تصل إليه بربارا سترايسيند إلا بعد ١٧ عاما، عندما صدر ألبومها «لايك آفيرجين»، باع ٧ ملايين نسخة فى أمريكا والعالم.

وقد سبق مايكل جاكسون، مادونا فى تشكيل صورته من خلال تكنولوجيات الذات والآخرين.

فصورة جاكسون فى فريق «الأخوة الخمسة»، غير صورة جاكسون الثمانينيات والتسعينيات.

جاكسون فى «فريق الأخوة الخمسة»،أسود، أجعد الشعر ممتلئ الجسد، عادى الملابس، أقرب إلى صورة الزنجى الأمريكى العادى، كما نراه فى المدن الأمريكية.

أما جاكسون الظاهرة، فشخصية أخرى تتجاوز صورة الزنجى العادى، بل والأمريكى العادى، لقد غيّر لون بشرته تدريجيا، ليصبح أبعد عن الأسود دون أن يكون أبيض، وأقرب إلى الرمادى الفاتح باستخدام مراهم تحول مادة «هيدروكوينون». أى أنه وضع بشرة «اصطناعية» كيماوية يمكن أن تسقط بحرارة الشمس، حتى أن الصحف، خرجت بعناوين مضمونها أن وجه جاكو (اسم التدليل)، قد يسقط قبل القيام بجولته الغنائية فى جنوب شرق آسيا عام ١٩٩٢ .

كما أخضع جاكسون وجهه لعمليات جراحية تجميلية،للمت أنفه المفرطح، وأبرزت حجبيه ووجنتيه، وأضافت «شامة»، على ذقنه تشبه تلك التى تميز ذقن الممثل الشهير مايكل دوجلاس، كما أخضع جسده الممتلئ لنظام صحى وغذائى، فأصبح نحيف القامة.

واكتمل تشكيل صورة جاكسون الظاهرة، بإطالة الشعر ليتدلى على الكتفين ووضع النظارة السوداء على عينيه، وارتداء القفاز الأبيض الذى يغطى اليد اليمنى، والحزام المعدنى الذى يشد خصره النحيل، وحرص جاكسون الطفل الكبير على اصطحاب الأطفال، إظهارا لحبه لهم وإعطاء الانطباع بأنه برىء براءة الأطفال وأنه يتصرف مثلهم، فهو حريص على التسوق فى مجال الألعاب مثل «هاميلز» فى لندن.. وفى منزله غرفة للدمى المتحركة، جهزتها له «ديزنى لاند» غير أن علاقته بالأطفال أصبحت مثار جدل واتهام عام ١٩٩٣، حين اتهمه فتى فى الثالثة عشر من عمره بأنه تحرش به جنسيا ورفع والد الصبى قضية ضد جاكسون.. وفجرت شقيقته قنبلة فى مؤتمر صحفى، بقولها إنها لا تريد أن تكون متواطئة بالصمت على سلوك شقيقها فى حق أطفال أبرياء. كان جاكسون غريب الأطورمع الأطفال، وطفولية جاكسون. كان وجهها الآخر، ما أثير عن علاقة بالممثلة اليزابيث تيلور، صديقته المقربة، التى خصص لها غرفة فى منزله كى تزوره عندما تشاء. ربما تكون «عقدة أوديب». ولم يكن زواجه من ليزا مارى بريسلى (ابنه مغنى الروك الاسطورة ألفيس بريسلى)، كما صوره لمعجبيه إلا طفولية ساحرة، فظهر مايكل وليزا كصبى وصبية يلعبان لعبة العروس والعريس.

إذن، صورة مايكل جاكسون الاسطورة تشكلت بتجاوز الأزياء (الموضات)، بالاكسسورات، التى يختارها هو، والقفاز الأبيض الذى يغطى يمناه، والحزام المعدنى الذى يزين خصره وتسريحة الشعر التى تتبدل، وأربطة الرأس والساقين التى تتغير.

كما تشكلت شخصية جاكسون بتجاوز «الجنسوية» إلى ما بعد الذكورة. وفى مقابلة تليفزيونية مع أوبرا وينفرى (فبراير ١٩٩٣)، قال جاكسون إن والده كان يلحق به أذى بدنيا، وصرح بحبه للجنة بروك شيلدز.

وربما تكون طفولة جاكسون البائسة مسئولة عن مظهره وسلوكه الطفوليين وعلاقته بالأطفال، وحالته «الجنسوية». إلا أن الصورة الشخصية التى أصبحت مايكل جاكسون اجتذبت ملايين الأمريكيين وغير الأمريكيين حول العالم، فهى صورة شخصية تتعدى اللون العرقى، لأنه ليس أبيض. ولم يعد زنجيا، كما تتعدى الجنس لأنه يمثل ما بعد الذكورة.

ومثل جاكسون أعادت مادونا تشكيل صورتها.. شخصيتها.

مادونا، فى تشكيل صورتها، تجاوزت الأزياء السائدة وأخضعت جسدها وجمالها لتكنولوجيات متغيرة. مادونا الأولى التى كانت أكثرنعومة وامتلاء، فأخضعت جسدها لنظام رياضى وغذائى. وغيرت من أزيائها ومن تسريحات شعرها، ففى فيلم «مفاجأة شنغهاى»، تبدو مادونا أقرب إلى صورة مارلين مونرو، ناعمة ساحرة بشعر أصفر قصير ناعم كالزغب، أو أقرب إلى النجمات الكلاسيكيات مثل لانا تيرنر ومارلين ديتريش.

ولكنها بعد ذلك ستغير شعرها من الأصفر (البلوند)، إلى اللون البلاتينى، إلى الأسود، إلى البنى ثم إلى الأحمر، فى تسريحات مغايرة. وسيتحول جسدها من جسد ناعم ممتلئ ومثير إلى جسد عضلى مشدود وآلة جنسوية، ومثال مستقبلى للجسد التكنولوجى Tech no- Body والجسد الليزبيانى (السحاقى) ، والجسد السادوماسوشى،أى الجسد بعد الحداثى. وستتغير أزياء مادونا إلى التنورة المينى والميكرو، إلى البطن العارى، إلى السروال الجلدى والملابس الداخلية الجلدية والقيد المعدنى الذى يربط العنق بالقدم بسلسلة.

وهنا، تصبح مادونا «المثال» فى تجاوز «الجنسوية»، إلى أبعد الحدود،لتجتذب أنصار «الفيمينزم» والتحررية الجنسوية المثيلة (بين رجل ورجل أو امرأة وامرأة)، والجنسوية المتعدية للعرق (بين الزنوج والبيض)، والجنسوية السادوماسوشية.

وفى عام ١٩٩٠ ، تصدر مادونا «جاستفاى ماى لاف»، (أى تبرير حبى)، وتلعب«ايروتيكا» عام ١٩٩٢، ثم تصدر كتاب سكس (جنس)، فى العام نفسه، لتتجاوز كل الحدود المسموح بها فى الموضة الجنسوية.



جاكسون وتجاوز اللون والجنس.. من البشرة السوداء إلى بشرة فاتحة وما بعد الذكورة والأنوثة

(٣) رامبو.. مثال القوة

عندما استطاع الطيار، سكوت أوجريدى، القفز حيا من طائراته، التى تفجرت فوق البوسنة، وصفه الإعلام الأمريكى بأنه (رامبو).. رامبو الخيِّر، الذى أغار على قوات الصرب. التى تحتجز مراقبى الأمم المتحدة فى البوسنة، واستطاع أن ينجو من الموت.

ذلك مجرد مثال على حضور رامبو فى الثقافة الشعبية، بل وفى السياسة الأمريكية. وبما يعنى أن (هوليوود)، لم تخلق تلك الشخصية من عدم. ولكنها جسدت شخصية رامبو الحاضرة فى المجتمع الأمريكى المعاصر.

لقد ظهر أول فيلم تحت عنوان(رامبو)، عام ١٩٨٢، ليقدم أحد متطوعى حرب فيتنام، وقد تحول لأن يكون ضحية للمجتمع، فيقرر أن يسلك طريق العنف.. ويسرد الفيلم قصة جون رامبو (سلفستر ستالونى)، أحد متطوعى العمليات الخاصة فى فيتنام، الذى يعود إلى أمريكا فلا يجد عملا.. ويتسكع فى شوارع مدينته الصغيرة (هوب)، فيحتجزه (شريف) المدينة لمظهره الرث وشعره الطويل.. وبسبب المعاملة السيئة من الشريف ومعاونيه، يهرب رامبو، ويقرر خوض حرب ضد السلطات المحلية والفيدرالية التى تسىء استخدام السلطة والنفوذ.. وفى نهاية الفيلم، يلتقى قائد وحدته العسكرية فى فيتنام فيخر أمامه صارخا بأنه كان بطلا فى حرب فيتنام، إلا أنه لا يستطيع الحصول على فرصة عمل. ويحمل المجتمع المسئولية.

وفى الجزء الثانى من (رامبو)، الذى عرض عام ١٩٨٥، يتحول رامبو إلى محارب من طراز سوبر مان، ليعود إلى فيتنام فى عملية انقاذ بطولية. وهو بذلك ينتمى إلى موجة أفلام العودة إلى فيتنام، مثل أفلام شاك نوريس. وتناولت تلك الموجة طراز سوبرمان، أو متطوعين جدد من الأبطال فوق العادة، لإنقاذ مجموعة من الجنود الأمريكيين فقدت فى عملية هناك، ومازالت محتجزة بواسطة الفيتناميين أو حلفائهم السوفيت (الأشرار)، وقد حاولت موجة (العودة إلى فيتنام)، فى السينما الأمريكية، تغطية أعراض المرض الفيتنامى فى أمريكا، من خلال إظهار صورة المحارب الأمريكى، على أنه بطل منتصر. وإثبات أن الأمريكى لا يقبل الهزيمة.

كما حاولت تلك الأفلام، تأكيد على المفارقة والصراع، بين الأمريكى الطيب البطل الذى ينجز مهامه الخيرة ببطولته، والأعداء الشيوعيين الذين يقومون بأعمال شريرة. ويلح رامبو وسائر إفلام ستالونى - نوريس على رسالة الرجل الأبيض (الضحية)، فى مواجهة الأعداء الخارجيين والشعوب والديانات والاثنيات الأخرى.



عودة رامبو .. باتمان .. القوة لتغطية الهزيمة فى فيتنام

بدءا برامبو الأول، فإن الفيلم يظهر القيمة الأمريكية الأساسية وهى (الفردية)، ولئن كانت فردية الستينيات ذات بعد اجتماعى مع حركة الحقوق المدنية والضمان الاجتماعى، فإن فردية الثمانينيات بدت لا اجتماعية، إذ إن فردية رامبو ضد النظام والمجتمع فى آن معا، رامبو المفتون بعضلاته ذو الشعر الطويل والجبهة العريضة والنباتى المأكل أقرب إلى الطبيعة، وعدوه الأساسى الدولة والآلة الحكومية المجهزة بالتكنولوجيا واللوائح النظامية والبيروقراطية الفاسدة.

هنا، يصبح رامبو، سينمائيا، قرينا للرئيس ريجان سياسيا. فالأخير أطلق عنان الفردية فى مواجهة المجتمع والحكومة، واستخدم القوة فى مواجهة الأعداء الأشرار وصولا إلى حرب النجوم. وفى رامبو الثانى، تظهر قيمة أمريكية ثانية وهى عدم القبول بالهزيمة بقدر ما يظهر عمق الجرح الأمريكى فى فيتنام وخسارة القوة الأمريكية، ولذلك تبدو أهمية القيام بأعمال تبدو بطولية خارقة من أجل التغطية على الهزيمة غير المعترف بها.. حالة ساد وماسوشية مركبة.

وللمقابلة، كانت حقبة الرئيس ريجان من أشد الحقب عدوانية وأكثرها من حيث التدخلات العسكرية الأمريكية فى التاريخ: غزو جرينادا، وإدارة وتمويل عمليات الكونترا فى نيكاراجوا، والإغارة على ليبيا، إلى جانب العديد من الحروب السرية والعمليات المغطاة بامتداد المعمورة.

إذن، رامبو كان التعبير السينمائى عن الحقبة الريجانية، أى حقبة الركود الاقتصادى، حيث لا يجد بطل فيتنام فرصة عمل، وللتغلب على الهزيمة والهروب من الركود تنصرف القوة الأمريكية فى التدخلات الخارجية.

لقد كان عرض (رامبو٢) حدثا فى تاريخ هوليوود. فقد بدأ عرضه فى ٢٠٧٤ دار عرض، وخلال الأيام الستة الأولى لعرضه زادت إيراداته على تكلفته التى بلغت ٢٧ مليون دولار، أى فى أقل من أسبوع [٦] وبلغت إيراداته خلال صيف ١٩٨٥ نحو ١٥٠ مليون دولار[٧].

وبعد عرض الفيلم، بيع أكثر من ٦٠٠ ألف ملصق حائط «رامبو» وصمم له ١١ نوعا من الأزرار، وانتجت مصدات سيارات (رامبو)، وعلقت على السيارات لافتات مثل:إذا كنت تحتاج إلى حراسة اطلب رامبو ومثل: رامبو السلاح الجديد للغرب ومثل: هذه السيارة يحميها رامبو.

ولم يتوقف الانتشار عند هذا الحد، فالرواية التى يستند إليها الفيلم بيع منها أكثر من ٨٠٠ ألف نسخة، وشريط فيديو الفيلم بيع منه ٤٥٠ ألف نسخة لدى طرحه أول مرة. كما أصبح رامبو علامة تجارية لأنواع من الملابس ولعب الأطفال والأسلحة وتسمت باسمه أنشطة تجارية[٨].

والسؤال: لماذا كان هذا الحضور القوى لرامبو؟

وأجابت على ذلك السؤال مجلة «بيبول» بأن رامبو لمس عصبا خاما فى أمريكا وأثار الاحساس بكلمات ريجان بأن الأمريكيين يجب عليهم الوقوف منتصبى القامة مرة ثانية. فخلال العشر السنوات الماضية ضحكنا من أنفسنا بعد سقوط سايجون وفضيحة ووترجيت، والآن جاء رامبو ليعلن أن كل شىء قد تغير(٩).

وبالنسبة لأى مشاهد. رامبو هو الرجل القوى غير الخاضع للسيطرة، الخطير والعنيف أحيانا، ومن ناحية أخرى، وبالنسبة للمشاهد الأمريكى، يقول رامبو إن الأمريكيين طيبون وبالعنف فقط يمكنهم أن يمنعوا الأعداء الأشرار من تهديد نظام ومستوى المعيشة (الأمريكية).

تلك هى ثقافة القوة الأمريكية، التى تكررت فى مضامين أفلام أخرى مثل (توب جن) و(إيران ايجل)، هنا، يكون رامبو قد جسد بعض قيم الثقافة الشعبية الأمريكية مثل الفردية والاعتماد على الذات والقوة. وهى قيم أمريكية أصيلة أصبحت (عدوانية) مع انكشاف العجز الأمريكى (فيتنام والركود)، وأطلقت عقالها (الريجانية) فى الثمانينيات، فى حمأة المواجهة مع الاتحاد السوفيتى. والآن، لابد من عدو جديد كموضوع لثقافة القوة الأمريكية والذى أصبح يتمثل فى العربى الإرهابى.

كان فيلم (النسر الحديدى) أيرن إيجل - بداية لتحول هوليوود والسياسة الأمريكية من المواجهة مع العدو السوفيتى إلى مواجهة العدو العربى، وباستخدام عنف التكنولوجيا العالية.

فالفيلم يصور انتصار مجموعة النسر الحديدى، فى نسف عملية نصب مفاعل نووى عربى، لتنهى بذلك التهديد بهجوم نووى قد يقوم به العرب، الذين يظهرون فى الفيلم بلا أصوات أو وجوه باعتبارهم شفرات لتهديد العالم، إلا أنهم أدنى من أن يظهروا كبشر.

وقبل النسر الحديدى، ظهرت أفلام لهوليوود تتناول العربى الإرهابى. ففى فيلم (دلتا فورس).. يقتل العرب سائحا صبيا ويختطفون شبابا أمريكيين.

وجاء فيلم (نافى سيلز) عام ١٩٩٠، ليصور العرب كمجموعة إرهابية تملك صواريخ ستينجر، وتهدد بها المدنيين الأبرياء. فتقوم مجموعة الكوماندوز (سيلز) بتدميرها باستخدام التكنولوجيا العالية، وقد اعتبر البعض هذا الفيلم (بروفة) للهجوم على العراق فى ١٩٩١.

وأخيرا، كان فيلم "أكاذيب حقيقية" ليصور العرب كمجموعة إرهابية تخطط لتدمير مفاعل نووى فى الولايات المتحدة.

ويجمع بين كل تلك الأفلام من (رامبو)، إلى (أكاذيب حقيقية)، إبراز المواجهة بين الغرب المتحضر والشرق المتوحش المتخلف البربرى. فيبدأ فيلم نافى سيلز بتقاطع مشاهد تجمع بين هجوم إرهابى على هليكوبتر للبحرية الأمريكية، وبين زفاف شاب أمريكى من الكوماندوز. وفى دلتا فور، والمنتقم، يختطف العرب الأبرياء كرهائن.

إنها هوليوود.. أو هى أمريكا التى تبحث دائما عن العدو.

(٤) أغانى "الراب" .. وتمرد الجيتو الزنجى

خلال معركة الرئاسة الأمريكية عام ١٩٩٢، بين الرئيس (الجمهورى) جورج بوش والمرشح الديمقراطى بيل كلينتون، كانت أغانى «الراب»، مجالا للمزايدة بين بوش وكلينتون.

وقتها،حمل الرئيس بوش على شريط لفريق (آيس تى)، بعنوان «حساب الجسد» لأنه تضمن أغنية عرفت باسم «الشرطى القاتل» فى ظروف حادث اعتداء شرطة لوس أنجلوس على الشاب الزنجى رودنى كينج. وبعد تحريض الرئيس للشرطة و «الميديا» المحافظة حذفت الأغنية من الشريط.

ومن جانبه، حمل المرشح الرئاسى بيل كلينتون على شريط الراب «بقوة ٣٦٠ درجة مئوية»، للمغنية سيستر صوليجا، لأنها تدعو الأمريكيين الأفارقة (الزنوج)، إلى الكشف عن قتل بعضهم لبعض، والتكاتف معا لقتل البيض.

وفى الحقيقة، أن الأمريكيين الأفارقة. درجوا تقليديا على التميز فى التعبير بالموسيقا، عن التمرد ضد الاضطهاد الذى يحسونه فى المجتمع الأمريكى، سواء من خلال «الجاز» أو«الروك» أو«البلوز»، إلا أن موسيقى الـ «راب» ظهرت بعد انتقال الأمريكيين الأفارقة، من الجنوب الأمريكى إلى المدن ما بعد الصناعية الكوزموبوليتانية، مثل نيويورك ولوس انجلوس، وبالتالى كانت تعبيرا عن تمردات السود والجيتو الزنجى فى مدن ما بعد الحداثة.

وكلمة «RAP» تكون الروف لعدة كلمات

وحرفـR من Rhyme بعنى قافية أوRhythmبمعنى إيقا ع.

وحرف A من And.

وحرفـP من POetry بمعنى الشعر أو politics بمعنى السياسة.

وبالتالى تعنى «راب»، ايقاعات أو قوافى الشعر..أو إيقاعات السياسة. وقد ظهرت أغانى وموسيقى الـ «راب» خلال عقد السبعينيات، إلا أنها أصبحت شعبية ومؤثرة فى عقد الثمانينيات. ففى ذلك العقد (الجمهورى)، وبتأثير السياسات المحافظة للرئيسين ريجان وبوش وركود الاقتصاد الأمريكى، تدهورت مستويات معيشة الأمريكيين الأفارقة، وزادت نسبة البطالة بينهم، كماكان عقد ظهور مرض«الإيدز» وانتشار الأمراض الناتجة عن الحرية الجنسوية، والمخدرات، والعصابات، والعنف فى نواحى مدن ما بعد الحداثة، وخصوصا فى ضواحى «الجيتو»، الزنجى.

ولذلك كانت ايقاعات وموسيقى الـ«راب» هي الاستجابة للسياسات والظروف الاقتصادية والاجتماعية في الثمانينيات فقد عبرت عن خطاب DISCOURSE زنجي، يعكس التمرد على تلك السياسات والأوضاع. ولذلك فإن معنى الـ «راب» لا يغني، وإنما يتحدث ويؤدي. يتخاطب مع فريق إنشاد (كورس) على ايقاع (نمطي) أو (سريع)، ويبدو التشابه هنا في العلاقة بين مؤدي الـ «راب» و «الكورس، من ناحية، والعلاقة بين خطيب سياسي ومؤيديه من ناحية أخرى، والعلاقة بين المنشد الديني وبطانته من ناحية ثالثة. وفي حفلات الـ «راب» يتحول الجمهور إلى «كورس» كبير، فيصبح الخطاب مباشرا بين مؤدي الـ «راب» والجمهور، ولأن موسيقى الـ «راب» موسقى ما بعد الحداثة، فإنها مسحورة بالتقدم التكنولوجي.. تعيد إنتاج الأنغام والمؤثرات بالآلات الإلكترونية. فعادة ما تستخدم تلك الآلات في إنتاج أصوات سيارات البوليس وطائرات الهليكوبتر واطلاق الرصاص وتهشيم الزجاج وإيماءات البشر والحيوانات وأصوات الطبيعة. كما تفجر المؤثرات الصوتية من أجل أن يكون الايقاع مسيطرا عاليا لا يترك للجمهور فرصة الانشغال عنه.

أما مضمون الخطاب بين مؤدي الـ «راب» وجمهوره، فإنه يمثل القضايا «الزنجية» في المجتمع الأمريكي، مثل التمييز العنصري لصالح البيض، والتحرش الجنسي بالمرأة الزنجية، والإيدز، والمخدرات في الجيتو الزنجي، والعلاقة بين الرجل والمرأة.. وليس غريبا أن يوصف الـ «راب» بأنه «سي. إن. إن» الزنوج، إشارة إلى الشبكة التليفزيونية «C.N.N» التي تنقل لجمهورها أخبار وقضايا واهتمامات المجتمع، فقد عبرت فرق الـ «راب» في أغانٍ عن حادث اعتداء بوليس لوس أنجلوس على الزنجي رودني كينج بالضرب، وصورت أغانٍ أخرى شخصيات سياسية مثل بوش وكلينتون وروبرت دول (رداً على نقدهم)، وداريل جيت رئيس بوليس لوس أنجلوس السابق(٤).

إن نظرة عامة على أسماء فرق وألبومات وأغاني الـ «راب» يمكن أن تعكس إلى حد ما اهتمامات ومشكلات الجيتو الزنجي في أمريكا، قوة ٣٦٠ درجة، رودني، السيد عاشق، العدو المشترك، الملكة لطيفة، بيت الألم، أبناء الجيتو، قاطع الطريق، العاشق المصري، الوشم النوبي، الخروف الأسود، الأمير العربي، فوق القانون، أفارقة، الله أكبر، الله واحد للجميع لطيف ورقيق، عاهرة بالطبيعة،والنوم مع العدو، وبشكل عام، تعكس تلك الأسماء قضايا التمييز العرقي والعنصرية والحب والجنس والانتماء والمواجهة والتمرد. كما تعكس دخول الثقافة الإسلامية من خلال الزنوج المسلمين الذين أدخلوا ايقاعات الانشاد الديني والايقاعات الصوفية، بالإضافة إلى معاني المساواة والإخاء والتوحيد الإسلامية في أغاني الـ«راب».

بيد أنه مع نهاية الثمانينيات وخلال التسعينيات، أصبح خطاب الـ «راب» أشد عنفا وأكثر إباحية، كرد فعلي على التطورات السياسية والاجتماعية في المجتمع الأمريكي، تاريخيا. كان الزنوج يصوتون للحزب الديمقراطي باعتباره الحزب الليبرالي والأكثر

انفتاحا على الأقليات العرقية، ولكن التسعينيات شهدت تحولا فى توجهات الحزب الديمقراطى مع الرئيس بيل كلينتون، الذى ركز فى حملته الانتخابية على أصوات البيض المنحدرين من الطبقة الوسطى وتحالف مع اللوبى اليهودى، وهو الوسط الانتخابى نفسه للجمهوريين. وكان المرشح الديمقراطى للرئاسة (كلينتون)، أشد قسوة فى هجومه على أغانى الراب، من منافسه الرئيس بوش الجمهورى عام ١٩٩٢ فقد هاجم بعنف ألبوم سيستر صولجا، مركزا هجومه على أغنية بقوة ٣٦٠ درجة مئوية، مما ترك الاطباع لأى مغنٍ للـ«راب»، بأنه لا فرق بين الديمقراطيين والجمهوريين. كما شهدت التسعينيات تحولا يمينيا خطيرا فى المجتمع الأمريكى، نتيجة الائتلاف بين الاتجاه المسيحى (السياسى)، والجمهوريين، وهو الائتلاف الذى سيطر ـ فيما بعد ـ على الكونجرس، بعد غياب ٤٥ يوما، ودفع بالتشريعات التى تضمنت ضرائب الأرباح الرأسمالية. وهى التشريعات التى زادت من إفقار واغتراب الجيتو الزنجى. وجاءت تلك التغييرات لتتضافر مع انعكاسات مشكلات الثمانينيات فى المجتمع مثل الإيدز والأمراض الجنسوية والعنف والاغتصاب.

وكانت أن استعارت أغانى الـ«راب» تعبير المخرج الشهير سبايك لى إنه «وقت التيقظ»، أى التيقظ لمواجهة المخاطر التى تحيق بالزنوج. غير أن (زمن التيقظ)، تحول لأن يكون زمن الرفض للثقافة السائدة فى المجتمع الأمريكى، ورفض ازدواجيته والاضطهاد والتحلل فى الجيتو الزنجى، وكما يقول البروفيسور دوجلاس كيللنر فى كتابه (ثقافة الميديا ١٩٩٤)، فإن أغانى الـ (راب)، أصبحت تجسد ما اعتبره الفيلسوف هربرت ماركيوز،عام ١٩٦٤«الرفض العظيم»، أى رفض السيطرة والاضهطاد.

ففى أغنية سيستر الأخير «الحل الأخير استعادة العبودية»، تتهم الرئيس الأمريكى ونائبه والكونجرس بإعادة العبودية، لأن الزنوج لم يتقدموا تكنولوجيا، وأساءوا استخدام الضمان الاجتماعى فى كثرة النسل. واتهم فريق (آيس كوب)، أمريكا بالفاشية، مستعيرا تعبيرات جماعة الـ (كلوكلوكس كلان)، ودعا فريق (آيس تى)، لثورة زنجية، كما وجه هجوما للرأسمالية والنظام الاقتصادى. وصور فريق (شاك دى)، فى أغنية «العدو المشترك»،النظام الأمريكى بأنه نظام قهر، طالبا وضع نهاية لاضطهاد الزنوج وإحداث تغيير اجتماعى جذرى.

كما تعرض الفريق لعنصرية البيض تجاه المرأة الزنجية،فى أغنية «الخوف من النجمة السوداء» ولعنصرية الرجل الأبيض تجاه الرجل الزنجى فى أغنية «العدو يضرب الأسود».

وروج الـ (راب)، فى التسعينيات، لمقولة إن الجيتو الزنجى يتعرض لمؤامرة دبرها أونكل سام (بمعنى الحكومة الأمريكية)، تهدف لنشر المخدرات والإيدز والعنف بين الزنوج، حسب ما ورد فى أغنية (أريد أن أقتل سام)، وألبوم «شهادة وفاة»، الذى يتضمن أن المجتمع يعطى للزنجى شهادة وفاة عاجلة وقت استخراجه شهادة ميلاده.

ومقابل الرفض بالمقاومة على النحو السابق، تضمنت أغانى الراب الرفض الاجتماعى من خلال الهروب فى الجنس والمخدرات والجريمة، مثلما تجسد فى أغنيات إن دبلو ايه (زنوج وسلوكيات)، مما ألب عليه المباحث الفيدرالية والصحافة الأمريكية.

ففى ألبوم «مائة ميل فى الشوارع»، يجسد الفريق (فانتازيا)، قطاع الطرق والمومسات فى الشوارع.

وفى أغنية (إيد)، لفريق آيس تى، وصف لشاب زنجى يهرب فى الكحول والمخدرات والقمار والجنس حتى كانت نهايته، وتصور أغنية (حساب الجسد)، للفريق نفسه أجواء الجريمة والعنف والجنس فى الجيتو الزنجى.

وتصور أغنية سيستر صولجيا، «ذهاب الزنجى»، هذا الهروب الانتحارى، حيث تقول:

الزنجى مصمم على الموت وأمه تصرخ، وأنا اسأل لماذا..

لماذا لا نفتح أعيننا على السبب
الزنجى مصمم على القتل والإثارة
الزنيجى مازال مثيرا رغم فوات الأوان.
الزنجى مازال يشرب.. يسكر.. حتى نتنت رائحته
لقد أصبح خزانا لجعة (سانت ادز)، ولا يكترث
الزنجى مازال يدخن.. بشره.. حتى الاختناق
لقد نفد ماله وأصبح مفلسا..
ولكنه مازال ينكث
الزنجيى مازال يعاشر النساء.. حتى فقد أسرته
لقد أصبح أبا انتهت صلاحيته.. وحين تسأله شيئا لا يجيب..
يهرش جسده.ويهيم فى الشوارع
لقد نشأ الزنجى جريئا فطريا بلا مسئولية
وعندما كبر قليلا وجد الأب يغتصب ابنته.. ثم يتركها
وبدلا من أن يرعاها الأخ..ينام معها ويغرق فى هموم أعمق
الزنجى مازال يثرير ويأكل.و..
جذوره تقطعت نسته ونساها.
يطالب بالوفرة ولا يستطيع الحصول على الضروريات

إننى أتعجب.. لماذا لا يتقظ ويصبح أكثر جدية
لماذا لا يتحرك لفعل الأفضل؟!
الزنجي كسول جدا ..مرتبك معتوه
لديه الكثير من الأطفال.. دون أجوبة عما قد يحدث
صبره ينفد بسهولة.. ولا يفكر.. أو ينظر
فهل يتحرك لفعل الأفضل؟

إن أغنية سيستر صولجيا تتضمن نقدا اجتماعيا حادا، للزنجى، وتطالبه بالتيقظ والتحرك من أجل التمرد، والتغيير بدلا من الهروب فى الجنس والمخدرات والكحول والجريمة. وتوالت أغنيات الراب المطالبة بالتمرد لفريق «آيس تى»، و«شابا رانكس»، و«شاك دى».

وبانتشار الدين الإسلامى فى الجيتو الزنجى، ظهرت فرق لموسيقى وأغنيات الراب، تعرض للبديل الإسلامى، كمنقذ من الانحلال مثل فريق (براند نوبيان)، وتحولت فرق تقليدية إلى الأخلاق والموضوعات الإسلامية. فبعد ألبوم (شهادة وفاة)، و (القتل بارادة)، تحول فريق آيس كوب، من التغنى بالعنصرية الفجة إلى التغنى بالتحول إلى الإسلام فى ألبوم (ليثال انجيكشن)، عن أسرة زنجية من أب وطفلين تحولت للإسلام. كما تحول فريق شابا رانكس فى الجزء الثانى من مجموعة (روف أند ريدى)، ليعكس المؤثرات الإسلامية. وهكذا تعكس أغانى الراب تمرد الجيتو الزنجى فى أمريكا ما بعد الحداثة. من خلال المقاومة أو الهروب أو الإسلام.

(٥) صورة الآخر فى الثقافة الشعبية: العربى "القبيح" نموذجا

تخطى الفيلسوف الفرنسى ميشيل فوكو الماركسية عندما أبرز المعرفة الإنسانية كقوة ـ سلطة، ترتبط عند من يمتلكها بـ"ميكانزمات" السيطرة على الآخر الذى هو موضوع المعرفة، متجاوزا «اقتصادية» ماركس.

وفى كتابه المهم «الاستشراق» يدين إدوار سعيد لفوكو بمفاهيم المعرفة والسلطة وميكانزمات السيطرة، حيث يصبح الاستشراق هو المعرفة، كما يتصورها الغرب عن الشرق، ومصدرا للقوة وميكانزمات السيطرة التى يمارسها الغرب عن الشرق كموضوع خارجى غرائبى مصيره الإقصاء والإبعاد، لأن الحقيقة هى الغرب والغرب فقط[١٠].

وتستبعد الثقافة الأمريكية، متأثرة بتراث الاستشراق الأوروبى، العرب والمسلمين،خارج نظام القيم الثقافية الأمريكية، الأوروبية، ويقول مايكل هانت: إن الذين يعتبرون خارج «النحن» الأمريكية، يستبعدون بأبوية واحتقار يشهدان على التأثير المتواصل لرؤية العالم مرتبطة بالثقافة ومنشغلة بشاغل اللون (البشرة)، رؤية تواصل وضع الأمم والشعوب فى تراتيبة يحدها من طرفها الأعلى الحضارة والحداثة ومن طرفها الأولى الهمجية والتقاليد.

وهذه الرؤية، تدخل الإسرائيليين ضمن «النحن»الأمريكية، كأوروبيين فى نزاع مع العرب السمر الملتحين المتعصبين ومتعددى الزوجات. كما غذت تلك الرؤية التعاطف مع بيض جنوب افريقيا (المتحضرين)، بدلا من أولئك السود الذين لم يخرجوا بعد من أصولهم القبلية (البدائية)[١١].

ومنذ الحرب العالمية الثانية، التى خرجت منها أمريكا كقوة اقتصادية وعسكرية عالمية، وبشكل أكثر بروزا بعد كل من الحروب العربية الإسرائيلية، أصبح العربى المسلم شخصية فى الثقافة الشعبية الأمريكية، تتحدد صورته من خلال معرفة «النحن» الأمريكية ـ الإسرائيلية، كصورة عامة شاحبة كبدوى رحل راكب جمل أوكصورة كاريكاتورية مقبولة كتجسيد لانعدام الكفاءة وللهزيمة السهلة.

إلا أنه بعد حرب ١٩٧٣، وكما يقول إدوارد سعيد، ظهر العربى فى كل مكان، شيئا أبعد تهديدا وأشد خطرا، وبرزت بانتظام رسوم ورقية تصور شيئا عربيا يقف وراء مضخة للبنزين. لكن هؤلاء العرب كانوا «ساميين»، وكانت أنوفهم المعقوفة بحدة، والنظرات الشذراء الخبيثة المرتبطة بالشوارب على وجوههم، تذكيرا واضحا (لجمهور غير سامى فى معظمه)، بأن الساميين هم سبب كل مشكلات ومصاعب (النحن)، والتى كانت فى هذه

المسألة بشكل رئيسى النقص فى البنزين وتحول العداء (الشعبى)، للسامية من هدف يهودى إلى آخر عربى بسلاسة(١٢).

هوليوليوود والعربى القبيح ..

مثلت «فانتازيا» الصحراء والإبل والحريم والجاسوسية (العربية)، التى تفنن «المجتمع الأمريكى»موضوعا أثير لدى هوليوود، منذ فيلم (الشيخ)، إلى أن تحولت فى أواخر الثمانينيات من العدو الشيوعى إلى «العدو الإرهابى»، مع انهيار الاتحاد السوفيتى. وحتى الأطفال، شدتهم «والت ديزنى»، إلى الصورة النمطية لبلاد العرب «البرابرة». وأنتجت فيلم الكرتون «علاء الدين». متضمنا أغنية «ألف ليلة وليلة» التى تقول: أوه: لقد جئت من بلاد ما.. من مكان بعيد حيث تجول قافلة إبل.. وحيث يقطعون أذنك.

إذا لم يعجبهم وجهك.. إنها بلاد بربرية، ولكنها... هه... بلاد!

وقامت قائمة العرب الأمريكيين بعد عرض الفيلم لحذف الأغنية.. ولم تكن النتيجة سوى حذف عبارة «حيث يقطعون أذنك»، عند توزيعه فى شرائط الفيديو، وظلت جملة «إنها بلاد بربرية ولكنها... بلاد!».. حتى أن صحيفة «نيويورك تايمز»، نشرت مقالا افتتاحيا عن الفيلم، تحت عنوان «إنه عنصرى.. لكنها ديزنى».. وأوردت أن الثقافة الشعبية الأمريكية تحوى «تعميمات بغيضة» عن الجماعات العرقية الدينية المختلفة. مثل «اليهودى البخيل»، و«الأيرلندى المغفل»، و «الأسود الكسول»، و «الصينى الرث».

غيرأن «نيويورك تايمز» أشارت إلى صعوبة الدفاع عن العرب والمسلمين أمام حقائق مثل أن صدام حسين هو «وضيع» هذه الأيام، وأن إرهابيين من أقطار عربية هددوا بتفجير نيويورك. كما أن رجال البوليس فى إيران سجنوا نساء لأنهن مكشوفات الرأس. بالإضافة إلى أن رجال الدين أفتوا بقتل مؤلفين باعتبارهم كفارا.

إن التعميمات البغيضة والصور المشوهة عن العرب قديمة قدم هوليوود.. وإذا كان أول استوديوهات الأفلام، ذلك الذى بناه توماس أديسون فيلم كان اسمه «رقصة المحجبات السبعة».

ويحصى د. لورانس ميلشالاك ٨٧ فيلما على الأقل انتجت فى العشرينيات كان فيها دور بطولة أو دور ثانوى يتعلق بالعرب، وكانت تلك الأفلام فى أغلبها أفلام ميلودراما مدهشة تدورحول مغامرات فى الصحراء مرتبطة بالجنس والعنف، وتظهر العرب وهم يخطفون نساء بيضاء أو يشنون غارات قبلية على معسكرات الفرنسيين والإنجليز، ومن تلك الأفلام، فيلم «الشيخ»، (١٩٢١)، و «مقهى فى القاهرة»، (١٩٢٤) و «عروس الصحراء»، (١٩٢٨).

وشهدت مرحلتى الثلاثينيات والأربعينيات إنتاج أفلام جديدة عن العرب، أشهرها «كازابلانكا»، (١٩٤٢)، الذى مثلته انجريد برجمان وهمفرى بوجارت. وظلت صورة العرب بوصفهم بدوا قطاع طرق يسعى الفرنسيون والإنجليز لمدينتهم.

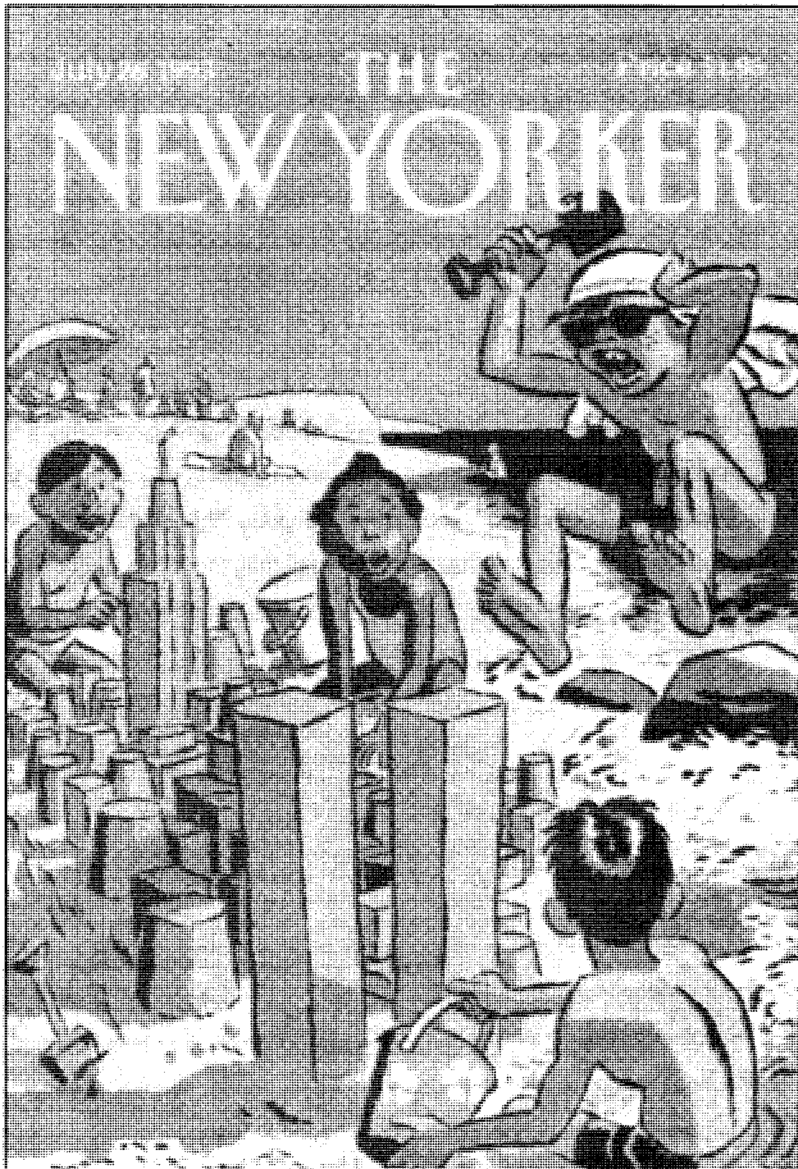
وخلال الخمسينيات والستينيات، أضيفت موضوعات الجاسوسية والصراع العربى - الإسرائيلى على خلفية الصحراء والمغامرات، فى الأفلام الأمريكية عن العرب. ويعتبر فيلم«لورانس العرب»، (١٩٦٢)، علامة مميزة فى هذا الاتجاه، حيث نال سبعا من جوائز الأوسكار وحاز لقب أحسن فيلم خلال هذا العام. وعلى الرغم من أن الفيلم يعكس بعدا إنسانيا فيما يتعلق بالعرب، فإنه يظهرهم فى النهاية كعاجزين منشقين إلى قبائل متقاتلة عند وصولهم إلى دمشق، التى يتفشى الفساد فى إدارتها، فينسحبون ويدخلها البريطانيون.

وجاء فيلم فينيكس (العنقاء - ١٩٦٢)، ليصور العربى المنعدم الضمير والشخصية، حيث نرى جيمس ستيوارت بطل فيلم، يقود طائرة تعطلت فى صحراء ليبيا، ويطلب اثنان من ركابها المساعدة من قافلة عربية، إلا أن العرب يقطعون عنقيهما بلا سبب.

وكان من أبرز أفلام الصراع العربى - الإسرائيلى فيلم اكسوس «الخروج»، (١٩٦٦)، وفيه يقتل العرب بوحشية فتاة من معسكر اللاجئين فى الخامسة عشرة من عمرها، وفى فيلم«كاست إلى جانيت شاود»، (١٩٦٦)، يضحك العرب ويهللون بعدما قتلوا فتاة إسرائيلية لم تتمكن من الخروج من سيارة نقل انحدرت إلى أسفل الوادى.

وخلال سنوات السبعينيات التى شهدت تصاعد عمليات المقاومة الفلسطينية، ثم حرب أكتوبر ١٩٧٣، واستخدام العرب سلاح البترول، أصابت الأمريكيين «فوبيا »ما يسمى «الإرهاب العربى»، من جانب، والاعتماد الاقتصادى على العرب من جانب آخر، حتى أن جين فوندا التى عكست وعيا سياسيا من خلال رفضها حرب فيتنام وقعت فى ذلك الفخ، فقد قامت ببطولة فيلم «رول أوفر» الذى صور العرب وكأنهم يحطمون النظام العالمى. وقالت فى مقابلة صحفية، دفاعا عن الفيلم: «إن رسالتى واضحة جدا، وهى أنه إذا لم نخف العرب فإن علينا فحص عقولنا.. إنهم يسيطرون علينا استراتيجيا، ولا يمكن الاعتماد عليهم.. إنهم متعصبون دينيا.. يؤمنون بالترجمة الحرفية للدين، مستبدون، معادون للمرأة والصحافة الحرة.. إن الاعتماد عليهم أمر رهيب».

وفى فيلم «دى وند آنذا ليون»، - أى الريح والأسد - (١٩٧٥)، يقوم العرب باختطاف امرأة «كاندزبيرجن»، فى المغرب، ويطالبون الرئيس روزفلت بفدية هائلة لتحريرها، وفى فيلم «نتورك»، (١٩٧٧)، يطل المعلق الإخبارى قائلا: إن العرب يستولون على أمريكا، ويصفهم بأنهم متعصبون من القرون الوسطى، ويصور فيلم «بلاك صنداى»، - الأحد



غلاف مجلة «ذا نيو يوركر» .. يصور الطفل العربى كإرهابى يدمر مركز التجارة العالمى

الأسود - (١٩٧٧)، قصة تدور حول إرهابيين من العرب يتآمرون لقتل المتفرجين على المباراة الكبرى للعبة كرة القدم، وبينهم الرئيس الأمريكى، والبطولة فى الفيلم لضابط إسرائيلى يحبط المؤامرة التى تخطط لها منظمة يرمز لها على أنها «منظمة أيلول الأسود».

ومع بداية الثمانينيات، وفى ظل وجول العدو السوفيتى، استمرت موجة أفلام الرهائن والابتزاز. مثال ذلك فيلم «رونج إز رايت»، - أى الخطأ هو الصحيح - (١٩٨٢)، الذى يدور حول ملك عربى مستعد لتسليم قنبلتين نوويتين لقادة ثوريين كالزعيم الليبى معمر القذافى، لتفجيرهما فى إسرائيل ونيويورك، إلا إذا استقال الرئيس الأمريكى.

وفى فيلم «ساهارا»، أى الصحراء - (١٩٨٢)، تختطف بروك شيلدز وتغتصب ثم تسحر من قبل شيخ عربى (ريتشارد جير).

غير أن فيلم «إيرن إيجل»، - النسر الحديدى - بجزءيه الأول (١٩٨٥)، والثانى (١٩٨٨)، يمثل نقطة التحول فى السينما الأمريكية من العدو الشيوعى إلى العدو العربى. وسوف يمهد هذا الفيلم إلى رسم شبح عدو عربى خارق، يتجسد - فيما بعد - فى صدام حسين. وقد حظى الجزء الأول من الفيلم بدعم الحكومة الإسرائيلية، التى أمدته بطائرات «فانتوم إف ١٦»، والطيارين والمستشارين العسكريين.

وإذا كان القائد فى الجزء الأول من الفيلم يشبه إلى حد كبير صدام حسين، فإن البلد العربى فى الجزء الثانى قد يكون العراق. ويصور الجزء الأول عملية تخليص رهينة أمريكية، أما الجزء الثانى، فيصور عملية ضرب مفاعل نووى فى بلد عربى. بصورة أشبه بتدمير إسرائيل المفاعل النووى العراقى عام ١٩٨١، وينتهى بشكر وزارة الدفاع وقوات جيش الدفاع والقوات الجوية فى إسرائيل. وبذلك يعفى المشاهد من التفكير فيما إذا كانت تلك الدولة العربية هى العراق أم لا؟.

وكثيرا ما كتب نقاد سينمائيون عن أن هوليوود تخدم السياسة الأمريكية الخارجية وتتبعها، ولذلك اعتبر الجزء الثانى من «النسر الحديدى»، بداية التغيير فى دعم علاقة أمريكا للعراق خلال الحرب مع إيران. باتجاه ضرب أمريكا للعراق.

وتتوالى خلال الثمانينيات أفلام هوليوود، التى تجسد صورة «العدو العربى الخارق»، البديل للعدو الشيوعى السابق. مثل «ذا دلتا فورس»، (١٩٨٦)، والمنتقم (١٩٨٦)، و «الموت قبل العار»، (١٩٨٧)، و «سرقة السماء»، (١٩٨٨)، حتى «نافى سيلز»، (١٩٩٠)، وفى كل تلك الأفلام، يمتلك العدو العربى الخارق أسلحة دمار شامل (نووية)، وصواريخ «ستينجر»يهدد بها الأبرياء الذين يتدخل الأمريكى الطيب من أجل حمايتهم. أى أن المواجهة بين الأمريكى الطيب والشيوعى الشرير، تحولت إلى مواجهة مع العربى الشرير. وبعد حادث مركز التجارة العالمى (١٩٩٢)،تنقل هوليوود المواجهة إلى داخل الولايات

المتحدة عبر فيلم «أكاذيب حقيقية»، (١٩٩٣)، حيث العرب مسلمون متطرفون أشرار ينفذون مؤامرة لتفجير مفاعل نووى فى فلوريدا.

وكان آخر ما انتجته هوليوود المعادية للعرب فيلم «دون جوان»، (١٩٩٥)، فى عودة لا معنى لها لحياة الحريم العربى، إلا إذا كانت استئنافا للأفلام الأولى فى الموضوع. ففيه يقوم مارلوم براندو بجولة فى «الحرملك العربى». ليقول لنا إن بطل الفيلم مارس الغرام مع ١٥٠ امرأة عربية، وليفجر فينا السؤال، كل هذا الحب للعرب؟!

صورة العربى فى الصحافة ..
والتليفزيون والكتب الأكثر مبيعا ..

إذاما تجاوزنا «هوليوود» وسيل الأفلام السينمائية التى تنتجها عن العربى الإرهابى المهووس جنسيا، فإن الصحافة وشبكات التليفزيون لا تترك مناسبة ـ أو دون مناسبة ـ للترويج لصورة العربى القبيح.

ففى عددها الصادر فى ٣ يوليو ١٩٩٣، نشرت «واشنطن بوست»، رسما لزحام بين المهاجرين، تحت عنوان: دعنا نبحث عن «أبو»،أى العربى. وتحت الرسم تعليق يقول: ستجده إذا وجدت فتيل القنبلة. وإذا لم تجد الفتيل خلال ٤٠ ثانية ستصبح قتيلا. وزايدت مجلة «ذانيو يوركر»، فى عدد ٢٦ يوليو ١٩٩٣، بغلاف يصور أطفالا ينبون قصورا من الرمال على شاطئ البحر، أخذت أشكال مبنى مركز التجارة العالمى معالم مدينة نيويورك، بينما يظهر طفل عربى «إرهابى» يقفز لتفجير مركز التجارة العالمى.

وقبل ذلك كانت شبكة «س. بى. إس»، قد أجرت لقاءات عام ١٩٩٢، عن العرب والإسلام، قال فيها الدكتور هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأسبق: «إنك لا يمكن أن تصدق أى عربى»، وأطلق دان كويل نائب الرئيس الأمريكى السابق مقولته: «المسلمون قادمون». وحذر بات روبرتسون المرشح الرئاسى من أن أمريكا يجرى غزوها من المسلمين.. لقد وجد تصاعد العداء للعرب والمسلمين فى الإعلام الأمريكى خلال التسعينيات، قبولا من الأمريكيين، بعد حادث تفجير مركز التجارة العالمى، والمحاولة الفاشلة لتفجير مبنى الأمم المتحدة ومعالم فى مدينة نيويورك. والمسلمين، ونشطت الصحافة والتليفزيون لإثبات التهمة لجمهور يسهل عليه التصديق. فخلال ساعات، استدعت شبكة (سى. بى.إس)، فؤاد عجمى (باعتباره العربى الأمريكى المتحيز ضد العرب)، وستيفن إيمرسون (الذى أنتج الفيلم التسجيلى المبتذل عن الجهاد فى أمريكا).

واتهمت نيويورك تايمز مع وول ستريت جورنال. فى اليوم التالى رجلين ذوى ملامح شرق أوسطية بارتكاب الحادث. وكتب إيه. إم. روزنتال الكاتب اليهودى الليكودى فى

«واشنطن بوست»، مقالا (عدد ٢٢ ابريل)، يدعو فيه إلى قصف ليبيا وسوريا. وقبض على مواطنى أردنى أمريكى فى مطار هيثرو بلندن. بينما تعرضت زوجته للتحرش والإهانة. كما اسقطت امرأة عربية جنينها عندما حاصر غوغاء غاضبون منزلها. وعشناء، كصحفيين عرب فى أمريكا، نحو٦٠ ساعة، تحيط بنا اتهامات أعين الأمريكيين وأسئلة المباحث الفيدرالية والصيحات المطالبة بوضع العرب فى معسكرات، كما حدث مع اليابانيين الأمريكيين خلال الحرب العالمية الثانية، ثم تبين أن الذى نفذ المؤامرة مواطن أمريكى اسمه تيموثى ماكفاى، وليس عربيا.

وفى الحق أن الصورة النمطية للعربى القبيح الإرهابى، جاهزة دائما بسبب ودون سبب منذ ما قبل التسعينيات، وما قبل الحوادث الإرهابية، التى تعرضت لها أمريكا وكلنا نذكر رسوم الكاريكاتير للرسام الشهير «أوليفانت» التى تصور العرب ملتحين، ذوى أجسام بدينة وأنوف معقوفة يجلسون على الأرض وأمامهم الشواء والنساء، ويذكر قاموس ميريام وبستر الأمريكى، المعانى التالية كمترادفات للفظ العربى: قاطع رقاب، نصاب،غشاش، مساوم، متسكع، متشرد.. ويعرف مرجع أكسفورد للأطفال، العربى بأنه تاجر نصاب، أو عامل رث الثياب، أو فلاح يركب حماره ويترك زوجته تسير خلفه فى ثيابها السوداء حاملة حملا فوق رأسها.

ويصف مرجع أكسفورد، الأب العربى بأنه لا يدع فرصة لأطفاله للهو، بل يجبرهم على العمل معه.

كما أن الأخ يقتل أخته المراهقة إذا شاع عنها سوء سلوك، وينال بذلك استحسان جيرانه، ولا يستطيع المرء أن يحصر المسلسلات التليفزيونية، التى تعكس الصورة النمطية، للعربى القبيح الإرهابى، ولكن الأمثلة عديدة. ففى مسلسل «دالاس» يصف جى آر العرب بأنهم سكان الخيام الملاعين، وفى «ريمنجتون ستيل» العرب أكثر نازية من النازيين، وفى «كاونتر سترايك» يغزو العرب الولايات المتحدة، وفى «كوانتم ليب»، يسعى عالم الآثار المصرى لقتل زميله وزميلته الأمريكيين، وفى «سمول وندر»، العربى هو راعى إبل ومالك آبار بترول ونساء وديوس.. وفى «ستريت جيستز»، العرب إرهابيون يفجرون سيارات مفخخة مما يؤدى إلى مقتل أبرياء أمريكيين.

وتقدم الروايات «الأكثر مبيعا»، الصورة النمطية نفسها للعربى البشع. ففى رواية «عرض أيخمان» العرب معادون للسامية ومهتمون بالتحضير لهولوكست جديد. وفى رواية «الحاج»، عربى متزوج من عدة زوجات ولا يكتفى بهن ويقضى الليالى مع الساقطات. وفى رواية حوار مع الملائكة، فإن ٩٠٪ من النساء المصريات تعرضن للختان، ولذلك فإن زينب - بطلة الرواية - التى درست فى أمريكا، تعانى الاحباط النفسى، وتنضم إلى جماعات دينية إرهابية فتجد ارتواءها الجنسى فى القتل، واستحقت الرواية - بذلك - أن ترشحها مجلة

«بلاى بودى»، على غلافها كأحسن كتاب، إن عربا أمريكيين مثل البروفسور إدوارد سعيد وجاك شاهين وادموند غريب، حاولوا فى كتاباتهم فضح«الصورة النمطية للعربى»، فى الإعلام الأمريكى. كما تحركت اللجنة العربية الأمريكية لمكافحة التمييز، بالاحتجاج على الصحف وشبكات التليفزيون الأمريكية. وانتقد مثقفون أمريكيون مثل نعوم شومسكى أستاذ اللسانيات الشهير وهوارد روزنبرج أحد النقاد فى صحيفة «لوس أنجلوس تايمز»، ظاهرة العداء للعرب والمسلمين فى الإعلام الأمريكى، وفى حين أن تفسير تلك الظاهرة، استند إلى أسانيد تاريخية مثل الحروب الصليبية، وفتح المسلمين للأندلس، وحصار الامبراطورية العثمانية لفيننا ١٦٨٣، وصولا إلى الحظر البترولى عام ١٩٧٣،إلا أن ترويج العداء للعرب فى الإعلام الأمريكى يمثل عملا سياسيا مخططا لضمان انحياز الرأى العام الأمريكى إلى إسرائيل وضد العرب. ولتحقيق هذا الهدف. فإن من لا يشارك فيه قد يصبح عرضة للتشهير مثلما حدث مع بيتر آرنت (مراسل. سى. إن. إن)، فى بغداد فى أثناء (حرب الخليج)، ومع بيتر جيننجز (مذيع شبكة إيه.. بى.سى)، لدرجة اتهامه بالغباء والحمق وأنه غير أمريكى.

وفى كتابه «ثقافة الإعلام»، يقول دوجلاس كيللنر إنه مما يزيد من الدعاية ضد العرب فى الولايات المتحدة، أنها أصبحت عملا تجاريا «ساخنا»، يمتد إلى الصور المطبوعة على الملابس.

مثلا: صورة تى شيرت لأحد جنود البحرية الأمريكية (المارينز)، يشير بأصبعه إلى «عربى»، ملقى على الأرض، ويقول له: كم سعر البترول الآن؟. وصورة أخرى، لطائرات عسكرية تهاجم «عربيا»، فوق جمل، وتحتها تعليق يقول: سنطير ١٠ آلاف ميل لنحرق لك الجمل! وبعد سقوط الاتحاد السوفيتى، وحلول «الإسلام»، محل «الشيوعية»، كخطر يهدد الغرب، كما تروج وسائل الإعلام ومراكز الأبحاث، انضم المتخصصون فى التاريخ والعلوم السياسية لجوقة الترويج للعداء للإسلام، مثل برنارد لويس وصمويل هانتنجتون وجوديث ميللر. وآخر تلك الأمثلة، ما نشرته مجلة «ذا ناشيونال تايمز»، فى عدد مايو ١٩٩٥، للبروفسور. هارولد بلوم. فإلى جانب صورة زيتية متخيلة للنبى محمد (صلى الله عليه وسلم)، يمتطى فرسا ويمتشق سيفا وسط تجريدة عسكرية، يقول بلوم إن ثقافة المجتمعات الإسلامية تعتبر محمد (صلى الله عليه وسلم) رجل سلام. إلا أنه يمكن أن يوصف بأى شىء إلا ذلك، ويقتبس عن إلياس كانيتى، الحائز على جائزة نوبل، أن الإسلام دين قاتل.. وينتهى إلى أن هناك ١٠٠ مليون من الإرهابيين المسلمين!!.

يقول إيلى فيزيل، وهو كاتب يهودى: هناك أناس طيبون وأناس أشرار فى كل جماعة بشرية، لكن إذا شوهنا صورة أى شعب بكامله، فإننا نلحق الأذى بذلك الشعب وبأنفسنا أيضا.

ويقول آلان رفكين الكاتب والمنتج اليهودى الأمريكى الشهير «عندما أرى يهوديا فى صورة شايلوك أريد أن أبكى. ولذلك أعلم كيف يشعر العربى عندما يصور على أنه قاتل».



رادولف فالنتينو فى فيلم « الشيخ »

خاتمة
تفكيك أمريكا

كان التفكيك The Deconstruction، فى تقاليد المدرسة الأمريكية (جامعة بيل) يقتصر على النصوص الأدبية. وأعطت المدرسة الفرنسية، بأعمال ميشيل فوكو وجاك دريدا، للتفكيك منحى بعد بنيوى.ثم تطور التفكيك ليصبح فلسفيا واجتماعيا وليس أدبيا فقط.

وفى جامعة نيويورك، تتلمذنا على يد البروفيسور هارولد بلوم. الذى نقل«التفكيك» من مجال النقد الأدبى إلى «النقد الاجتماعى السياسى»، بدراساته عن الدين فى أمريكا. ففى النقد الأدبى، يهدف التفكيك للبحث عن «العنصر الجمالى» فى القصيدة أو القصة أو الرواية أو المسرحية. أما فى النقد الاجتماعى والسياسى فيهدف التفكيك للبحث عن عنصر التجربة الإنسانية الفردية، والجماعية.

وهنا، فإن «تفكيك أمريكا» محاولة للبحث عن عنصر التجربة الإنسانية، الفردية والجماعية فى أمريكا، بالاستفادة بمفاهيم ميشيل فوكو للمعرفة والسلطة وميكانزمات السلطة والذات، وباستخدام مفهوم هارولد بلوم لعنصر التجربة الإنسانية، ولذلك، اعتمدنا فى«تفكيك أمريكا» ليس فقط على «النصوص» الأمريكية المتمثلة فى إعلان الاستقلال والدستور وكتابات الرواد المؤسسين والمعاصرين، وإنما أيضا على سلوكيات وتجارب الأمريكيين فى ممارسة حقوق الحياة والحرية وطلب السعادة التى كفلها إعلان الاستقلال.

والتجربة الإنسانية الأمريكية، فرديا وجماعيا هى عملية Process غير خالية من التناقضات. فالمجتمع من خلال تكنولوجياته، يحاول تشكيل الفرد وتحديد طرق معيشته ضمن عملية للسيطرة على الأجسام والأفكار والعلاقات. وبالمقابل، فإن الأفراد من خلال تكنولوجيا ذاتية، يمارسون الحياة والحرية وطلب السعادة. وفى داخل عملية التفاعل بين تكنولوجيات المجتمع - السلطة وتكنولوجيات الذات، يتحقق تنوع أو تفرد التجربة الإنسانية.

وكقادم من ثقافة مغايرة، وتجربة إنسانية مغايرة، بدت لى أمريكا، أول عهدى بالعيش فيها، كالهرم الأكبر مرصوصة البنيان، متسعة، شاهقة، مستعصية على«التفكيك». وكان البحث عن «السمنت» بتعبير جونارميردال، الذى تراص به البنيان الأمريكى. هذا السمنت، رآه أليكس دى توكفيل،قبل قرن ونصف قرن، فى الحرية الديمقراطية، ووصفه ميردال بـ«العقيدة الأمريكية» فقد رأى أن الأمريكيين من مختلف الأصوال والمناطق والعقائد والألوان تجمع بينهم الأفكار عن الكرامة والمساواة والحقوق غير المنقوصة فى الحرية والعدل وتكافؤ الفرص. واعتبر جيمس برايس أن المؤسسات والعادات والأفكار الأمريكية يمارسها القادمون من كل الأعراف، وسرعان ما تجتذب وتصهر الأجسام الغريبة داخلها.

لقد درج الباحثون والرحالة والصحفيون، على وصف أمريكا بأنها «بوتقة صهر». وبمعنى ما، أن الأفكار والقيم والمؤسسات الأمريكية (الأنجلوساكسونية) حولت أمريكا إلى بوتقة تصهر داخلها كل من دخله، حتى أن الرئيس ثيودور روزفلت، وصف الأمريكيين بأنهم «أطفال البوتقة».

ومن هنا، كان البحث عن الأفكار والقيم التى تتصف بها الشخصية الأمريكية، من خلال النصوص والتجربة الأمريكية. وكانت صفات«الفرونتيير». أى الرائدالمكتشف، هى التى ميزت الشخصية الأمريكية بروح الريادة والاكتشاف. فالرواد المكتشفون تحركوا من الساحل الشرقى،لاجتياح غرب البلاد،حتى انتهوا من فتح القارة ثم تحرك أحفادهم لأمركة العالم.

وقد ارتبطت بصفات الفرونتيير، قيمة البراجماتية(العملية). فمنذ بداية التاريخ الأمريكى، تكون لدى الأمريكى شعور بأنه يغزو برية وينتزع من الطبيعة مساحة لا حد لها من الأراضى البكر، الأمر الذى معناه أن أكثر الصفات الإنسانية قيمة هى صفة الرجل العملى لا النظرى.

كما ارتبطت بتجربة الفرونتيير، صفة تقديس الحرية والفردية، لتمثل الحرية الفردية صميم الثقافة الأمريكية. فالحرية الاقتصادية تقدس الملكية الفردية، والحرية السياسية تعلى الفرد على الجماعة، والحرية الدينية تقوم على فردية التجربة الدينية التى لا تقبل وجود كنيسة أو مذهب دينى للدولة، وحرية التعبير ترفض رقابة الدولة أو الكنيسة.

لقد كانت أمريكا للمهاجرين الأوائل بمثابة أرض الحرية «أرض الميعاد»، التى فروا إليها من ظلم فرعون «الملك الإنجليزى جيمس الأول» على أرض مصر (إنجلترا). وعندما وصلت المجموعة الثانية من المستوطنين إلى شاطئ نيوانجلند،عام١٧٦٠، على ظهر السفينة ماى فلاور، وقعوا فيما بينهم وثيقة «عهد ماى فلاور» حددوا فيه طريقة الحياة التى يرغبونها، وأسس «مجتمع الحرية» فى أورشليم الجديدة (أمريكا). وتكشف قراءة عهد «ماى فلاور» أن أولئك المستوطنين الأوائل، هاجروا من أوروبا ومن ثم كانت مغامرة اكتشاف أمريكا والهجرة إليها مغامرة من أجل الحرية، ولذلك، تضمن إعلان الاستقلال الأمريكى «إن جميع الناس يولدون متساوين، وأن خالقهم منحهم حقوقا ثابتة غير منقوصة منها حق الحياة والحرية وطلب السعادة». وعندما أرسل جيمس مادسون «مسودة الدستور» إلى توماس جيفرسون فى فرنسا، نبهه الأخير إلى خلو ديباجة الدستور من الإشارة إلى ضمان الحرية الإنسانية، التى تبدأ بالحرية الدينية، كما قال جيفرسون. وكان ذلك موضوع التعديل الأول للدستور ولئن كان الأمريكيون المؤسسون، قد هدفوا وعملوا لأن تكون أمريكا، أرض الحرية - أرض الميعاد، فإنهم بعد أن استكملوا غزو القارة الأمريكية،

هدفوا لأن يصبحوا «حراس معاقل الحرية فى العالم» بتعبير الرئيس كنيدى. فعند منتصف القرن التاسع عشر، صاغ جون أوسوليفان، فكرة «المصير المبين» بمعنى أن الرب قدر لأمريكا أن تقود العالم إلى الحرية. وصل الأمر إلى درجة من الاعتقاد الرسولى فى نشر«الحلم الأمريكى فى الحرية» فى العالم، أو أمركة العالم. ومع بداية القرن العشرين، وتحت تأثير نظرية «المصير المبين» ستمد الولايات المتحدة نفوذها إلى أمريكا اللاتينية، ثم تدخل الحربين العالميتين، وتتدخل فى كل أرجاء المعمورة، حتى أصبح القرن العشرون ـ بحق«القرن الأمريكى» بتعبير هنرى لوس. وما جعل القرن العشرون. «قرن أمريكا» ،عاملان أساسيان هما:العقيدة والثقافة الأمريكية، والقدرة الأمريكية.

العقيدة الأمريكية هى الحرية، اقتصاديا (المشروع الخاص)، وسياسيا (الديمقراطية الليبرالية)، ودينيا (لا كنيسة ولا مذهب دينى للدولة). والعقيدة الأمريكية، أيضا، هى أفكار: الفرونتيير، والبراجماتية، والمصير المبين، فى ارتباطها بفكرة الحرية، وفى دولة ـ قارة، تتسم بالوفرة، اطلقت العقيدة الأمريكية، من أمريكا قوة عالمية اقتصاديا. فبعد الحرب العالمية الثانية كانت الولايات المتحدة تنتج نحو ٥٠٪ من الإنتاج العالمى، وأصبحت أكبر دائن للعالم،إذ ارتفعت الاستثمارات الأمريكية فى الخارج إلى ١٩ مليار دولارعام ١٩٥٠ ثم إلى ٤٩ مليارا عام ١٩٦٠ ثم٨١ مليارا عام ١٩٦٥،كما أصبح للولايات المتحدة ٦٠٪ من اجمالى احتياطيات العالم النقدية بالذهب. وقدمت أمريكا برامج مساعدة اقتصادية للعالم مثل خطة مارشال لإعادة إعمار أوروبا، ومشروع النقاط الأربع لمنع وقوع بعض الدول فى الفلك السوفينى، بالإضافة إلى برامج المساعدات الغذائية خصوصا من القمح.

غير أن محاولة تفكيك أمريكا، ما تلبث أن تكشف عن أن القرن الأمريكى إلى أفول، بالرغم من أن العالم أصبح يعيش ما تسمى «اللحظة الأمريكية» بعد سقوط الاتحاد السوفينى.

وفى الحق أن أفول القرن الأمريكى، يرجع إلى الأزمة التى تعانيها العقيدة والثقافة الأمريكية. لقد انطوى الحلم الأمريكى فى الحرية، بالرغم من ثوريته، على ازدواجية أخلاقية وسياسية، منذ قيام الجمهورية الأمريكية. ففى حين أن إعلان الاستقلال، كفل الحق فى الحرية، إلا أن الإعلان وضع مسئولية العبودية على كاهل إنجلترا التى تقوم بحرب قرصنة وتبيع الأفارقة فى سوق النخاسة (أمريكا). بل إن توماس جيفرسون الذى أسس العقيدة الأمريكية فى الحرية والمساواة، لم تمتد رؤيته إلى الزنوج، وأبدى تشككه فى أن العنصرين: الأبيض والأسود، يمكن أن يعيشا تحت حكومة واحدة متساوين فى الحرية، وهذه الازدواجية، ما لبثت أن توثقت فى نص الدستور الأمريكى، إذ لم يذكر للزنجى أوضع فى الدستور، وتطلب الأمر نحو قرنين من الزمان، حتى وافق الكونجرس عام ١٨٦٣ على تعديل دستورى لحظر العبودية، وقرن إضافى حتى صدور قانون الحقوق المدنية

١٩٦٨، إلا أنه ـ حتى الآن ـ ظلت المعضلة هى المساواة مع الفصل العنصرى، أى المساواة القانونية بين البيض والزنوج مع الفصل العنصرى اجتماعيا وسياسيا.

إن العقيدة والثقافة، اللتين جعلتا من أمريكا «بوتقة صهر» أصبحتا تواجهان بتعددية ـ انفصالية اثنية وثقافية. وبحساب أن معدلات النمو السكانى والهجرة، فى غير صالح البيض، فإن وتيرة التعددية ـ الانفصالية تتصاعد مقابل ضعف الوحدة الثقافية، إن تناقضات الحرية والمساواة فى التجربة الأمريكية، تمتد إلى النزاع بين المال والسياسية، أى بين الرأسمالية والديمقراطية.

لقد ولد نزاع الملكية والمساواة أو الرأسمالية والديمقراطية، مع ولادة الجمهورية الأمريكية. ففى حين دافع توماس جيفرسون عن المساواة، كان ألكسندر هاملتون (أول وزير للخزانة مع الرئيس جورج واشنطن) يدعو إلى حكم الأغنياء. وانتقل هذا التنازع لدى وضع الدستور بإقرار حق الانتخاب العام وبإقرار مجلسين للكونجرس ليكون مجلس الشيوخ لمن هم أكبر سنا وأكثر محافظة وثراء. وتأسس على نزع الملكية والمساواة، النظام الحزبى، ليمثل الحزب الديمقراطى المصالح الشعبية ويدافع الحزب الجمهورى عن قيم البرجوازية الصناعية. وما لبثت الرأسمالية أن حولت الديمقراطية إلى واجهة تستطيع من ورائها الانطلاق بكل أمان. ولعور نظام التمويل الانتخابى الأمريكى، أصبح المال يستخدم لشراء الرئيس وأعضاء الكونجرس وحكام الولايات. أى أن السوق السياسية التى يفترض فى ظل الديمقراطية، أن يكون فيها الجميع متساوين، تتحول إلى ما يشبه «السوق التجارية» التى تتناسب فيها القوى الشرائية للأفراد مع ما لديهم من مال. كما أصبح النظام السياسى «نظاما» لمصالح الأقليات التى تقدم التمويل الانتخابى. وفى مرحلة تالية سمح الفساد السياسى بالتمويل الأجنبى من أجل مصالح دول ونظم خارجية.

وتمتد الانفصالية (التفكك) بين العرقيات والأقليات، وبين من يملكون ومن لا يملكون، إلى مجال الجنس (النوع) بين المرأة والرجل. فالحركة النسوية الأمريكية (الجذرية)، تحولت من مطالب المساواة بين المرأة والرجل إلى مطالب الحرب الجنسية، حتى أن فريق الماكداوركنية، يعتبر أن الجماع بين الرجل والمرأة، هو استمرار للحرب بين الجنسين بوسائل أخرى، لأن ما يجمع بين الرجل والمرأة ليس علاقة حب أو علاقة رغبة بل علاقة عداء متبادل واستبعاد للآخر وتقول اندريا داوركن: إن الجماع مع الرجل كما نعرفهم تتعاظم استحالته، فالجماع يتطلب إسقاط القدرة الإبداعية للمرأة وقوتها، ورفض مسئوليتها وحريتها.

إن تفكك العقيدة الأمريكية، أى دخول المجتمع الأمريكى حربا ثقافية عرقية جنسية، يشى بتحول الحلم الأمريكى إلى كابوس أمريكى، وينذر بأفول القرن الأمريكى.

لقد توصل المؤرخ بول كنيدى والفيلسوف تعوم شومسكى، إلى أن الاتفاق العسكرى كان وراء تراجع أمريكا، فالقوة العسكرية الأمريكية، فرضت تخصيص ٣٠٠ مليار دولار سنويا لنفقات الدفاع، وتحويل الموادر والأفراد والعلماء والمهندسين والعمالة الماهرة، بعيدا عن الإنتاج غير العسكرى.

فأمريكا تحولت إلى دولة مدينة عام ١٩٨٥، ثم أصبحت أكبر دولة مدينة فى العالم، لتصل ديونها الخارجية إلى ما يزيد على ٤,٣ تريليون دولار عام ١٩٩٥ .

وبعد أن ظلت الولايات المتحدة تحقق فائضا تجاريا حتى عام ١٩٧١، أصبح العجز التجارى يزيد على ١٠٠مليار دولار سنويا. وتدهورت العملة الأمريكية، بعد أن كان الدولار يمثل قاعدة احتياطى العملات، من ٣٥٧ ينا عام ١٩٧٠ إلى نحو ١٠٠ ين حاليا. وتضخم عجز الميزانية الفيدرالية ليتجاوز ٣٢٠ مليار دولار.

وترافق مع التدهور الاقتصادى، تدهور الأحوال الاجتماعية، ففى أمريكا، نحو ٣٠ مليون أمريكى تحت خط الفقر، وما يقرب من ٢٥ مليونا من الأميين و ١٥ مليون جريمة سنويا. وأصبح «الحلم الأمريكى» يتسرب من بين أيادى الملايين سنويا.

بيد أن التفسير «الجاهز» لتضخم الانفاق العسكرى الأمريكى، وبالتالى تراجع القدرة الأمريكية، كان وجود الاتحاد السوفيتى والحرب البادرة، وبمعنى آخر، التهديد الشيوعى للعقيدة الأمريكية.

وفى الحق أن أزمة العقيدة الأمريكية، بدءا من تناقضات التكوين (تناقضات الحرية والمساواة، والديمقراطية والرأسمالية)، ثم التراجع عنها (العقيدة الأمريكية) فى أرض الحرية - أرض الميعاد الجديدة، وفى الخارج بتحول المصير المبين إلى فكرة امبريالية (فيتنام - كوريا - أمريكا اللاتينية»، هى السبب وراء تراجع أمريكا، حتى لو لم يوجد الاتحاد السوفيتى.

إن أمريكا، ليست كألمانيا، الأمة العضوية التى قاتم على تلاقى عرف ولغة وثقافة، وليست، كفرنسا، الدولة القومية. وإنما هى دولة متعددة الأعراق والثقافات، جمعت بينها العقيدة الأمريكية. وبالرغم من هيمنة الثقافة الأنجلوساكسونية، لقرون، كأداة لصهر العرقيات والثقافات الفرعية، إلا أن استمرار الولاءات الفرعية من جهة والفصل العنصرى للزنوج من جهة ثانية، واتجاه مؤشرات النمو السكانى والهجرة لغير صالح البيض من جهة ثالثة، هى عوامل فجرت التعددية - الانفصالية العرقية والثقافية. فالبوتقة التى كانت تعمل لصالح البروتستانت الأنجلوساكسون البيض (wasps) توقفت لصالح التعددية الثقافية بل للحرب الثقافية، حتى أن التوقعات تشير إلى أن أمريكا القرن الحادى والعشرين مهددة بألا تعود انجلوساكسونية بروتستانتية بيضاء.

ويصل عالم السياسة الأمريكي صمويل هانتجتون إلى أن مصير الاتحاد السوفيتي يقدم مثالا معقولا للأمريكيين. فالاتحاد السوفيتي وأمريكا متشابهان في أنهما ليستا دولتين قوميتين بالمعنى التقليدي، وأن العقيدة هي التي صنعت الدولتين. فإذا تفككت العقيدة الأمريكية، وسادت الانفصالية الثقافية، وتفكك الإجماع على الحرية الديمقراطية، فستنضم أمريكا إلى الاتحاد السوفيتي على تل نفايات التاريخ.

ملاحق

(أ) إعلان الاستقلال الأمريكى(*)

عندما يرى شعب ما - فى مجرى الحوادث البشرية - أن الضرورة تحدوه إلى قطع العلاقات السياسية الى تربطه بشعب آخر. وإلى أن يحتل، بين دول العالم وبمساواتها، مكانه الخاص الذى تمنحه الحق به قوانين الطبيعة وإله الطبيعة. فإن الاحترام الصحيح لرأى الإنسان، يتطلب من هذا الشعب أن يعلن الأسباب التى حملته على هذا الانفصال.

هذه الحقائق هى - فى نظرنا - حقائق بدهية فى جوهرها، وهى أن جميع الناس يولدون متساوين، وأن خالقهم منحهم حقوقا، منها حق الحياة والحرية وطلب السعادة.

وأن الناس يقيمون الحكومات التى تستمد سلطتها العادلة من رضا المحكومين وموافقتهم، لصيانة تلك الحقوق.

وأن حكومة ما - مهما يكن نظام حكمها - إذا ما أنكرت هذه الحقوق، فمن حق الشعب أن يغيرها أو أن يزيلها لحل محلها حكومة جديدة ويقيمها على مثل هذه الحقوقة والمبادئ وينظم سلطاتها، حسبما يبدو له أنسب الأشكال وأضمنها لتحقيق أمنه وسعادته.

ومن الحكمة - بلا شك - ألا يعمدوا لأسباب بسيطة وعابرة، إلى قلب حكومات استقرت منذ أمد طويل. فالناس - كالعهد بهم دائما - مهيأون لمعاناة الشرور التى يمكن احتمالها، أكثر من تهيئتهم لانتزاع حقوقهم بقلب الأنظمة التى اعتادوها وألفوها.

لكن، عندما ينم استمرار الفساد والتعسف - فى اتجاههما الثابت إلى هدف واحد - على نية إخضاع الناس لاستبداد مطلق، فمن حق هؤلاء، بل من واجبهم أن يطيحوا بحكم كهذا، ويسعوا وراء ضمانات أخرى، يصونون بها أمنهم فى المستقبل.

هكذا، طال صبر المستعمرات على ما هى فيه، وهذه هى الضرورة التى تضطرهم الآن إلى تغيير نظام حكمهم السابق. فتاريخ الجالس على عرش بريطانيا اليوم،تاريخ حافل بالتعسف والمظالم المتكررة التى لا تتوخى جميعها إلا هدفا مباشرا واحدا هو توطيد حكم طغيان مطلق على ولاياتنا. ولإقامة البرهان على ذلك، يكفى أن نسرد الحوادث الواقعة ليحكم عليها عالم حيادى.

رفض الملك الموافقة على أكثر القوانين ملاءمة للمصلحة العامة.

منع حكامه من إصدار قوانين ضرورية وملحة،إلا إذا أرجا تطبيقها على موافقته، وهكذا أهملها كل الإهمال ولم يعرها شيئا من اهتمامه.

رفض إصدار قوانين أخرى نافعة ولازمة لعدد كبير من السكان، إلا إذا تخلى هؤلاء عن حقهم فى أن يمثلوا فى المجالس التشريعية، وهو الحق الثمين الذى لا يخشاه سوى الطغاة.

دعا إلى انعقاد المجالس فى أمكنة غير مألوفة، لا راحة فيها، وبعيدة عن أماكن الوثائق والسجلات ومستودعاتها، وهدفه إكراه المجتمعين على الرضوخ لإجراءاته، فإرهاقهم وشل أعمالهم عمد، فى مناسبات متعددة إلى حل المجالس التشريعية التى عبرت بحزم وشجاعة عن موقفها من انتهاك حقوق الشعب.

وبعد حل تلك المجالس، ظل مدة طويلة، يرفض انتخاب غيرها. وهكذا عاد حق ممارسة السلطة التشريعية إلى الشعب، بطريقة لا سبيل إلى تغييرها أو إزالتها.. وفى آن واحد، كانت البلاد معرضة للعدوان الخارجى وللاضطرابات الداخلية.

حال دون ازدياد السكان فى ولاياتنا، بإعاقته تطبيق قوانين منح الجنسية للأجانب، كما رفض إقرار غيرها من القوانين المشجعة على الهجرة إلى المستعمرات الأمريكية، وأقام الحواجز والعقبات دون تملك أراض جديدة.

أعاق الحقائق العدالة برفضه الموافقة على قوانين تستهدف توطيد سلطات قضائية.

أخضع القضاة لمشيئته فيما يخص مدة استمرارهم فى أعمالهم وتحديد رواتبهم ودفعها لهم. أحدث عددا كبيرا من الوظائف الجديدة، وبعث إلى أرضنا جماعات من الضباط ترهق شعبنا وتلتهم خيراته.

أبقى على أراضينا، فى زمن السلم، جيوشا دائمة وعاملة بلا موافقة مجالسنا التشريعية، لقد أراد أن تكون السلطة العسكرية مستقلة عن السلطة المدنية وفوقها.

انضم إلى آخرين لإخضاعهم لتشريع غريب عن دستورنا ولا تعترف به قوانيننا، مانحا موافقته على أحكامهم التشريعية.

- من أجل إقامة عدد كبير من الجنود بين ظهرانينا.
- ولحمايتهم بمحاكمات صورية، من العقوبات على جرائم القتل التى قد يرتكبونها ضد سكان ولاياتنا.
- ولسد الطرق أمام تجارتنا فى جميع أرجاء العالم.
- وبفرض ضرائب علينا لم نوافق عليها.
- وحرماننا، فى كثير من الحالات، من ضمانات المحاكمة بطريقة المحلفين.
- وتسهيل نقلنا، عبر البحار، إلى حيث نحاكم من أجل جنح مزعومة.
- وإلغاء نظام القوانين الإنجليزية الحر فى إقليم مجاور مقيمة فيه حكما استبداديا، وموسعة حدوده بطريقة تجعله مثلا يحتذى، وفى آن واحد، أداة ووسيلة لإدخال نظام الحكم الاستبدادى إلى مستعمراتنا.

- وإزالة مواثيقنا وإلغاء أفضل قوانيننا وتغيير أشكال حكوماتنا فى مبادئها الأساسية.
- وتعطيل مجالسنا التشريعية والتصريح بأنها مخولة الحلول محلنا فى التشريع، بدلا عنا فى جميع الأحوال.

لقد تخلى الملك عن الحق فى حكمنا، بإعلانه أننا خارج نطاق حمايته وإعلانه الحرب علينا، كما أغار على بحارنا واجتاح سواحلنا وأحرق مددنا ودمر حياة شعبنا.

وها هو الآن يوجه جيوشا جرارة من المرتزقة الأجانب، ليأتى علينا، ويتم عملية الدمار والطغيان بأساليب من القسوة والغدر لا تكاد تبلغها أساليب العصور الهمجية، ولا تليق البتة برئيس دولة متمدن.

لقد أكره مواطنينا المأسورين فى عرض البحر على إشهار السلاح فى وجه بلادهم، وعلى أن يصبحوا جلادى أصدقائهم وإخوتهم، أو أن يسقطوا صرعى تحت ضربات هؤلاء.

آثار فتنا داخلية وبذل قصارى جهده ليستعدى على سكان حدودنا الهنود المتوحشين القساة الذين تقضى شريعة الحرب عندهم بقتل جميع الناس بلا تمييز فى العمر والجنس.

وفى كل مرحلة من مراحل هذا القمع وهذا الجور كنا نطالب بإحقاق الحق والعدالة، بأكثر التعابير تواضعا. فلم يكن الرد على مطالبنا والتماساتنا المتكررة، إلا بتكرار المظالم. إن عاهلا تترسخ فيه هذه الخصال الخلقية التى تميز الطاغية. لا يستطيع أن يزعم لنفسه الحق بحكم شعب حر.

كذلك لم نتمكن من إثارة إخواتنا البريطانيين. فقد حذرناهم وبينا لهم، مرات عدة، أن مجلسهم النيابى يحاول أن يطبق علينا سلطته التشريعية وقوانينه تطبيقا غير قانونى. وذكرنا بالظروف والمناسبات التى هاجرنا فيها وأقمنا هنا مستعمراتنا. بالاحساس الطبيعى بالعدالة وبسمو النفس اللذين يُفترض اتصافهم بهما، وناشدناهم باسم أواصر القربى التى تربط بيننا، أن يشجبوا هذه الاعتداءات التى لابد من تؤدى إلى تحطيم الصلات والروابط بيننا.. فأصموا آذانهم عن سماع صوت العدالة وقرابة الدم.. فواجبنا، إذن أن نرضخ للضرورة ونعلن الانفصال.. كما علينا أن نعدّهم، كما نعد سائر شعوب العالم، أعداء فى الحرب وأصدقاء فى السلم.

لذلك، نحن ممثلى الولايات المتحدة الأمريكية، المجتمعين فى مؤتمر «كونجرس» عام، إذ نشهد الإله الدّيان على سلامة مقاصدنا، وباسم شعب هذه المستعمرات الطيب وبالنيابة عنه نؤكد، ونعلن:

أن هذه المستعمرات المتحدة - ومن واجبها أن تصبح - ولايات حرة مستقلة. وأنها تحررت من كل ولاء للتاج البريطانى، وإن كل صلة بينها وبين دولة بريطانيا العظمى قد

فُصمت، وينبغى أن تفصم، وإن هذه الولايات، بوصفها حرة ومستقلة تتمتع بالسلطة المطلقة فى إعلان الحرب وإقرار السلام وإبرام المعاهدات والأحلاف وإقامة علاقات تجارية.... والقيام بكل أمر آخر يحق للدولة المستقلة أن تقوم به.

ونحن إذ نتكل على العناية الإلهية كل الاتكال. ودعما لهذا الإعلان نأخذ على أنفسنا العهد بوضع حياتنا وما ملكت أيماننا وشرفنا رهنا فى هذا السبيل.

(*) مترجم من:

Lewis Lipsitz, David M.Speek, American Democracy, St.Martin's Perss, New York, 1989.

(٢) الولايات المتحدة الأمريكية(*)

نحن شعب الولايات المتحدة

رغبة منا فى إنشاء اتحاد أكثر كمالا، وفى إقامة العدالة، وضمان الاستقرار الداخلى وتوفير سبل الدفاع المشترك وتعزيز الخير العام وتأمين نعم الحرية لنا ولأجيالنا القادمة، نرسم ونضع هذا الدستور للولايات المتحدة الأمريكية.

المادة الأولى

الفقرة الأولى «الفرع التشريعى»

تناط جميع السلطات التشريعية الممنوحة هنا بكونجرس للولايات المتحدة يتألف من مجلس للشيوخ ومجلس للنواب.

الفقرة الثانية «مجلس النواب»

١- يتألف مجلس النواب من أعضاء يختارون كل سنتين من قبل الشعب فى مختلف الولايات، ويجب أن تتوافر فى الناخبين في كل ولاية نفس المؤهلات التى يتوجب توافرها فى ناخبى أعضاء أكثر مجلس الهيئة التشريعية فى تلك الولاية، عددا.

٢- لا يصبح أى شخص نائبا ما لم يكن قد بلغ سن الخامسة والعشرين وما لم تكن مضت عليه سبع سنوات وهو من مواطنى الولايات المتحدة، وما لم يكن لدى انتخابه من سكان الولاية التى يتم اختياره فيها.

٣- يوزع عدد النواب والضرائب المباشرة بين مختلف الولايات (التى قد يضمها هذا الاتحاد بنسبة عدد سكان كل منها وهو العدد الذى يحدد بأن يضاف إلى مجموع عدد السكان الأحرار، بمن فيهم أولئك المرتبطون بالخدمة لعدد من السنين، وباستثناء الهنود الذين لا تفرض عليهم ضرائب، ثلاثة أخماس من عداهم من الناس)، ويجرى الاحصاء الفعلى للسكان فى غضون ثلاث سنوات بعد انعقاد أول اجتماع لكونجرس الولايات المتحدة، وبعد ذلك فى غضون كل فترة عشر سنوات لاحقة، وذلك بالكيفية التى يحددها القانون.

ويجب ألا يزيد عدد النواب على نائب واحد لكل ثلاثين ألف نسمة، ولكن يجب أن يكون لكل ولاية نائب واحد على الأقل، وإلى أن يتم مثل هذا الاحصاء يكون لولاية نيوهامبشير الحق فى انتخاب ثلاثة نواب، وولاية مساشوستس ثمانية، وولاية رود أيلاند وبروفيدنس

بلانتيشن واحد، وولاية كونيتيكت خمسة، وولاية نيويورك ستة، وولاية نيوجيرسى أربعة، وولاية بنسلفانيا ثمانية، وولاية ديلاوير واحد، وولاية ميريلاند ستة، وولاية فرجينيا عشرة، وولاية نورث كارولينا خمسة، وولاية ساوث كارولينا خمسة، وولاية جورجيا ثلاثة.

٤ ـ عندما يشغر مقعد أو أكثر من مقاعد النواب فى أى ولاية، تدعو السلطة التنفيذية فيها إلى إجراء انتخابات لملء هذا المقعد أو القاعدة الشاغرة.

٥ ـ يختار مجلس النواب رئيسه وسائر مسئولية، وتكون لهذا المجلس وحده سلطة توجيه الاتهام النيابى.

الفقرة الثالثة «مجلس الشيوخ»

١- يتألف مجلس الشيوخ من شيخين عن كل ولاية (تختارهما الهيئة التشريعية فى تلك الولاية) لمدة ست سنوات، ويكون لكل شيخ صوت واحد.

٢- عقب اجتماع أعضاء مجلس الشيوخ مباشرة نتيجة الانتخاب الأول، يتم تقسيمهم إلى ثلاث فئات متساوية قدر المستطاع، وتشغر مقاعد شيوخ الفئة الأولى عند انتهاء السنة الثانية، ومقاعد شيوخ الفئة الثانية عند انتهاء السنة الرابعة، ومقاعد شيوخ الفئة الثالثة عند انتهاء السنة السادسة، بحيث يمكن اختيار الثلث مرة كل سنتين.(وإذا شغر مقعد أو أكثر بسبب الاستقالة أو سواها، خلال عطلة الهيئة التشريعية لولاية ما، جاز للسلطة التنفيذية فى تلك الولاية أن تجرى تعيينات مؤقتة ريثما يعقد الاجتماع التالى للمجلس التشريعى الذى يقوم عندئذ بملء المقاعد الشاغرة).

٣- لا يصبح أى شخص عضوا فى مجلس الشيوخ ما لم يكن قد بلغ الثلاثين من العمر ما لم تكن مضت عليه تسع سنوات وهو من مواطنى الولايات المتحدة، وما لم يكن لدى انتخابه من سكان الولاية التى يتم اختياره عنها.

٤- يكون نائب رئيس الولايات المتحدة رئيسا لمجلس الشيوخ، ولكنه لا يدلى بصوته ما لم تتعادل الأصوات.

٥- يختار مجلس الشيوخ مسئوليه الآخرين كما يختار رئيسا مؤقتا فى غياب نائب الرئيس أو عند توليه مهام رئيس الولايات المتحدة.

٦- لمجلس الشيوخ وحده سلطة إجراء المحاكمة فى جميع قضايا الاتهام النيابى، وعندما ينعقد مجلس الشيوخ لهذا الغرض يقسم جميع أعضائه اليمين أو يدلون بالإقرار، وعندما تتناول المحاكمة رئيس الولايات المتحدة يترأس المحكمة العليا الجلسات. ولا يدان أى شخص بدون موافقة ثلثى الأعضاء الحاضرين.

٧- لا تتعدى الأحكام فى حالات الاتهام البرلمانى حد العزل من المنصب، وتقرير عدم الأهلية لتولى منصب شرفى أو يقتضى ثقة أو يدر ربحا لدى الولايات المتحدة، والتمتع به. ولكن الشخص المدان يبقى مع ذلك عرضة وقابلا للاتهام والمحاكمة والحكم عليه ومعاقبته وفقا للقانون.

الفقرة الرابعة (تنظيم الكونجرس)

١- مواعيد وأماكن وطريقة انتخابات الشيوخ والنواب تحددها فى كل ولاية هيئته التشريعية، ولكن يمكن للكونجرس، فى أى وقت، أن يسن قانونا يحدد فيه مثل هذه الأنظمة أو يعدلها، (إلا فيما يتعلق بدوائر اختيار الشيوخ).

٢- يجتمع الكونجرس مرة على الأقل كل عام، (ويكون موعد هذا الاجتماع أول يوم اثنين من شهر ديسمبر) ما لم يحدد الكونجرس، بقانون، موعدا آخر.

الفقرة الخامسة:

١- كل من المجلسين هو الحكم فى انتخابات أعضائه ونتائجها ومؤهلاتهم، تشكل الأغلبية فى كل من المجسلين النصاب القانونى لقيامه بأعماله، ولكن يمكن لعدد أصغر أن يؤجل الجلسات من يوم إلى يوم، وقد يخول كل من المجلسين سلطة اجبار الأعضاء المغيبين على الحضور بالطريقة التى يراها وبمقتضى العقوبات التى يرتأى فرضها.

٢- يمكن لكل من المجسلين أن يضع قواعد نظامه الداخلى، وأن يعاقب أعضاءه على سلوكهم غير النظامى، كما يمكنه بموافقة الثلثين، طرد أحد الأعضاء.

٣- يحتفظ كل من المجلسين بمحاضر جلساته ينشرها من حين لآخر، باستثناء تلك الأجزاء التى يرى أنها تستلزم السرية، كما أن تصويت أعضاء أى من المجلسين بالموافقة أو الرافض فى أى مسألة، ينبغى أن يسجل فى المحاضر إذا رغب فى ذلك خمس عدد الأعضاء الحاضرين.

٤- لا يجوز لأى من المجلسين، فى أثناء عقد دورة للكونجرس، رفع جلساته لأكثر من ثلاثة أيام دون موافقة المجلس الآخر. كما لا يجوز لأى منها نقل جلساته إلى أى مكان خلاف المكان الذى يلتئم فيه المجلسان.

الفقرة السادسة:

١- يتقاضى الشيوخ والنواب لقاء خدماتهم بدلا يحدده القانون، ويدفع من خزانة الولايات المتحدة، ولهم فى جميع الحالات، ما عدا حالات الخيانة والجنايات والاخلال بالأمن، أن يتمتعوا بامتياز عدم اعتقالهم فى أثناء حضورهم جلسات

مجلسهم، وفى ذهابهم إلى ذلك المجلس وعودتهم منه، وأى خطاب يلقى أو مناقشة تجرى فى أى من المجلسين لا يسألون عنها فى أى مكان آخر.

٢- لا يجوز لأى شيخ أو نائب أن يعين، خلال الفترة التى انتخب لها، فى أى منصب مدنى خاضع لسلطة الولايات المتحدة، يكون قد انشئ، أوتكون تعويضاته قد زيدت خلال تلك الفترة كما لا يجوز لأى شخص يشغل أى منصب خاضع لسلطات الولايات المتحدة، أن يكون عضوا فى أى من المجلسين أثناء استمراره فى منصبه.

الفقرة السابعة:

١- جميع مشاريع القوانين الخاصة بتحصيل دخل تطرح فى مجلس النواب، ولكن لمجلس الشيوخ أن يقترح أو يوافق على تعديلات، كما فى مشاريع القوانين الأخرى.

٢- كل مشروع قانون ينال موافقة مجلس النواب ومجلس الشيوخ يجب، قبل أن يصبح قانونا، أن يقدم إلى رئيس الولايات المتحدة، فإذا وافق عليه، وقعه، ولكن إذا لم يوافق عليه أعاده، مقرونا باعتراضاته إلى المجلس الذى طرح فيه، وعلى المجلس أن يسجل الاعتراضات بمجملها فى محاضره، ثم يباشر إعادة درس المشروع، فإذا وافق أعضاء ذلك المجلس، بعد إعادة الدرس على إقرار مشروع القانون، أرسل مع الاعتراضات إلى المجلس الآخر حيث يعاد درسه كذلك، فإذا أقره ثلثا أعضاء ذلك المجلس أصبح قانونا ولكن فى جميع مثل هذه الحالات يجب أن تحدد أصوات أعضاء المجلسين بنعم أو لا، وتدرج أسماء المصوتين بالموافقة على المشروع ومعارضته فى محاضر كل من المجلسين على حدة. وإذا لم يعد الرئيس أى مشروع قانون فى غضون عشرة أيام (تستثنى منها أيام الأحد) من تقديمه له، أصبح مشروع القانون قانونا، كما لو أنه وقعه، ما لم يحل الكونجرس، بسبب رفعه لجلساته، دون إعادة المشروع إليه. وفى مثل هذه الحالة لا يصبح المشروع قانونا.

٣- كل أمر أو قرار أو تصويت يستلزم موافقة مجلس الشيوخ ومجلس النواب (باستثناء موضوع رفع الجلسات ينبغى تقديمه لرئيس الولايات المتحدة، وقبل أن يصبح نافذا، يجب أن ينال موافقته، وإذا لم يوافق عليه، تتعين إعادة إقراره من قبل ثلثى أعضاء مجلس الشيوخ والنواب وفقا للقواعد والقيود المحددة فى حالة مشروع القانون.

الفقرة الثامنة (السلطات الممنوحة للكونجرس)

تكون للكونجرس سلطة:

١- فرض الضرائب والرسوم والعوائد والمكوس وجبايتها، لدفع الديون، وتوفير سبل الدفاع المشترك والخير العام للولايات المتحدة،إنما يجب أن تكون جميع الرسوم والعوائد المكوس موحدة فى جميع أنحاء الولايات المتحدة.

٢- استدانة الأموال لحساب الولايات المتحدة.

٣- تنظيم التجارة مع الدول الأجنبية، وبين مختلف الولايات، ومع قبائل الهنود.

٤- وضع نظام موحد للتجنس.. وقوانين موحدة بشأن موضوع الافلاسات فى جميع أنحاء الولايات المتحدة.

٥- سك وطبع العملة، وتنظيم قيمتها وقيمة العملات الأجنبية وتحديد معايير الموازين والمقاييس.

٦- وضع أحكام للمعاقبة على تزوير سندات الولايات المتحدة المالية وعملتها.

٧- إنشاء مكاتب وطرق للبريد.

٨- تعزيز تقدم العلوم والفنون المفيدة بأن يحفظ لمدد محددة للمؤلفين والمخترعين الحق المطلق فى كتاباتهم واكتشافاتهم.

٩- إنشاء محاكم أدنى درجة من المحكمة العليا.

١٠- تعريف أعمال القرصنة، والجنايات التى ترتكب فى عرض البحر، والجرائم الموجهة ضد القانون الدولى، والمعاقبة عليها.

١١- إعلان الحرب، والتفويض برد الاعتداء والاستيلاء على السفن والبضائع، ووضع قواعد تتعلق بالاستيلاء على غنائم فى البر والبحر.

١٢- إنشاء الجيوش وتأمين نفقاتها، ولكن الاعتمادات المالية المخصصة لذلك الغرض يجب ألا تكون لفترة تزيد على سنتين.

١٣- تكوين قوة بحرية والتكفل بها.

١٤- وضع قواعد لإدارة ونظم القوات البرية والبحرية.

١٥- وضع أحكام لدعوة الميليشيا إلى تنفيذ قوانين الاتحاد، وقمع التمرد وصد الغزو.

١٦- وضع أحكام لتنظيم وتسليح وتدريب الميليشيات، وإدارة أقسامها التى قد تكون عاملة فى خدمة الولايات، محتفظا للولايات، كل على حدة، بحق تعيين الضباط، وسلطة تدريب الميليشيات وفقا للنظام الذى يضعه الكونجرس.

١٧- الاستئثار بحق التشريع فى جميع القضايا أيا كانت، فى مقاطعة (لا تزيد مساحتها على عشرة أميال مربعة) قد تصبح، بفعل تنازل ولايات معينة عنها وموافقة الكونجرس مقرا لحكومة الولايات المتحدة، وممارسة سلطة مماثلة على جميع الأماكن التى تشترى بموافقة الهيئة التشريعية للولاية الكائنة فيه، لغرض إقامة حصون ومخازن ذخيرة وترسانات وأحواض سفن ومبان أخرى لازمة.

١٨- سن جميع القوانين التى تكون ضرورية ومناسبة لكى توضع التنفيذ، السلطات آنفة الذكر وجميع السلطات الأخرى التى ينيطها هذا الدستور بحكومة الولايات المتحدة أو بأية إدارة أو موظف تابع لها.

الفقرة التاسعة (السلطات المحظورة على الولايات).

١- إن هجرة أو استقدام أولئك الأشخاص الذين تعتقد أى من الولايات المتحدة الموجودة حاليا من المناسب دخولهم، لا يجوز للكونجرس أن يحظرهم قبل عام ١٨٠٨ ولكن يمكن فرض ضريبة، أو رسم، على مثل هذا الاستقدام، لا يتجاوز أى منها عشرة دولارات عن كل شخص.

٢- إن امتياز استصدار أمر استحضار أمام القضاء لا يجوز أن يعلق ألا حين تستدعى السلامة العامة ذلك فى حالات العصيان أو الغزو.

٣- لا يجوز إصدار قانون يقضى بالإدانة والعقاب بالإعدام أو التجريد من كل الحقوق دون محاكمة، كما لا يجوز إصدار قانون جزائى ذى مفعول رجعى.

٤- لا يجوز فرض ضرائب (أفراد أو أية ضرائب مباشرة أخرى)، ما لم تكن متناسبة مع الاحصاء أو التعداد الذى سبق النص على وجوب إجرائه.

٥- لا يجوز فرض ضرائب أو رسوم على سلع تصدرها أية ولاية.

٦- لا يجوز منح أفضلية أية أنظمة تجارية أو أخرى خاصة بالعائدات لموانئ ولاية ما على موانئ ولاية أخرى،كما لا يجوز إجبار السفن المتوجهة إلى ولاية ما أو القادمة منها، على دخول ولاية أخرى أو تفريغ حمولتها أو دفع رسوم فيها.

٧- لا يجوز أن تسحب أموال من الخزينة إلا تبعا لاعتمادات يحددها القانون، وتنشر من حين لآخر، بيانات دورية بإيرادات ونفقات جميع الأموال العامة وبحسابها.

٨- لا تمنح الولايات المتحدة أى لقب من ألقاب الشرف، ولا يجوز لأى شخص يشغل لديها منصبا يدر ربحا أو يقتضى ثقة، أو يقبل، دون موافقة الكونجرس، أية هدية أو أجر أو منصب أو لقب من أى نوع كان، من أى ملك أو أمير أو دولة أجنبية.

الفقرة العاشرة (السلطات المحظورة على الولايات)

١- لا يجوز لاى ولاية أن تعقد أية معاهدة، أو أن تدخل فى أى تدخل فى أى حلف أو اتحاد، أو تفوض برد الاعتداء والاستيلاء على السفن والبضائع أو تسك أو تصدر سندات حكومية، أوتعتمد أى شيء خلاف العملة الذهبية والفضية وسيلة لوفاء الديون أو تصدر أى قانون يقضى بالإدانة والعقوبة بدون محاكمة، أو أى قانون جزائى ذى مفعول رجعى، أو أى قانون ينقص من قوة التزامات العقود، أو تمنح أى لقب من ألقاب الشرف.

٢- لا يجوز لأية ولاية، دون موافقة الكونجرس، أن تفرض أية رسوم أو عوائد على الواردات أو الصادرات، إلا ما كان منها ضروريا ضرورة قصوى لقيامها بتنفيذ

قوانينها الخاصة بالتفتيش، يكون صافى ايرادات جميع الرسوم والعوائد التى تفرضها أية ولاية على الواردات أو الصادرات، لمنفعة خزانة الولايات المتحدة، وجميع أمثال هذه القوانين تكون خاضعة لمراجعة وإشراف الكونجرس.

٣- لا يجوز لأى ولاية، دون موافقة الكونجرس، أن تفرض أية رسوم على حمولة السفن، أو تحتفظ بقوات عسكرية أو سفن حربية فى وقت السلم، أو تعقد أى اتفاق أو ميثاق مع ولاية أخرى أودولة أجنبية أو تشتبك فى حرب إلا إذا غزيت فعلا، إذا كان هناك خطر داهم لا يسمح بالتأخير.

المادة الثانية

الفقرة الأولى «الفرع التنفيذى»

١- تناط السلطة التنفيذية برئيس الولايات المتحدة الأمريكية ويشغل الرئيس منصبه مدة أربع سنوات، ويتم انتخابه مع نائب الرئيس، الذى يختار لنفس المدة على النحو التالى:

٢- تعين كل ولاية، بالكيفية التى تحددها هيئتها التشريعية، عددا من الناخبين مساويا لمجموعة عدد الشيوخ والنواب الذين يحق للولاية أن يمثلوها فى الكونجرس، ولكن لا يجوز لأى عضو فى مجلس الشيوخ أو فى مجلس النواب أو لأى شخص يشغل لدى الولايات المتحدة منصبا يقتضى ثقة أو يدر ربحا أن يعين ناخبا.

٣- يجتمع الناخبون كل منهم فى ولايته ويصوتون بالاقتراع السرى لشخصين، يكون أحدهما على الأقل من غير سكان الولاية نفسها، ويضعون لائحة بأسماء جميع الأشخاص الذين اقترع لهم، وبعدد الأصوات التى نالها كل منهم، ويوقعون اللائحة ويصادقون على صحتها ويحيلونها مختومة إلى مقر حكومة الولايات المتحدة، موجهة إلى رئيس مجلس الشيوخ. ويقوم رئيس مجلس الشيوخ، بحضور أعضاء مجلس الشيوخ والنواب بفض جميع مظاريف اللوائح ثم تحصى الأصوات والشخص الذى ينال أكبر عدد من الأصوات يصبح هو الرئيس، إذا كان هذا العدد أكثرية مجموع عدد الناخبين المعينين وإذا نال أكثر من شخص مثل هذه الأكثرية، وكان عدد الأصوات التى نالوها متساويا، عندها يقوم مجلس النواب فورا، وعن طريق الاقتراع السرى، باختيار واحد منهم رئيسا وإذا لم يحصل أى شخص على أكثرية، عندها يقوم مجلس النواب، بالكيفية نفسها، باختيار الرئيس من بين الخمسة الفائزين بأكبر عدد من الأصوات فى اللائحة ولكن عند اختيار الرئيس، تحسب الأصوات على أساس الولايات بحيث يكون لممثل كل ولاية صوت واحد ويتشكل النصاب لهذا الغرض من عضو أو أعضاء من ثلثى الولايات، وتكون أكثرية

جميع الولايات ضرورية ليتم الاختيار، وفى كل حالة بعد اختيار الرئيس، يصبح الشخص الحائز على أكبر عدد من أصوات الناخبين نائب الرئيس، وإذا بقى شخصان أو أكثر لديهما عدد متساو من الأصوات، تعين على مجلس الشيوخ أن يختار من بينهما أو من بينهم بالاقتراع السرى نائب الرئيس).

٤- يجوز للكونجرس أن يحدد موعد اختيار الناخبين واليوم الذى يدلون فيه بأصواتهم، وهو يوم يجب أن يكون واحدا فى جميع أنحاء الولايات المتحدة.

٥- لا يكون أى شخص سوى المواطن، بالولاية أو من يكون من مواطنى الولايات المتحدة وقت إقرار هذا الدستور، مؤهلا لمنصب الرئيس، كما لا يكون مؤهلا لذلك لمنصب أى شخص لم يبلغ سن الخامسة والثلاثين ولم يكن مقيما فى الولايات المتحدة مدة أربعة عشر عاما.

٦- فى حال عزل الرئيس من منصبه، أو وفاته، أو استقالته، أو عجزه عن القيام بسلطات ومهام المنصب المذكور، يؤول المنصب إلى نائب الرئيس، ويمكن للكونجرس أن يحدد بقانون أحكام حالات عزل أو وفاة أو استقالة أو عجز الرئيس ونائب الرئيس كليهما، معلنا من هو المسئول الذى يتولى عند ذلك مهام الرئاسة، ويبقى مثل ذلك المسئول قائما بمهام الرئاسة إلى أن تزول حالة العجز أو يتم انتخاب رئيس.

٧- يتقاضى الرئيس، فى مواعيد محددة، تعويضا عن خدماته لا يزاد ولا ينقص خلال الفترة التى ينتخب لها، ولا يجوز له أن يتلقى خلال تلك الفترة أية مرتبات أخرى من الولايات المتحدة أو من أى ولاية منها.

٨- على الرئيس قبل أن يشرع فى تنفيذ مهام منصبه، أن يؤدى القسم أو التوكيد التالى: «أقسم جازما بأننى سأقوم بإخلاص بمهام منصب رئيس الولايات المتحدة، وبأننى سأبذل أقصى ما فى وسعى لأصون وأحمى وأدافع عن دستور الولايات المتحدة».

الفقرة الثانية:

١- يكون الرئيس قائدا أعلى لجيش وبحرية الولايات المتحدة، ولميليشيات مختلف الولايات عندما تدعى إلى الخدمة الفعلية لدى الولايات المتحدة، وله أن يطلب الرأى الخطى للموظف الرئيسى فى كل من الوزارات التنفيذية حول أى موضوع يتعلق بمهام وزارة كل منهم، كما تكون له سلطة إرجاء تنفيذ الأحكام، ومنح العفو عن جرائم ترتكب ضد الولايات المتحدة،ما عدا فى حالات الاتهام النيابى.

٢- تكون له السلطة، بمشورة مجلس الشيوخ وموافقته، لعقد معاهدات ، شرط أن يوافق عليها ثلثا عدد أعضاء المجلس الحاضرين، كما له أن يرشح، وبمشورة مجلس الشيوخ وموافقته أو أن يعين، سفراء ووزراء مفوضين آخرين وقناصل وقضاة للمحكمة العليا وسائر موظفى الولايات المتحدة الآخرين، الذين لا ينص هنا على أحكام تعييناتهم والتى

سيتم إحداثها بقانون. ولكن يمكن للكونجرس أن ينيط بواسطة قانون حسبما يرتأى، تعيين هؤلاء الموظفين الأدنى رتبة، بالرئيس وحده، أو بالمحاكم، أو بالوزارات.

٣- للرئيس سلطة ملء جميع المناصب الشاغرة التى قد تحدث فى اثناء عطلة مجلس الشيوخ، وذلك عن طريق منح تفويضات ينتهى أجلها بنهاية الدورة التالية للمجلس.

الفقرة الثالثة

يزود الرئيس الكونجرس من وقت لآخر، بمعلومات عن حال الاتحاد، ويقدم له للدراسة، توصيات بتلك الإجراءات التى يعتقد أنها ضرورية وملائمة، وله فى ظروف استثنائية أن يدعو كلا المجلسين أو أيا منهما إلى الانعقاد. وفى حال حدوث خلاف بينهما بالنسبة إلى موعد أرجاء الجلسات، فله أن يرجئها إلى الموعد الذى يراه ملائما. وعليه أن يستقبل السفراء والوزراء المفوضين الآخرين، كما عليه أن يراعى تنفيذ القوانين باخلاص وأن يشمل بتكليفه جميع موظفى الولايات المتحدة.

الفقرة الرابعة

يعزل الرئيس ونائب الرئيس وجميع موظفى الولايات المتحدة الرسميين المدنيين من مناصبهم إذا وجه لهم اتهام نيابى بالخيانة أو الرشوة أو أية جرائم أو جنح خطيرة أخرى، وأدينوا بمثل هذه التهم.

المادة الثالثة

الفقرة الأولى «الفرع القضائى»

تناط السلطة القضائية فى الولايات المتحدة بمحكمة عليا واحدة، وبمحاكم أدنى درجة كما يرأى الكونجرس وينشئه من حين لآخر، ويبقى قضاة كل من المحكمة العليا والمحاكم الأدنى درجة شاغلين مناصبهم مادموا حسنى السلوك، ويتقاضون، فى أوقات محددة، لقاء خدماتهم، تعويضات لا يجوز انقاصها فى أثناء استمرارهم فى مناصبهم.

الفقرة الثانية

١- تشمل السلطة القضائية جميع القضايا المتعلقة بالقانون والعدل التى تنشأ فى ظل أحكام هذا الدستور وقوانين الولايات المتحدة والمعاهدات المعقودة أو التى ستعقد بموجب سلطتها. كما تشمل جميع القضايا التى تتناول السفراء والوزراء المفوضين الآخرين والقناصل وجميع القضايا الداخلة فى اختصاص الأميرالية والملاحة البحرية والمنازعات التى تكون الولايات المتحدة طرفا فيها، والمنازعات التى تنشأ بين اثنتين أو

أكثر من الولايات. (وبين إحدى الولايات ومواطنى ولاية أخرى)، وبين مواطنى ولايات مختلفة، وبين مواطنى نفس الولاية ممن يدعون ملكية أراض بموجب منح من ولايات مختلفة، وبين ولاية أو مواطنيها ودول أجنبية (أومواطنى دول أجنبية أو رعايا أجانب).

٢- تكون للمحكمة العليا صلاحية النظر أساسا فى جميع القضايا التى تتناول السفراء والوزراء المفوضين الآخرين والقناصل. وتلك التى تكون فيها إحدى الولايات طرفا. وفى جميع القضايا الأخرى المذكورة آنفا. تكون للمحكمة العليا صلاحية النظر فيها استئنافها، من ناحيتى الوقائع والقانون مع مراعاة الاستثناءات والأنظمة التى يضعها الكونجرس.

٣- تتم المحاكمات فى جميع الجرائم، ما عدا قضايا الاتهام النيابى، أمام هيئة محلفين. وتجرى مثل هذه المحاكمات فى الولاية حيث تكون تلك الجرائم قد اقترفت، ولكن عندما لا تقترف تلك الجرائم داخل حدود أى ولاية، تجرى المحاكمة فى المكان أو الأماكن التى يحددها الكونجرس بقانون.

الفقرة الثالثة

١- جريمة الخيانة بحق الولايات لا تكون بشن حرب عليها، أو بالانضمام إلى أعدائها وتقديم العون والمساعدة لهم، ولا يدان أحد بتهمة الخيانة إلا استنادا إلى شهادة شاهدين يشهدان على وقوع العمل نفسه الواضح النية، أو استنادا إلى اعتراف فى محكمة علنية.

٢- للكونجرس سلطة تحديد عقوبة جريمة الخيانة. ولكن لا يجوز الاقتصاص من نسل أو أقارب المتهم أو تجريده من حقوقه المدنية أو مصادرة أمواله وممتلكاته إلا فى أثناء حياته.

المادة الرابعة

الفقرة الأولى «علاقة الولايات بعضها ببعض»

تحترم كل ولاية وتعتد اعتدادا كاملا ومخلصا بقوانين كل ولاية أخرى وسجلاتها الرسمية وإجراءاتها القضائية ويجوز للكونجرس أن يحدد، بقوانين عامة، قواعد الكيفية التى يتم فيها إثبات مثل هذه القوانين والسجلات والإجراءات، ونتاج ذلك.

الفقرة الثانية

١- لمواطنى كل ولاية حق التمتع بجميع الامتيازات والحصانات التى يتمتع بها المواطنون فى مختلف الولايات.

٢- الشخص المتهم فى أى ولاية بالخيانة أو بارتكاب جناية أو أية جريمة أخرى، الذى يفر من وجه العدالة ويعثر عليه فى ولاية أخرى، يسلم، بناء على طلب السلطة التنفيذية للولاية التى فر منها، لينقل إلى الولاية التى لها صلاحية النظر فى جريمته.

٣- أى شخص ملزم بالخدمة أو العمل فى إحدى الولايات طبقا لقوانينها، ويفر إلى ولاية أخرى، لا يجوز أن يعفى من تأدية مثل تلك الخدمة أو ذلك العمل بموجب أى قانون أو إجراء لدى هذه الولاية، بل يتوجب تسليمه عند طلب الجهة التى تؤدى هذه الخدمات والاشغال لمصلحتها.

الفقرة الثالثة «علاقة الحكومة الفيدرالية بالولايات»

١- يمكن للكونجرس أن يدخل ولايات جديدة إلى الاتحاد، ولكن لا يجوز إنشاء أو إقامة أى ولاية جديدة داخل حدود أى ولاية أخرى، كما لا يجوز إنشاء أى ولاية عن طريق اندماج ولايتين أو أكثر أو أجزاء ولايات، دون موافقة الهيئات التشريعية للولايات المعنية فضلا عن موافقة الكونجرس.

٢- تكون للكونجرس سلطة التصرف ووضع جميع القواعد والأنظمة اللازمة الخاصة بأراض أو ممتلكات أخرى عائدة للولايات المتحدة، ولا يفسر أى نص فى هذا الدستور على نحو يضر بأية حقوق للولايات المتحدة أو لأى ولاية معينة.

الفقرة الرابعة:

تضمن الولايات المتحدة لكل ولاية فى هذا الاتحاد حكومة ذات نظام جمهورى وتحمى كلا منها من الغزو، كما تحميها، بناء على طلب الهيئة التشريعية، أو السلطة التنفيذية (فى حالة تعذر انعقاد الهيئة التشريعية) من أعمال العنف الداخلية.

المادة الخامسة

تعديل الدستور:

يقترح الكونجرس، كلما رأى ثلثا أعضاء المجلسين ضرورة لذلك، تعديلات لهذا الدستور، أو يدعو، بناء على طلب الهيئات التشريعية لثلثى مختلف الولايات، إلى عقد مؤتمر لاقتراح تعديلات تصبح فى كلتا الحالتين، قانونية من حيث جميع المقاصد والغايات، كجزء من هذا الدستور، عندما تصادق عليها الهيئات التشريعية لثلاثة أرباع مختلف الولايات، أو مؤتمرات تعقد فى ثلاثة أرباع الولايات أيا كانت وسيلة المصادقة التى يقترحها الكونجرس من بين هاتين: شرط ألا يؤثر أى تعديل يتم ويقر قبل سنة ١٨٠٨ فى أية صورة كانت على العبارتين الأولى والرابعة من الفقرة التاسعة من المادة الأولى، وألا تحرم أى ولاية، دون رضاها، من حق تساوى الأصوات فى مجلس الشيوخ.

المادة السادسة

الديون الفيدرالية

١- جميع الديون المعقودة والارتباطات المتفق عليها قبل إقرار هذا الدستور، تكون قانونية أمام الولايات المتحدة طبقا لهذا الدستور كما هى قانونية طبقا للاتحاد.

القانون الفيدرالى

٢- هذا الدستور، وقوانين الولايات المتحدة التى تصدر تبعا له. وجميع المعاهدات المعقودة أو التى تعقد تحت سلطة الولايات المتحدة تكون القانون الأعلى للبلاد. ويكون القضاة فى جميع الولايات ملزمين به، ولا يعتد بأى نص فى دستور أو قوانين أى ولاية يكون مخالفا لذلك.

٣- يكون الشيوخ والنواب المشار إليهم آنفا، وأعضاء المجالس التشريعية لمختلف الولايات وجميع الموظفين التنفيذيين والقضائيين التابعين للولايات المتحدة ولمختلف الولايات، ملزمين بموجب قسم أو إقرار بتأييد هذا الدستور، ولكن لا يجوز أبدا اشتراط امتحان دينى كمؤهل لتولى أى منصب رسمى أو مسئولية عامة فى الولايات المتحدة.

المادة السابعة

المصادقة على الدستور

تكون مصادقة مؤتمرات تسع ولايات كافية لإقامة هذا الدستور بين الولايات المتحدة التى تقره، تم وضع هذا الدستور بالموافقة الاجتماعية للولايات الحاضرة هذا اليوم السابع عشر من سبتمبر من عام ١٧٨٧ وفى السنة الثانية عشرة لاستقلال الولايات المتحدة. وقد أدرجنا اسماءنا هنا شهادة على ذلك.

جورج واشنطن
الرئيس والنائب عن ولاية فرجينيا

ديلاوير

جورج ريد
جانينج بدفورد الابن
جون ديكنسون
ريتشارد باسيت
جاكوم بروم

ميريلاند

جيمس ماك هنرى

دان اوف ساينت توماس جينيفر

دانيال كارول

فرجينيا

جون بلار

جيمس ماديسون الابن

نورث كارولينا

وليم بلاونت

ريتشارد دوبس سبايت

هيو وليموسون

ساوث كارولينا

ج. راتليدج

تشارلز كوتسوارث بينكنى

تشارلز بينكنى

بيرس بالتر

جورجيا

وليم فيو

إبرهام بالدوين

نيو هامبشير

جون لا تجدون

نيكولاس جيلمان

ناثانيال جورهام

روفوس كينج

كونيتكت

وليم صامويل جونسون

روجر شيرمن

نيويورك

ألكسندر هاميلتون

نيو جيرسى

وليم ليفنجستون

ديفيد بريرلى

ويليام باترسرون

جونا دايتون

بنسيلفانيا

بفرانكلين

توماس ميفلين

روبرت موريس

جورج كلايمر

توماس ليتزسايمونز

جادير انجرسول

جيمس ولسون

الحاكم موريس

التعديلات الدستورية

تعرف التعديلات العشرة الأولى من الدستور بـ «وثيقة الحقوق» وكانت قد اقترحت في ٢٥ سبتمبر ١٧٨٩، وتم إقرارها في ١٥ ديسمبر ١٧٩١ .

إن التعديلات التالية لدستور الولايات المتحدة اقترحها الكونجرس وصادقت عليها الهيئات التشريعية لمختلف الولايات وفقا للمادة الخامسة من الدستور الأساسي.

التعديل الاول

حرية العبادة، والكلام، والصحافة وحق الاجتماع والمطالبة برفع الأجور

لا يصدر الكونجرس أى قانون خاص بإقامة دين من الأديان أو يمنع حرية ممارسته، أو يحد من حرية الكلام أوالصحافة، أو من حق الناس فى الاجماع سلميا، وفى مطالبة الحكومة بانصافهم من الإجحاف.

التعديل الثانى

حق اقتناء الأسلحة

حيث أن وجود مليشيات حسنة التنظيم ضرورى لأمن أى ولاية حرة، لا يجوز التعرض لحق الناس فى اقتناء أسلحة وحملها.

التعديل الثالثا

إيواء الجنود

لا يجوز لأى جندى، فى وقت السلم، أن يقيم فى أى منزل دون رضا المالك، كما لا يجوز له ذلك فى وقت الحرب إلا بالكيفية التى يحددها القانون.

التعديل الرابع

مذكرات التفتيش والاعتقال

لا يجوز المساس بحق الناس فى أن يكونوا آمنين فى أشخاصهم ومنازلهم مستنداتهم ومقتنياتهم من أى تفتيش أو احتجاز غير معقول، ولا يجوز إصدار مذكرة بهذا الخصوص إلا فى حال وجود سبب معقول، معزز باليمين أو التوكيد، وتبين بالتحديد المكان الراد تفتيشه والأشخاص أو الأشياء المراد احتجازها.

التعديل الخامس

حقوق المتهمين فى القضايا الجزائية

لا يجوز اعتقال أى شخص لاستجوابه بشأن جناية أو جريمة شائنة أخرى، إلا تبعا لصدور قرار اتهام أومضبطة اتهام عن هيئة محلفين كبرى، باستثناء القضايا الحاصلة فى القوات البرية أو البحرية، أو المليشيات، عندما تكون هذه القوات فى الخدمة الفعلية فى وقت الحرب أو الخطر العام، ، ولا يجوز اتهام أى شخص بنفس الجرم مرتين فتتعرض حياته أو أعضاء جسده للخطر، كما لا يجوز إكراه أى شخص فى أية دعوى جنائية على أن يكون شاهدها ضد نفسه، ولا أن يحرم من الحياة أو الحرية أو الممتلكات دون اتباع الإجراءات القانونية الأصلية كما لا يجوز نزعه أية ملكية خاصة لاستخدامها فى سبيل المنفعة العامة دون تعويض عادل.

التعديل السادس

حق المتهم فى محاكمة عادلة

فى جميع المحاكمات الجنائية، للمتهم الحق بأن يحاكم محاكمة سريعة، وعلنية بواسطة هيئة محلفين غير متحيزة تابعة للولاية أو المقاطعة التى تكون الجريمة قد ارتكبت فيها، وتكون المقاطعة قد سبق للقانون تحديدها، وله الحق فى أن يبلغ سبب الاتهام وطبيعته، وفى أن يواجه الشهود الذين يشهدون ضده، وفى أن تتوفر له التسهيلات القانونية الإرغامية لاستدعاء شهود لمصلحته، وفى أن يستعين بمحام للدفاع عنه.

التعديل السابع

حقوق المدعين فى قضايا مدنية

فى الدعاوى المدنية حيث تزيد القيمة المتنازع عليها على عشرين دولارا يكون حق التقاضى أمام هيئة محلفين مصانا وأية واقعة تكون قد بتت بها هيئة محلفين، لا يجوز خلافا لذلك أن يعاد النظر فيها فى أية محكمة من محاكم الولايات المتحدة إلا وفقا لقواعد القانون العام.

التعديل الثامن

الكفالات، الغرامات والعقوبات

لا يجوز طلب دفع كفالات باهظة ولا فرض غرامات باهظة ولا إنزال عقوبات قاسية وغير مألوفة.

التعديل التاسع

الحقوق التى يحتفظ بها الشعب

إن تعداد الدستور لحقوق معينة لا يجوز أن سيفسر على أنه انكار لحقوق أخرى يتمتع بها الشعب، أو انتقاصا منها.

التعديل العاشر

السلطات التى تحتفظ بها الولايات والشعب

إن السلطات التى لا يوليها الدستور للولايات المتحدة ككل ولا يحجبها عن الولايات (فرادى) تحفظ لكل من هذه الولايات أو للشعب.

العديل الحادى عشر

الدعاوى ضد الولايات

لا تعتبر الصلاحية القضائية التى تتمتع بها الولايات المتحدة على أنها تمتد إلى أية دعوى قانونية أو دعوى تطبق فيها مبادئ العدل والإنصاف. سبق أن شرع فى اقامتها أو الادعاء فيها، ضد إحدى الولايات المتحدة، مواطنون من ولاية أخرى أو مواطنون أو رعايا أية دولة أجنبية.

التعديل الثانى عشر

انتخاب الرئيس ونائب الرئيس

يجتمع الناخبون، كل فى ولاية، ويصوتون بالاقتراع السرى لرئيس ونائب رئيس ويتعين أن يكون أحدهما على الأقل من غير سكان الولاية نفسها، ويذكرون فى أوراق اقتراعهم اسم الشخص الذى ينتخبونه رئيسا، ويذكرون فى أوراق اقتراع مستقلة اسم الشخص الذى اقترع لانتخابهم لمنصب الرئيس وأسماء جميع الأشخاص الذين اقترع لمنصب نائب الرئيس، وبعدد الأصوات التى نالها كل منه، ثم يوقعون هذه اللوائح ويصدقون عليها ويحيلونها مختومة إلى مقر حكومة الولايات المتحدة موجهة إلى رئيس مجلس الشيوخ، ويقوم رئيس مجلس الشيوخ بحضور أعضاء مجلس الشيخ والنواب، بفض جميع مظاريف اللوائح ثم يحصى عدد الأصوات، والشخص الذى ينال العدد الأكبر من أصوات المقترعين للرئيس يصبح رئيسا، إذا كان هذا العدد يشكل أكثرية مجموعة من الناخبين المعينين، وإذا لم يحصل أى شخص على مثل هذه الأكثرية، يقوم مجلس النواب على الفور، وبالاقتراع

السرى، باختيار الرئيس من بين الأشخاص الحائزين على أكبر عدد من الأصوات فى لائحة الذى اقترع لهم لمنصب الرئيس على ألا يتجاوز عدد هؤلاء الثلاثة.

ولكن فى اختيار الرئيس على هذا النحو يتم حساب الأصوات على أساس الولايات، بحيث يكون لممثلى كل ولاية صوت واحد، ويتشكل النصاب لهذا الغرض من عضو أو أعضاء عن ثلثى الولايات وتكون أكثرية جميع الولايات ضرورية ليتم الاختيار،وإذا لم يختر مجلس النواب، رئيسا عندما يؤول حق الاختيار، قبل الرابع من شهر مارس التالى، فحينئذ يتولى نائب الرئيس منصب الرئاسة كما فى حالة وفاة الرئيس أو حالات عجزه التى ينص عليها الدستور، ويصبح نائبا للرئيس الشخص الذى يحصل على أكبر عدد من أصوات المقترعين لنائب الرئيس، إذا كان هذا العدد يشكل أكثرية مجموعة عدد الناخبين المعينين، وإذا لم يحصل أى شيخ على مثل هذه الأكثرية فحينئذ يقوم مجلس الشيوخ باختيار نائب رئيس من بين الشخصين اللذين فازا بأكبر عدد من الأصوات فى اللائحة والنصاب اللازم لهذا الغرض يتألف من ثلثى العدد الإجمالى للشيوخ، وسيكون الحصول على أكثرية العدد الإجمالى لازما لهذا الاختيار، ولكن كل شخص غير مؤهل دستوريا لتولى منصب الرئيس فهو ليس مؤهلا لمنصب نائب رئيس الولايات المتحدة.

التعديل الثالث عشر

إلغاء الرق

يحرم الرق والتشغيل الاكراهى فى الولايات المتحدة وفى أى مكان خاضع لسلطانها إلا كعقاب على جرم حكم على مقترفه بذلك حسب الأصول.

للكونجرس سلطة تطبيق أحكام هذه المادة بالتشريع المناسب.

التعديل الرابع عشر

الحقوق المدنية

جميع الأشخاص المولودين فى الولايات المتحدة أو المتجنسين بجنسيتها أو الخاضعين لسلطانها يعتبرون من مواطنى الولايات المتحدة ومواطنى الولاية التى يقيمون فيها، ولا يجوز لأى ولاية أن تضع أو تطبق أى قانون ينتقص من امتيازات أو حصانات مواطنى الولايات المتحدة. كما لا يجوز لأى ولاية أن تحرم أى شخص من الحياة أو الحرية أو الممتلكات دون مراعاة الإجراءات القانونية الأصولية، ولا أن تحرم أى شخص خاضع لسلطانها من المساواة فى حماية القوانين.

يقسم النواب بين مختلف الولايات وفقا لعدد سكان كل منها الذى يتكون من مجموع عدد الأشخاص فى كل ولاية باستثناء الهنود الذين لا يدفعون الضرائب). ولكن إذا حرم من حق الاقتراع فى أى انتخاب لاختيار ناخبين لرئيس ونائب رئيس الولايات المتحدة أو لاختيار ممثلين فى الكونجرس أو مسئولين تنفيذيين أو عدليين فى ولاية ما، أو أعضاء هيئتها التشريعية، أى من الذكور من سكان مثل هذه الولاية البالغين الواحدة والعشرين من العمر والذين هم من مواطنى الولايات المتحدة وإذا انتقص من ذلك الحق بأى شكل كان، فيما عدا أن يكون السبب الاشتراك فى تمرد أوجرائم أخرى، فإن أساس التمثيل فى هذه الولاية يخفض بما يتناسب مع نسبة عدد هؤلاء المواطنين الذكور إلى مجموع عدد المواطنين الذكورالبالغين الواحدة والعشرين فى مثل هذه الولاية.

لا يجوز لأى شخص أن يصبح شيخا أو نائبا فى الكونجرس، أو ناخبا لرئيس ونائب الرئيس أو أن يشغل أى منصب، مدنيا كان أو عسكريا، تابعا للولايات المتحدة أو تابعا لأى ولاية، إذا سبق له أن أقسم اليمين كعضو فى الكونجرس أو كموظف لدى الولايات المتحدة أو كعضو فى مجلس تشريعى لأى ولاية أو كموظف تنفيذى أو عدلى فى أى ولاية، بتأييد دستور الولايات المتحدة واشترك بعد ذلك فى أى تمرد أو عصيان ضدها، أو قدم عونا ومساعدة لأعدائها. ولكن يمكن للكونجرس، بأكثرية ثلثى الأصوات فى كل من المجلسين أن يزيل مثل هذا المانع.

لا يجوز الطعن فى صحة دين عام على الولايات المتحدة أجازه القانون، بما فى ذلك الديون الناشئة عن دفع معاشات ومكافآت عن خدمات قدمت لقمع تمرد أو عصيان، لكن لا يجوز للولايات المتحدة أو لأى ولاية أن تتحمل أو تدع أى دين أو التزام ناشىء عن تقديم عون لتمرد أو عصيان ضد الولايات المتحدة، أو تواجه أية دعوى بشأن خسارة أى عبد أو تحريره، إذ إن جميع هذه الديون والالتزامات والمطالب تعتبر غير شرعية وباطلة.

تكون للكونجرس سلطة تنفيذ أحكام هذه المادة بالتشريع المناسب.

التعديل الخامس عشر

منح الزنوج حق الانتخاب

لا يجوز للولايات المتحدة ولا لأى ولاية منها حرمان مواطنى الولايات المتحدة من حقهم فى الانتخاب، أو الانتقاص لهم من هذا الحق بسبب العِرق أو اللون أو حالة رق سابقة.

تكون للكونجرس سلطة تنفيذه هذه المادة بالتشريع المناسب.

التعديل السادس عشر

ضرائب الدخل

تكون للكونجرس سلطة فرض وجباية ضرائب على الدخل، أيا كان مصدره، وذلك دون توزيع نسبى بين مختلف الولايات، ودون أى اعتبار لأى احصاء أو تعداد للسكان.

التعديل السابع عشر

انتخاب أعضاء مجلس الشيوخ من الشعب مباشرة

١- يتألف مجلس شيوخ الولايات المتحدة من شيخين عن كل ولاية ينتخبهما سكان تلك الولاية لمدة ست سنوات ويكون لكل شيخ صوت واحد، ويجب أن تتوافر فى ناخبى الشيوخ فى كل ولاية نفس المؤهلات التى ينبغى توافرها فى ناخبى أكثر مجلسى الهيئة التشريعية فى تلك الولاية عددا.

٢- عندما تحدث شواغر فى تمثيل أى ولاية فى مجلس الشيوخ، تعلن السلطة التنفيذية فى تلك الولاية عن إجراء انتخابات لملء مثل تلك الشواغر غير أن المجلس التشريعى فى أى ولاية يمكنه أن يفوض السلطة التنفيذية فيها إجراء تعيينات مؤقتة ريثما يملأ سكان الولاية هذه الشواغر عن طريق الانتخاب لما تقضى به هيئتها التشريعية.

٣- لا يفسر هذا التعديل على نحو يجعله يؤثر على انتخاب أو مدة عضوية أى شيخ تم انتخابه قبل أن يصبح هذا التعديل نافذ المفعول كجزء من الدستور.

التعديل الثامن عشر

تحظير المشروبات الكحولية

بعد عام واحد من المصادقة على هذه المادة، يحظر إنتاج أو بيع أو نقل المشروبات الكحولية المسكرة داخل الولايات المتحدة وجميع المناطق الخاضعة لسلطانها. وتصديرها منها أو استيرادها إليها لغرض تعاطيها للشرب. تكون للكونجرس ولمختلف الولايات سلطة مشتركة لتنفيذ هذه المادة بالتشريع المناسب.

تصبح هذه المادة باطلة ما لم تصادق عليها كتعديل للدستور الهيئات التشريعية لمختلف الولايات، كما نص على ذلك الدستور وذلك فى غضون سبع سنوات من تاريخ إحالة الكونجرس هذا التعديل إلى الولايات.

التعديل التاسع عشر

منح المرأة حق الانتخاب

لا يجوز للولايات المتحدة ولا لأى ولاية فيها حرمان مواطنى الولايات المتحدة حق الانتخاب، أو الانتقاص لهم من هذا الحق لعلة الجنس (الذكورة أو الأنوثة).

تكون للكونجرس سلطة تنفيذ أحكام هذه المادة بالتشريع المناسب.

التعديل العشرون

فترة ولاية كل من الرئيس والكونجرس

تنتهى مدة ولاية كل من الرئيس ظهر يوم العشرين من يناير، وتنتهى مدة ولاية الشيوخ والنواب ظهر يوم الثالث من يناير فى السنوات التى كانت ستنتهى فيها هذه الولايات لو لم تقر هذه المادة. وتبدأ عندئذ مدد ولاية خلفائهم.

يجتمع الكونجرس مرة على الأقل كل سنة. ويبدأ مثل هذا الاجماع ظهر يوم الثالث من كانون الثانى (يناير) ما لم يحدد الكونجرس بقانون موعد آخر.

إذا حدث أن توفى الرئيس المنتخب فى الموعد المقرر لبدء ولايته، أو إذا المنتخب رئيسا،وإذا لم يكن قد تم اختيار رئيس قبل الموعد المقرر لبدء ولايته، أو إذا كان ثمة ما يحول دستوريا دون تولى الرئيس المنتخب منصبه، عندئذ يتولى نائب الرئيس المنتخب منصب الرئيس إلى أن يزول الحائل، ويمكن للكونجرس أن يحدد بقانون الحالة التى فيها مانع دستورى دون تولى أى من الرئيس المنتخب أو نائب الرئيس المنتخب منصب الرئاسة، معينا الشخص الذى يتولى عندئذ منصب الرئيس أو الكيفية التى يجرى بها اختيار الشخص الذى سيتولى المنصب، ويتصرف مثل ذلك الشخص كرئيس طبقا لذلك إلى زوال المانع الذى يحول دون تولى رئيس أو نائب رئيس منصب الرئاسة.

وللكونجرس أن يحدد بقانون أحكام حالة وفاة أى من الأشخاص الذى قد يختار منهم مجلس النواب رئيسا عندما يؤول لهذا المجلس حق الاختيار، حالة وفاة أى من الأشخاص الذين يختار منهم مجلس الشيوخ نائبا للرئيس عندما يؤول لهذا المجلس حق الاختيار.

تصبح الفقرتان الأولى والثانية من هذه المادة نافذتى المفعول فى اليوم الخامس عشر من شهر أكتوبر الذى يلى تاريخ إقرار هذه المادة.

تصبح هذه المادة غير نافذة المفعول إلا إذا صودق عليها كتعديل للدستور من قبل الهيئات التشريعية لثلاثة أرباع مختلف الولايات فى غضون سبع سنوات من تاريخ تقديمها.

التعديل الحادي والعشرون

إلغاء تعديل تحريم المشروبات الكحولية

يلغى هذا التعديل الثامن عشر فى أى ولاية أو منظمة تابعة للولايات المتحدة أو أراض داخلة فى حيازتها، كما يحظر استيرادها إليها لغاية توزيعها أو استعمالها فيها بما يخالف قوانينها.

لا تصبح هذه المادة نافذة المفعول إلا إذا أقرت كتعديل للدستور من قبل مؤتمرات فى مختلف الولايات،حسبما نص عليه فى الدستور، وذلك فى غضون سبع سنوات من تاريخ إحالة الكونجرس هذا التعديل إلى الولايات.

التعديل الثانى والعشرون

تحديد الرئاسة بفترة ولايتين

لا يجوز انتخاب أى شخص لمنصب الرئيس أكثر من دورتين، كما لا يجوز لأى شخص تقلد منصب الرئيس أو قام بمهام الرئيس لأكثر من سنتين من أصل مدة ولاية انتخب لها شخص آخر رئيسا، أن ينتخب لمنصب الرئيس لأكثر من دورة واحدة ولكن هذا المادة لا تطبق على أى شخص كان يشغل منصب الرئيس لدى اقتراح الكونجرس هذه المادة. ولا تمنع أى شخص يكون شغلا لمنصب الرئيس أو قائما بأعمال الرئيس خلال فترة الولاية التى تصبح فيها هذه المادة نافذة المفعول، من تولى منصب الرئيس بأعمال الرئيس حتى نهاية هذه الولاية.

لا تصبح هذه المادة نافذة المفعول ومعمولا بها إلا إذا أقرت كتعديل للدستور من قبل الهيئات التشريعية لثلاثة أربا ع مختلف الولايات، وذلك فى غضون سبع سنوات من إحالة الكونجرس هذا التعديل إلى الولايات.

التعديل الثالث والعشرون

حق الاقتراع فى مقاطعة كولومبيا

تعين المقاطعة التى تشكل مقر حكومة الولايات المتحدة، وبالطريقة التى يحددها الكونجرس، عددا من ناخبى الرئيس ونائب الرئيس يكون مساويا لكامل عدد الشيوخ والنواب فى الكونجرس الذين يحق لهذه المقاطعة بهم لو كانت ولاية ولكن لا يجوز أن يزيد ذلك العدد بأى حال عن عدد الناخبين الذين تعينهم أقل الولايات سكانا. وسيكون هؤلاء إضافة إلى أولئك الذين تعينهم الولايات. إنما سيعتبرون، لغاية انتخاب الرئيس ونائب

الرئيس ناخبين معينين من قبل ولاية وسيجتمعون فى «المقاطعة» ويؤدون المهام التى ينص عليها التعديل الثانى عشر للدستور.

تكون للكونجرس سلطة تطبيق أحكام هذه المادة وبالتشريع المناسب.

التعديل الرابع والعشرون

ضرائب الأشخاص

لايجوز للولايات المتحدة ولا لأى ولاية فيها أن تحرم مواطنى الولايات المتحدة، أو تنتقص لهم من حقهم فى الاقتراع فى أى انتخابات أولية أو سواها لانتخاب رئيس أو نائب رئيس، أو انتخاب ناخبين للرئيس أو نائب الرئيس، أو انتخاب شيخ أو نائب فى الكونجرس، لا يجوز أن تمنعه أو تنتقص منه الولايات المتحدة أو أى ولاية، بسبب عدم دفع ضريبة اقتراع أو أية ضريبة أخرى.

تكون للكونجرس سلطة تطبيق هذه المادة بالتشريع المناسب

التعديل الخامس والعشرون

أحكام عجز الرئيس وخلافته

فى حالة عزل الرئيس من منصبه أو وفاته أو استقالته، يصبح نائب الرئيس رئيسا وعندما يشغر نائب الرئيس، يرشح الرئيس نائب الرئيس.

يتولى هذه المناصب لدى تصويت أكثرية مجلسى الشيوخ والنواب بالموافقة على تعيينه.

عندما يبلغ كل من الرئيس المؤقت لمجلس الشيوخ ورئيس مجلس النواب تصريحه الخطى بعجزه عن القيام بسلطات وواجبات منصبه، وإلى أن يبلغهما خطيا تصريحا بعكس ذلك، يتولى نائب الرئيس القيام بهذه السلطات والمهام كرئيس بالوكالة.

عندما يبلغ الرئيس وغالبية الموظفين الرئيسيين فى الوزارات التنفيذية أو أعضاء هيئة أخرى، يحددها الكونجرس بقانون، رئيس مجلس الشيوخ المؤقت ورئيس مجلس النواب تصريحهم الخطى بأن الرئيس عاجز عن القيام بسلطات ومهام منصبه، يتولى نائب الرئيس فورا سلطات ومهام المنصب كرئيس بالوكالة وبعد ذلك، عندما يبلغ الرئيس مجلس الشيوخ المؤقت ورئيس مجلس النواب تصريحه الخطى بعدم وجود حالة عجز لديه، يستأنف القيام بسلطات ومهام منصبه ما لم يبلغ نائب الرئيس وغالبية الموظفين الرئيسيين فى الوزارات التنفيذية أو أعضاء هيئة أخرى يحددها الكونجرس بقانون، وفى غضون

أربعة أيام، رئيس مجلس الشيوخ المؤقت ورئيس مجلس النواب تصريحهم الخطى بأن الرئيس عاجز عن القيام بسلطات ومهام منصبه.عند ذلك يبت الكونجرس فى اجتماع يعقده فى غضون ٤٨ ساعة لهذا الغرض إذا لم يكن فى دورة انعقاد. وإذا قرر الكونجرس فى غضون ٢٢ يوما من تسلمه التصريح الخطى الثانى، أو فى غضون ٢١ يوما من الموعد الذى يتوجب فيه انعقاد المجلس، إذا لم يكن فى دورة انعقاد، وبأكثرية ثلثى أصوات مجلس الشيوخ والنواب أن الرئيس عاجز عن القيام بسلطات ومهام منصبه، يستمر نائب الرئيس فى تولى هذه السلطات والواجبات كرئيس بالوكالة، أما إذا كان الأمر خلاف ذلك فيستأنف الرئيس القيام بسلطات وواجبات منصبه.

التعديل السادس والعشرون

منح البالغين سن ١٨ سنة حق الانتخاب

لا يجوز للولايات المتحدة ولا أى ولاية فيها أن تحرم مواطنى الولايات المتحدة، ممن بلغوا سن الثامنة عشرة وما فوق، من حق الانتخاب أو تنتقص لهم منه بسبب السن:

(*) مترجم من: **The Constitution of the U.S.A: Library of Congress, U.S Printing Office, 1973.**

معجم الأعلام والتعبيرات

(أ)

• أبراهام لنكولن Abraham Lincoln (١٨٠٩ – ١٨٦٥)

الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة (١٨٦١ – ١٨٦٥) محرر العبيد. قاد الحرب ضد الولايات الجنوبية التى فضلت الانفصال على الرضوخ لاعلان تحرير العبيد ١٨٦٣، اغتيل بعد أيام قليلة من هزيمة الجنوب فى الحرب الأهلية.

• آدم سميث Adam Smith (١٧٢٣ – ١٧٩٠)

فيلسوف واقتصادى اسكتلندى، نشر عام ١٧٧٦ كتابه «بحث فى طبيعة وأسباب ثروة الأمم» ودعا فيه لحرية التجارة وإلى أن «الفرد إذا سمح له بتنمية مصالحه بحرية ضمن القانون، فإنه ينمى -غالبا- مصالح المجتمع ككل».

• ألكسندر هاملتون Alexender Hamilton (١٧٥٧ – ١٨٠٤)

كان أول وزير للخزانة فى الولايات المتحدة (١٧٨٩ – ١٩٩٥) خدم كضابط برتبة نقيب خلال الثورة الأمريكية، عمل مساعدا للرئيس واشنطن (١٧٧٧ – ١٧٨١).

كان عضواً فى لجنة الدستور، ودعا من خلال جريدة الفيدرالى إلى أن يكون الدستور فى مصلحة أصحاب الملكيات، يعتبر أبو الرأسمالية الأمريكية.

(ب)

• بيل كلينتون Bill (William Jefferson) Clinton (١٩٤٦ – ٢٠٠٠)

الرئيس الثانى والأربعون للولايات المتحدة (١٩٩٣ – ٢٠٠٠) ديمقراطى، عمل حاكماً لولاية أركنساس (١٩٧٩ – ١٩٨١)، (١٩٨٣ – ١٩٩٢)، حاز سمعة بأنه ليبرالى تقدمى، ركز حملته الانتخابية عام ١٩٩٢ على قضايا الاقتصاد الأمريكى، وفى حملة ١٩٩٦ أصبح أكثر اقترابًا من الوسط، وفى فترة رئاسته الثانية اقترب من أجندة الحزب الجمهورى الذى سيطر على الكونجرس عام ١٩٩٤، ارتبط اسمه بالفضائح الجنسية.

• بيلى جراهام Billy Graham (١٩١٨ –)

قس أمريكى، عمل نائبًا ثم رئيسا لمنظمة شبان المسيح، من مؤلفاته: السلام مع الله (١٩٥٣)، سر السعادة (١٩٥٥)، الروح القدس (١٩٧٨)، أمل القلب المعذب (١٩٩١).

(ت)

- توماس جيفرسون Thomas Jefferson (١٧٤٣ - ١٨٢٦).

الرئيس الثالث للولايات المتحدة الأمريكية، يعتبر الأب الحقيقى لإعلان الاستقلال الأمريكى، عمل سفيرًا ثم وزيرًا للخارجية ثم نائبًا للرئيس چون آدامز.

- توماس وودرو ويلسون Thomas Woodrow Wilson (١٨٥٦ - ١٩٢٤)

الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة الأمريكية (١٩١٣ - ١٩٢١).

(ث)

- ثيودور روزفلت Theodor Rosevelt (١٨٥٨ - ١٩١٩)

الرئيس السادس والعشرون للولايات المتحدة (١٩٠١ - ١٩٠٩)

(ج)

- چون آدامز John Adams (١٧٣٥ - ١٨٢٦)

الرئيس الثانى للولايات المتحدة (١٧٩٧ - ١٨٠١)، كان نائبًا للرئيس واشنطن، وهو والد جون كوينسى آدامز الرئيس السادس للولايات المتحدة.

- چون جاى John Jay (١٧٤٥ - ١٨٢٩)

أول رئيس للمحكمة العليا فى الولايات المتحدة، عمل وزيرًا للخارجية، كان من أكبر المساهمين فى وضع دستور ولاية نيويورك.

- چون فيتزجرالد كنيدى John Fitzgerald Kennedy (١٩١٧ - ١٩٦٣)

الرئيس الخامس والثلاثون للولايات المتحدة (١٩٦١ - ١٩٦٣)، ديمقراطى كاثوليكى (الرئيس الكاثوليكى الوحيد فى تاريخ الولايات المتحدة)، شهدت فترة رئاسته التورط الأمريكى فى فيتنام، وقتل اغتيالا.

- چورچ بوش الأب George Bush (١٩٢٤ -)

الرئيس السادس والأربعون للولايات المتحدة (١٩٨٩ - ١٩٩٢)، شهدت فترة رئاسته سقوط الاتحاد السوفيتى (١٩٨٩)، وحرب تحرير الكويت بعد الغزو العراقى لها (١٩٩١).

• چي. بي. مؤرخان J.P. Morgan (١٨٢٧ - ١٩١٣)

مؤسس المجموعة المالية والاستثمارية المسماه باسمه، جمع ثروته من المضاربات على الذهب وتجارة الأسلحة خلال الحرب الأهلية (١٨٦٠ - ١٨٦٥)، وانشأ خطوط السكك الحديدية، وقدم قروضا للحكومة بعد الحرب.

• چورچ مارشال George Marchall (١٨٨٠ - ١٩٥٩).

جنرال ورجل دولة أمريكى، أشرف على بناء القوة العسكرية الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية، وأصبح وزيراً للخارجية (١٩٤٧ - ١٩٤٩)، وارتبط اسمه بمشروع أو خطة مارشال لإعادة بناء أوروبا بعد الحرب بمساعدة الولايات المتحدة.

• چورچ واشنطن Georg Washington (١٧٣٢ - ١٧٩٩)

جنرال أمريكى، أصبح أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية (١٧٨٩ - ١٧٩٧)، كان قد عين قائداً للقوات الأمريكية فى أثناء الثورة الأمريكية ضد بريطانيا.

• جيرى فالويل Jerry Falwell (١٩٣٣ -)

قس معمدانى، مؤسس كنيسة توماس رود المعمدانية، مؤسس منظمة الأغلبية الأخلاقية عام ١٩٧٩، مؤلف كتب: اسمعى يا أمريكا عام ١٩٨٠، والظاهرة الأصولية عام ١٩٨١، كلمة الحياة ١٩٨٤.

• چيمى كارتر Jimmy Carter (١٩٢٤ -)

الرئيس التاسع والثلاثون للولايات المتحدة (١٩٧٦ - ١٩٨٠)، اشتهر بأنه مسيحى مولود ثانية، Christian Born Again وضع ضمن أهداف السياسة الخارجية الأمريكية حماية حقوق الإنسان، ارتبط اسمه بفشل عملية إنقاذ الرهائن الأمريكيين فى إيران.

• چيمس ماديسون James Madison (١٧٥١ - ١٨٣٦)

الرئيس الرابع للولايات المتحدة (١٨٠٩ - ١٨١٧)، يعتبر «أبو الدستور الأمريكى» كان وزيراً للخارجية خلال فترتى رئاسة جيفرسون (١٨٠١ - ١٨٠٩).

• چيمس مونرو James Monro(١٧٥٨ - ١٨٣١)

الرئيس الثامن للولايات المتحدة (١٨١٧ - ١٨٢٥)، ارتبط باسمه مبدأ مونرو فى السياسة الخارجية الأمريكية (١٨٢٣)، لمنع أوروبا من التدخل فى شئون الأمريكيتين مقابل امتناع الولايات المتحدة عن التدخل فى الشئون الأوروبية.

(د)

- دوايت ديفيد أيزنهاور Dawight David Eisnhawer (١٨٩٠ - ١٩٦٩)

الرئيس الرابع والثلاثون للولايات المتحدة (١٩٥٣ - ١٩٦١)

(ر)

- روجر ويليامز Roger Williames (١٦٠٣ - ١٦٨٣)

قس أمريكي أسس مستوطنة رود آيلاند على الساحل الشرقى للولايات المتحدة.

- رونالد ريجان Ronald Reagan (١٩١١ -)

الرئيس الأربعون للولايات المتحدة (١٩٨١ - ١٩٨٩)، صاحب «مبادرة الدفاع الاستراتيجى» المعروفة بحرب النجوم، التى أسهمت فى انهيار الاتحاد السوفيتى من ناحية وتراجع الاقتصاد الأمريكى من ناحية أخرى، بسبب النفقات الدفاعية الباهظة، تبنى خلال فترتى رئاسته سياسة يمينية شديدة المحافظة داخليًا وخارجيًا.

- ريتشارد نيكسون Richrd Nixon (١٩١٣ - ١٩٩٤)

الرئيس السابع والثلاثون للولايات المتحدة (١٩٦٩ - ١٩٧٤)، كان نائبًا للرئيس أيزنهاور، شهدت فترة رئاسته إنهاء التورط الأمريكى فى فيتنام، والتقارب الأمريكى الصينى، كان أول رئيس أمريكى يستقيل من منصبه بعد انكشاف تورطه فى فضيحة ووترجيت.

(ف)

- فرانكلين ديلانور روزفلت Franklin Delanor Roosevelt (١٨٨٢ - ١٩٤٥)

الرئيس الثانى والثلاثون للولايات المتحدة، وهو الرئيس الوحيد الذى استمر ثلاث فترات رئاسية متواصلة (١٩٣٣ - ١٩٤٥) برغم أنه كان مقعداً، ارتبط اسمه بسياسة الصفقة الجديدة للخروج من أزمة الكساد الكبير فى الثلاثينيات، شارك فى قمتى يالطا ومالطا مع ستالين وتشرشل، ومات قبل نهاية الحرب.

(ك)

•كريستوفر كولمبس Christopher Columbus (١٤٥١ـ ١٥٠٦)

بحار برتغالى وصل أمريكا عام ١٤٩٢ فى أثناء محاولته اكتشاف طريق جديد للهند.

(ل)

• ليندون جونسون LYndon ohnson (١٩٠٨ ـ ١٩٧٣)

الرئيس السادس والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية (١٩٦٣ ـ ١٩٦٩) تولى الرئاسة بعد اغتيال الرئيس كنيدى وأعيد انتخابه لفترة رئاسية واحدة.

(م)

•مارتن لوثر كينج Martin LutheR King (١٩٢٩ ـ ١٩٦٨)

زعيم حركة الحقوق المدنية. قس زنجي معمداني. دخل دائرة الاهتمام كزعيم لحركة مقاطعة الزنوج للحافلات فى مونتجمرى ـ آلاباما عام ١٩٥٥ وكان أحد منظمى مسيرة الزنوج التى ضمت ٢٠٠ ألف شخص فى واشنطن عام ١٩٦٣ للمطالبة بالمساواة العرقية. كان مدافعا عن النضال السلمى (اللاعنف). حصل على جائزة نوبل للسلام ١٩٦٤، اغتيل فى ممفيس ـ تينسى.

• مالكولم إكس Malcolm x (١٩٢٥ ـ ١٩٦٥)

زعيم زنجى مسلم أمريكى، ولد فى أوماها ـ نبراسكا، وتربى فى ميتشجان ونيويورك. أدين بالسرقة عام ١٩٤٦ وقضى ٧ سنوات فى السجن، ثم أصبح أحد تابعى الزعيم المسلم أليجا محمد، وغير اسمه إلى مالكولم إكس عام ١٩٥٢ ليعبر عن «استلابه» فى مجتمع عنصرى أصبح زعيما قوميا وعالميا. واغتيل فى هارلم عام ١٩٦٥.

(هـ)

• هارى ترمان HarrY Truman (١٨٨٤ ـ ١٩٧٢)

الرئيس الثالث والثلاثون للولايات المتحدة (١٩٤٥ ـ ١٩٥٣) كان نائبا للرئيس روزفلت، وتولى الرئاسة عند موته. فى عهده قصفت اليابان بالقنابل الذرية، وأسس حلف شمال الأطلنطى (ناتو) وأطلق مشروع مارشال.

• هنرى كيسنجر Henry Kissinger (١٩٢٣ ـ)

دبلوماسى أمريكى، ولد فى ألمانيا لأسرة يهودية ثم هاجر إلى الولايات المتحدة. كان مستشارا للرئيس نيكسون للأمن القومى (١٩٦٩). قاد مفاوضات إنهاء الحرب الفيتنامية فى بداية السبعينيات، ثم أصبح وزيرا للخارجية (١٩٧٣ ـ ١٩٧٦)، واشتهر بالدبلوماسية المكوكية فى الشرق الأوسط بعد الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٧٣.

(و)

•والت واتيمان Walt(er)whitman (١٨١٩ – ١٨٩٢)

شاعر أمريكى .عمل مدرسا وصحفيا. وخدم كممرض فى أثناء الحرب الأهلية. عبر كشاعر عن الرؤية الأمريكية للحرية ـ الفردية والأخوة الإنسانية.

• ويليام بلاكستون william Blackston (١٨٤١ ـ ١٩٣٥)

رجل دين ومؤلف ورحالة ثرى. نشر عام ١٨٧٨ كتابه «يسوع قادم»،دعا فيه لاستعادة الشعب اليهودى لأرض كنعان. وأسس عام ١٨٨٧ منظمة فى شيكاغو سماها «البعثة العبرية نيابة عن إسرائيل»، لدعوة اليهود إلى العودة للأرض المقدسة فى فلسطين، ويعتبر من أوائل من أسسوا جماعة منظمة (Lobby) لمصلحة الصهيونية السياسية، كما يعد من طليعة قيادات «الصهيونية المسيحية» فى الولايات المتحدة.

•ويليام جيمس william Gams (١٨٤٢ ـ ١٩١٠)

عالم نفس وفيلسوف أمريكى. شقيق الروائى هنرى جيمس. تحول من الطب إلى علم النفس، وعمل بالتدريس فى هارفارد (١٨٧٢ ـ ١٩٠٧) من مؤلفاته التجربة الدينية (١٩٠٢) والذى يعد من الكتب الرائدة فى عالم النفس، الدينى، يعتبر أحد أعمدة الفلسفة البراجماتية.

الهوامـش

الفصل الأول

[1] Michel Faucault, Politics, Philosophy, Culture, Interviews and other writings, 1970-1984, New York, Rutledge, 1988, pp 255-76.

[2] Society, vol. 32. No. 3, 1995.

[3] Ethel Tiersky, Martin Tiersky, The U.S.A: Customs and Institutions Prentice- Hall inc., 1990, pp. 179-77.

[4] Society, op. cit.

[5] Society, op. cit.

[6] William James, Pragmatism and the Meaning of Truth, MIT, Harvard University Press, 1978.

[7] Harold Laski, The American Democracy, London, 1949. p. 17-19.

[8] Gwynn A. Williams, Gramsci, Concept of Egemonia, Journal of the History of Ideas, XXI,4.

[9] Atlantic Monthly, May, 1995.

[10] Arthur M. Schlesinger, Jr., The Disuniting of America: Reflections on a Multicultural Society, New York, Norton & Co. 1992. pp. 130-131.

[11] Ethel Tiersky, Martin Tiersky, The U.S.: Customs and Institutions, op. cit., pp. 176-177.

[12] Peter Brimelow, Alien Nation: Common Sense about America's Immigration Disaster, New York, Random House, 1995.

[13] Schlesinger, op. cit.

[14] John O'Sullivan, The Democratic Review, 1845.

[15] John O'Sullivan, op. cit.

[16] Noam Chomsky, Year 501: The Conquest Continues, New York. 1994.

[17] Walter A. CcDougall, Promised Land, Crusader State: The American Encounter with the World Since 1779, New York, Houghton Mifflin Co. 1977, pp. 57-8.

[18] Noam Chomsky, op. city.

[19] Jean- Piere Fichau, La Civilization American, P.U.F., Que sais Je? No. 2372

[20] Stephen Vincent Benet, America, Usis, 1945.

[21] Ronald Steel, Pax Americana, Buchet et Chastel, 1967, pp. 26-27.

[22] Noam Chomsky, op. cit.

[23] R. Steel, op. city.

[24] John Naisbitt, Global Paradox, New York, William Marrow and Co. Inc. 1994, p.32.

الفصل الثانى

[1] Sam Roberts, Who we are, Times Books, New York, Random House, Inc, 1994, p. 3.

[2] Wallace C. Peterson, Silent Depression: 25 Years of Wage Squeze and Middle Class Decline, New York, W.W. Norton & Co. 1994. p.p. 20-21.

[3] Alexis De Tocqueville, Democracy in America, Translated by Philips Bradley, Vol. 1, 1945.

[4] John Kenneth Galbrith, The Culture of Contentment, Hunghton Mifflin. 1992, p. 18.

[5] W.C. Peterson, op. cit.

[6] Meredit E. Bagby, op. city., p. 32.

[7] Merdith E. Bagby, op. city., p. 32.

[8] Edward N. Lutwark, The Endangered American Dream, New York, Simon Schuster, 1993, p. 126.

[9] Andrew Hacker, Two Nations: Black and White, Separate, Hostile, Unequal, New York, Screbnrs, 1992.

[10] حول تاريخ الزنوج فى أمريكا:

Ina Corrinne Brown, The History of American Negros, New York, Friendship Press; 1950.

Nichole Bacharan, Histoire Des Noirs Americaines Au XXe Siecle, 1994.

Claude Julien, Le Reve Et L'Histoire: Deuse Siecles d'Amerique Parix, 1993.

[11] Claude Julien, Le Reve Et L'Histoire Des Noirs, op. cit.

[12] Sam Roberts, Whoe we Are, op. cit., p. 105.

[13] Nicole Bacharan, Histoire Des Noirs, op. cit.

[14] Edward Behr, Une Amerique qui Fait Peur, op. cit.

[15] A.M. Schlesinger, The Disuniting of America, op. cit, p. 131.

[16] Claude Julien, op. cit.

[17] خطاب أمام غرفة التجارة فى هيوستن – ١٣ أغسطس ١٩٦٣

[18] Herald Tribune, October 8, 1974.

[19] Newsweek, December 2, 1974.

[20] Claude Julien, op. cit.

[21] Claude Julien, op. cit.

[21] لمزيد من التفاصيل عن القوة اليهودية فى أمريكا:

- J.J. Goldberg, Jewish Power: inside American Jewish Establishment, NY. 1996.
- Lenni Brenner, Jews in America Today, NewJersy, Lyle Stuart Inc. Secaucus, 1986.
- Paul Findly, They dare to speak, Westport Lawacrame Hill & Co., 1985.

[22] الاقتباس من:

Stephen L. Carter, The Culture of Disbelief: How American Law and Politics Trivialize Religious Devotion, New York, Anchor Books, 1993, p. 87-8.

[23] Barbara Tuchman, Bible and Sword, New York, Ballantine Books, 1984, p. 16.

[24] حول الصهيونية غير اليهودية:

- Henry Feingold, Zion in America, New York, Hippocrene Books, 1974.

- Paul Findly, They dare to speak out, op. cit.

- Reuben Fink, America and Palestine New York, 1945.

وبالعربيـــــــــة :

- ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية: جذورها فى التاريخ الغربى، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٥.

- شفيق مقار، المسيحية والتوراة: بحث فى الجذور الدينية لصراع الشرق الأوسط، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٩٢.

[25] Paul Dindly, The Dare, op. cit., p. 238-9.

[26] Grace Halsell Prophecy and Politics, Westport Lawrence Hill and Co., 1985, p. 178.

[27] رضا هلال، صورة العرب فى خطاب اليمين المسيحى الأمريكى، جريدة الأهرام، ١٩٩٧/٥/٢١.

[28] Heny R. Nau, The Myth of America's Decline: Leading the World Economy into 1990s, New York, Oxfor, 1991, p. VII.

[29] Henry R. Nau, They Myth of America's Decline, op., p. IX.

[30] Ibid, p. X

[31] Ibid, p. XI

[32] Noam Chomsky, What Uncle Sam Realy wants: Berkeley-California Odonian Press, 1992, p. 9.

[33] Ibid, op. cit. p. 96.

[34] Paul Kenedy, The Rise and Fall of The Great Powers: Economic Change and Military Conflict from 1500 to 2000, NY, 1987.

[35] Paul Kenedy, Preparing for the Twenty First Century, New York Random House, 1993, p. 291-2.

[36] Paul Kenedy, Ibid, op. cit.

[37] Ibid, op. cit. p. 303.

[38] Ibid, op. cit. p. 321.

[39] Ibid, op. cit. p. 323.

[40] Ibid, op. cit. p. 324.

الفصل الثالث

[1] الاقتباس من:

Edwin Scott Gaustad, A Religious History of America, New York Harper Collins, 1990, p. 15.

[2] اعتمدنا فى السرد التاريخى التالى على:

- Sydny E, Ahlstorm, A Religious History of the American People, New York, Image Books, 1975.
- Harold Bloom, The American Religion, New York, Simon & Schuster, 1992.

[3] Edwin Ssott Gaustad, A Relioious History of American.., op. cit., p. 119.

[4] The Constitution of the U.S.A., Analysis and Interpretation, Library of Congress, U.S. Printing Office, 1973, p.911.

[5] Thomas Jefferson, Freedom of Religion at the University of Virginia, in: Saul K. Padover, ed., The Complete Jefferson, Seul, Sloan & Pierce, 1943, p.958.

(6,7) الاقتباس من:

Edwin Scott Gaustad, A Religious History of America, op. cit., p. 122.

[8] Ibid, op. cit., p. 123.

[9] حول مواقف الرؤساء الأمريكيين من المسألة الدينية:

Stephen L. Carter, The Culture of Disbelief: How American law and Politics Trivialize Religions Devotion, op. cit. 105-24.

[10] National Times Nov. 1995.

[11] Harold Bloom, The American Religion, op. cit.

[12] ورد في:

Harold Bloom, The American Religion, op. cit.

[13] National Times, Nov. 95.

[14] Edmund Fawcett & Tony Thomas, America and the Americans, William Collins & Co. Ltd; 1983, p. 400.

[15] Harold Bloom, The American Religion, op. cit., p. 158.

[16] Ibid, op. cit.

[17] Herschel H. Hobbs, the Baptist Faith and Messege, 1971.

[18] Harold Bloom, ibid, op. cit, p. 131.

[19] Ibid, op. cit. p. 147.

[20] Ibid, op. cit., p. 178-9

[21] Ibid, op. cit., p. 160.

[22] Leonard C. Yassen, The Jesus Connection, New York, Crossroad Publication, 1985, p. 83.

[23] كلود جولياني› الامبراطورية الأمريكية، ترجمة زهير الحكيم، دار الحقيقة، بيروت، د.ت، ٧٠

[24] Feingold, Zion in America, op. cit., p. 14-18.

[25] Hertzbery, The Jews in America, op. cit., p. 32-3.

[26] Tuchman, Bible and Sword, op. cit., p. 37.

[27] Martin Luther, Saenthiche Werke, vol, 29, pp. 7-46.

[28] Ibid, op. cit.

[29] Tuchman, Ibid, op. cit.

[30] T.B. Macaulay, History of England, Vol, 1, p. 71.

[31] Gaustad, Ibid, op. cit.

[32] Fingold, Ibid, op. cit.

[33] Selig Adler, America and the Holy Land, in: American Historical Quarterly, Sept. 1972.

[34] Louis Gasper, The Fundmentalism Movement, The Hague, 1963, p. 7.

[35] شفيق مقار، المسيحية والتوراة، مصدر سبق ذكره

[36] ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية، مصدر سبق سبق ذكره.

[37] ريجينا الشريف، المصدر السابق ذكره، ص ٢٢٤-٢٢٥.

[38] Evan M. William, Decision in Palestine: How the U.S. came to Recognize Israel, Stanford, Hover Ins. Press, 1979, p. 17.

[39] ورد في:

Sara Diamon, Road to Dominion: Right- Wing Movements and Political Power in the United States, New York, The Gulford Press, 1995, p. 1.

[40] R, Laurence Moore, Selling God: American Religion in the Market place of Culture, Oxford University Press, 1994, p. 68-9.

[41] Louis Gasper, The Fundamentalism Movement, op, cit., p. 13.

[42] Sara Diamond, Roads to Dominion, op. cit., p. 93-4.

[43] Dvid W. Clark, Religious Television Audience in: The Society for the Scientific Study of Religion, Georgia, October 25, 1985, p. 19.

[44] Christain Century, July 18-25, 1984 and: Jeffrey. d. Hadden, Anson Shupe, The Televangelism: Power and Politics on God's Frontier, New York Henry Holt, 1988, p. 52.

[45] U.S. News & World Report, March 13, 1995.

[46] The American Enterprise, Nov. Dec. 1995.

[47] Kevin P. Phillips, Post- Convservative America, New York Boods, 1983, p. 91.

[48] Sara Diamond, Roads to Dominion, op. cit., p. 241.

[49] Christianity Today, Jan, 8-15, 1990.

[50] Christian Century, Feb. 17, 1993.

[51] National Review, April 4, 1994.

[52] Jerry Falwell, The Fundmentalist Phenomenon: The Resurgeene of Conservative Christianity, New York, Doubleday, 1981, p.215.

[53] Wolf Blitzer, Between Washington and Jersulaem, New York, Areporter's Notebook, Oxford University Press, p. 193.

[54] Washington Post, August 23, 1981.

الفصل الرابع

[1] Andree Bejin, The Influence of the Sexologists and Sexual Democracy in: Philippe Arie's and Andre Bejin, Western Sexuality, New York, Basil Black, Will Inc., 1985, p. 208-9.

[2] Michel Foucault, Politics, Philisophy, Culture: Interviews and Other wrintings, 1977-1984, op. cit.

[3] Herbert Marcause, One-Diementional Man, Beacon Press, Boston, 1964, p. 1-2.

[4] Gilles Deleuze and Felix Guattari, Anti-Odipus: Capitalism and Schizophrenia, Minneapolis University of Minnesota Press, Minneapolis, 1983, p. 262-65.

[5] Herbert Marcuse, Ibid, op. cit., p. 49.

[6] Norman O. Brown, Life Against Death, Sphere Books, 1968, p.277.

[7] Richard Neville, Play Power, London, Vintage, 1971, p.98.

[8] David Cooper, The Death of the Family, Peuguin, 1971, pp. 47-9.

[9] Anne Koedt. The Myth of the Vaginal Orgasm, in: L. Tanner ed., Voices from Women's Liberation, New York, Mentor, 1970.

[10] Tina Reid, Eye to Eye, in: Alison ed., Hard Feelings: Fictings: Fictin and Poetry from Spare Rib, Women's Press, 1979, pp. 60-1.

[11] ورد في:

Alix Kates Shulman, Burning Questions, London, Fontanes, 1980, p.290.

[12] Sue Cooper from Women's Liberation to Feminism, Prison, 1988, p. 73.

[13] Ibid, p. 80.

[14] Wall Street Journal, Nov. 7, 1991.

[15] Andre Dworkin, Letters from A war Zone, New York, E.P. Dutton, 1988, p.119 and 179.

[16] Sara Schulman, The Sophie Horowitz Story, quoted in: Lilian Faderman, Odd Girls and Twilight Lovers: A History of Les Dian Life in Twentieth- Century America, Panguin, 1991, p.188.

[17] Richard A. Posner, Sex and Reason, Harverd University Press, 1994, p. 60-1.

[18] Ibid, p. 63.

[19] Sanuel S. Janus, Cynthia L. Janus, The Janus Report on Sexual Behavior, Hohn Wiely & Sons, Inc, 1993.

[20] Rebert T. Michael, John H. Gagnon, Edward O. Lunuaun and Gina Kilfa, Sex in America: A Definitive Survey, 1994.

[21] MS, Jan, - Feb., 1994.

[22] Catherine A. Mackinnon, Not a Moral Issue, Yale Law & Policy Review, 2, 1984.

[23] Nadine Strossen, Defending Pornography: Free Speach, Sex and The fight for Wemen's Rights, New York, Scribner, 1995, p. 14-5.

[24] Andrea Dworkin, Women Hating, New York, E.P. Dutton, 1984, p.184.

[25] Chicago Tribune, Seb. 28, 1993.

[26] Nadine Strossen, Defending Pornography, op. cit., p. 279.

[27] The Janus Report, op. cit., p. 130-1.

[28] Ibid, p. 132.

الفصل الخامس

[1] Washington Post, June 18, 1995.

[2] Forbes, October 1, 1990.

[3] Douglas Kellener, Media Culture, Cultural Studies: Identity and Politics between the Modern and Post- modern, Routledge, 1995, p. 285-6.

[4] Ibid, p. 180.

[5] New York times, May 30, 1985.

[6] Time, June 24, 1985.

[7] Business Week, August 26, 1985.

[8] Time, June 24, 1985.

[9] People, July 8, 1985.

[10] Edward W. Said, Orientalism, New York, Vintage, 1979.

[11] Michaek H. Haunt, Ideology and U.S. Foreign Policy, CT, Yale University Press, 1987, p. 177.

[12] Edward Said, Ibid.

التنفيذ والطباعة : Stampa
11 ميدان سفنكس - المهندسين
تليفون: 3448824 - 3034408



بين الحلم والواقع كانت مسافة زمنية ربما بدت لى طويلة أو مختلفة ولكن الأهم أن الحلم أصبح واقعًا ملموسًا حيًا يتأثر ويؤثر، وهكذا كانت مكتبة الأسرة تجربة مصرية صميمة بالجهد والمتابعة والتطوير، خرجت عن حدود المحلية وأصبحت باعتراف منظمة اليونسكو تجربة مصرية متفردة تستحق أن تنتشر فى كل دول العالم النامي وأسعدنى انتشار التجربة ومحاولة تعميمها فى دول أخرى. كما أسعدنى كل السعادة احتضان الأسرة المصرية واحتفائها وانتظارها وتلهفها على إصدارات مكتبة الأسرة طوال الأعوام السابقة.

ولقد أصبح هذا المشروع كيانًا ثقافيًا له مضمونه وشكله وهدفه النبيل. ورغم اهتماماتى الوطنية المتنوعة في مجالات كثيرة أخرى إلا أننى أعتبر مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة هى الإبن البكر، ونجاح هذا المشروع كان سببًا قويًا لمزيد من المشروعات الأخرى.

ومازالت قافلة التنوير تواصل إشعاعها بالمعرفة الإنسانية، تعيد الروح للكتاب مصدرًا أساسيًا وخالدًا للثقافة. وتوالى «مكتبة الأسرة» إصداراتها للعام الثامن علي التوالى، تضيف دائمًا من جواهر الإبداع الفكرى والعلمى والأدبى وتترسخ على مدى الأيام والسنوات زادًا ثقافيًا لأهلى وعشيرتى ومواطنى أهل مصر المحروسة مصر الحضارة والثقافة والتاريخ.

سوزان مبارك

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

مهرجان القراءة للجميع
للطفل - للشباب - للأسرة
جمعية الرعاية المتكاملة

مكتبة الأسرة 2001
مهرجان القراءة للجميع

الثمن : جنيهان